بسم الله الرحمن الرحيم

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية وتعنى بالدراسات الدينية

تصدر عن

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

قسم الشؤون الفكرية والثقافية / العتبة الحسينية المقدسة

العدد السادس عشر

السنة الرابعة (١٤٣٧ هـ ـ ٢٠١٦م)

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية وتعنى بالدراسات الدينية

الهيئة الاستشارية

آية الله الشيخ محمد السند
آية الله الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني
آية الله السيّد رياض الحكيم

آية الله السيّد عادل العلوي
آية الله السيّد منير الخباز
العلّامة الدكتور الشيخ محمد باقر المقدسي

العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الإصلاح الحسيني

رئيس التحرير: .....*

الشيخ قيصر التميمي

مدير التحرير: .....*

الشيخ صباح عبّاس الساعدي

هيئة التحرير: .....*

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

د. الشيخ محمد الكروي القيسي

الشيخ أسعد التميمي

الشيخ ميثم الربيعي

المقابلة وتقويم النص: .....*

الشيخ عدنان الطائي

الشيخ عصام السعيد

الشيخ مصطفى الدالي

التصميم والإخراج الفنّي: .....*

السيّد صادق الحيدري

الشيخ حسين المالكي

عبد الزهرة الطائي

معتمد الترجمة الإنجليزية: ...*

بدر شاهين

الإشراف العام: .....*

سماحة الشيخ علي الفتلاوي

التنسيق العام: .....*

السيّد صالح التنكابني

السيد مالك البطاط

د. علي البديري

زيد فرج اللّه الأسدي

مريم هادي الياسري

إدارة المؤسّسة: .....*

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قم المقدّسة)

معاونية المؤسّسة: .....*

الشيخ عبّاس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ حيدر الأسدي (قم المقدّسة)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: ISSN: 978-964-984-240-7

هوية المجلّة

مجلّة علمية فصلية تخصّصية تُعنى بالبحوث المتخصّصة في مجال النهضة الحسينية، وكذا الدراسات العلمية في حقول المعرفة الدينيّة. تصدر عن مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدّسة.

اهتمام المجلّة

تهتمُّ المجلّة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

كما تهتمُّ المجلّة أيضاً باستقطاب ونشر البحوث والدراسات الدينية التخصّصية ذات الجوانب التجديدية والإبداعية، وذلك في كافّة الحقول والمجالات، فتمتدّ لتشمل الدراسات القرآنية والعقدية والفكرية والتاريخية والفقهية، وكذا ما يرتبط بالتراث الديني من الأدعية والزيارات والنصوص الدينيّة بشكلٍ عام.

فالمجلّة تتطلّع لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحسّاسة في أبواب العلوم والمعارف الدينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمّنة لجوانب من الإبداع والحداثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

أهداف المجلّة

١ـ إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينية من خلال البحوث والدراسات.

٢ ـ نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينية.

٣ ـ إحياء التراث الديني والحسيني.

٤ ـ فتح نافذة علمية لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافة حقول المعرفة الدينية.

٥ ـ الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكِّرين.

٦ـ استثمار الأقلام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب البحوث والدراسات والمقالات العلمية القيّمة لنشرها تعميماً للفائدة.

٧ ـ فسح المجال أمام الباحثين والمفكِّرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلّة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.

٨ ـ التصدّي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول الدين بصورة عامّة والنهضة الحسينية بصورة خاصّة.

ضوابط النشر

تدعـو المجلّة العلماء والأسـاتذة والباحثـين وكل مَن لديه اهتـمام في مجال الكتابة والتحقيق إلى رفدها بنتاجاتهم القيّمة، على أمل ملاحظة الأُمور التالية:

- أن تكون البحوث مرتبطة باختصاص الـمجلّة وأركانها.
- ألّا تكون منشورة أو بصدد النشر في كتاب أو مجلّة.
- أن تكون ضمن المناهج العلميّة المتَّبعة.
- أن تكون بحوثاً مبتكرة وبلغة معاصرة.
- أن يكون البحث على قرص ليزري فيما لو كان منضداً.
- حقوق النشر محفوظة.
- الأفكار المطروحة لا تعبِّر بالضرورة عن رأي الـمجلّة.
- لا تعاد البحوث لأصحابها نُشِرَت أم لم تُنشَر.
- يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنيّة.
- إجراء التعديلات والتلخيصات اللازمة من صلاحيات الـمجلّة.
- للمجلّة حق إعادة نشر البحث أو المقال في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصه الأصلي.
- كل ٢٥٠ كلمة تحسب صفحة واحدة.
- تتّبع الـمجلّة نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
- تعتبر الأولوية في الـمجلّة للمقالات والبحوث الحسينيّة.
- الـمجلّة غير ملزمة بنشر ما يقل عن ١٥ صفحة أو يزيد عن ٣٠ صفحة.

مراكز النشر

* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ المكتبة العلمية.

* النجف الأشرف: شارع الرسول صلى الله عليه وآله ـ مكتبة دار الهلال.

* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ دار الغدير.

* كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينيّة المقدّسة.

* بغداد: شارع المتنبّي ـ مكتبة العين.

* البصرة: العشّار ـ مكتبة الإمام الهادي عليه السلام.

* إيران / قم المقدّسة: شارع معلم ـ سوق ناشران ـ معرض العتبة الحسينية المقدّسة.

* إيران / قم المقدّسة: صفائية ـ سوق الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ مكتبة فدك.

* إيران / قم المقدّسة: سوق كذرخان ـ مكتبة الهاشمي.

المحتويات

كلمة التحرير

كلمةُ التّحرير

رئيس التحرير ١٣

ملف العدد
دراسات في الخطاب الحسيني

الخطاب السياسي في نهج الإصلاح الحسيني

أ. م. د. عبد الكريم عبد الحسين الدباج ٢٣

المضامين الإصلاحية في خطب الإمام الحسين عليه السلام ومواعظه

م. د. ثائر عباس النصراوي/ م. د. مجبل عزيز جاسم ٦٩

قراءة نافية للروايات المنسوبة إلى الإمام الحسين عليه السلام في المصادر التاريخية

أ. د. حاكم حبيب الكريطي ٩١

دور أقوال الإمام الحسين عليه السلام في تنمية القيم الإسلامية.. واقعة الطفّ أُنموذجاً

م. حيدر محسن الشويلي ١٠٩

مرويات الإمام الحسين عليه السلام في تفاسير العامّة

أ. م. د. عصام كاظم الغالبي ١٤١

الترغيب والترهيب منهجٌ تربوي للقرآن الكريم وللإمام الحسين عليه السلام

أ. د. فاطمة عبد الأمير الفتلاوي/ م. د. زهراء رؤوف الموسوي ١٦٧

الأبعاد السياقية في كلام الإمام الحسين عليه السلام

د. حامد بدر عبد الحسين/ م. م. حسن رحيم السلطاني ١٩١

الإحالة الضدّية في خُطَب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

أ. د. شاكر سبع الأسدي/ م. د. نوال جاسم محمد المنصور ٢٠٩

التضادّ في الخطاب الحسيني ودوره في انسجام النصّ

م. م. زينب هاشم حسين/ م. م. فاطمة الأسدي ٢٣٧

التقابل الأُسلوبي في خُطب الإمام الحسين بن علي عليهما السلام

م. د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي/ أ.م. هادي سعدون العارضي ٢٦٥

الخطاب الإسلامي المعتدل وأثره في ترسيخ أُسس التسامح والتعايش السلمي

أ. د. باسم باقر جريو ٢٩٧

خلاصة المقالات باللغة العربيّة والإنجليزية ٣١١

كلمة التحرير

كلمةُ التّحرير

رئيس التحرير

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصيّة في النهضة الحسينيّة، هي مؤسسة فكريّة علميّة تخصّصيّة تابعة للعتبة الحسينيّة المقدّسة، ذات فروع متعدّدة، ينحصر اهتمامها في المجال العلمي والتخصّصي للنهضة الحسينيّة المباركة، تعمل على التأسيس لبناءٍ علميّ مختصّ رصين في كافّة أبعاد النهضة الحسينيّة وآفاقها الواسعة، الفكريّة والتاريخية والاجتماعية والأخلاقيّة؛ لما لها من عمق إنساني، وتستند في منهجها العام إلى ركائز الأصالة والعمق المعرفي وقداسة التراث الديني من جهة، وتحمل بالمستوى ذاته روح الحداثة والتجديد والإبداع من جهة أُخرى.

وقد حملت مؤسستنا على عاتقها لواء الإصلاح الذي حمله الإمام الحسين عليه السلام لهداية الأُمّة، وكانت ثمرة تحمّل تلك المسؤولية الثقيلة العمل على تأسيس مجموعة واسعة من المشاريع الحسينيّة العلميّة التخصّصيّة المهمّة والحسّاسة والمؤثرة في المجالات العلميّة والاجتماعيّة، وقد أنتجت تلك المشاريع المباركة نتاجات كبيرة يتطلبها واقعنا الفكري والاجتماعي، ومن تلك المشاريع المهمّة والمحوريّة مشروع (المؤتمرات والندوات العلميّة والتخصصيّة) في مجال النهضة الحسينيّة ودورها الرائد في إصلاح الأُمّة، ويمثّل هذا المشروع المبارك أحد الأقسام المهمّة في المؤسسة، وقد بذل الإخوة الأعزاء الأفاضل في هذا القسم جهوداً استثنائية ومتواصلة، حيث عملوا وفي فترة قياسيّة على عقد ملتقيات وندوات علمية متنوّعة وفي أماكن مختلفة، في داخل العراق وخارجه، أثمرت جملة من البحوث المهمّة المختصّة بنهضة الإمام

الحسين عليه السلام ومكانتها في المجتمع، كما أثمرت وأثّرت أيضاً في تحريك الأساتذة والنخب والباحثين للإنتاج المعرفي في هذا المجال بالخصوص.

وأما بالنسبة إلى إقامة المؤتمرات، فبعد الجلسات العلميّة المتواصلة والتخطيط المدروس والمتواصل مع الجامعات والكليّات ذات الصلة بالعلوم الدينيّة والإنسانيّة، التقينا بثلة طيّبة من الأساتذة الأكفاء في كلّية التربية المختلطة التابعة لجامعة الكوفة الموقّرة، وقد وجدنا فيهم روح التفاني والإخلاص لدينهم ومبادئهم ومجتمعهم ووطنهم، وهم الذين بادرونا مشكورين بإمكانية عقد مؤتمر للإصلاح الحسيني في كلّيتهم الموقّرة، وكان ذلك بمباركة وتشجيع لهم من عميد الكليّة الدكتور باسم باقر جريو (رحمه الله)، وبعد مفاتحة المتولّي الشرعي للعتبة الحسينيّة المقدّسة (دامت بركاته) وتشجيعه لنا بالقيام بأعباء هذا المؤتمر المبارك، باشرت المؤسسة بالتخطيط لإقامته مع كادر الكليّة الموقّر، وقد تمّ تشكيل مجاميع من اللجان المختصّة والمشتركة، وبعد الجهود المتواصلة والمتابعات الميدانية الفاعلة، تمّ اختيار عنوان المؤتمر الدولي السنوي الأوّل، وكان عنوانه: (الإصلاح الحسيني)، وقد تلاه العمل الجادّ والمتواصل لتحديد محاوره وموضوعاته المهمّة ذات الانعكاس المباشر على واقعنا الفكري والاجتماعي، ومن ثمّ المباشرة في الإعلان عنه والتواصل مع الكتّاب والباحثين وأهل القلم والإبداع الفكري في كافّة أنحاء العالم وإبلاغهم بمحتواه بغية استكتابهم، والذي أذهلنا وأسعدنا كثيراً وفي فترة قياسيّة أيضاً التفاعل الكبير مع عنوان المؤتمر ومحاوره وعناوينه التي دارت حول مبدأ الإصلاح الحسيني، وقد تلقّت اللجان المشتركة كمّاً كبيراً من البحوث والدراسات العلميّة الحسينيّة القيّمة، أكاديميّة وحوزويّة، من داخل العراق وخارجه، ما جعلنا نستشرف النجاح المتميّز للمؤتمر، وأعطانا جرعة معنويّة كبيرة في المواصلة لبذل جهود أكبر وأوسع، وكان الواقع بحمد الله كما استشرفناه، حيث كان المؤتمر مؤتمراً ناجحاً بكلّ المقاييس، وحاز صدىً علمياً وإعلاميّاً واسعاً، محليّاً وعالمياً.

وكان المغنم الأكبر الذي تعتزّ وتفتخر به مؤسستنا هو انفتاحها الكبير والمتميّز على أقلام جديدة رائدة وواعدة في المجال الحسيني، وسوف نحرص على الاستمراريّة في التواصل مع تلك النخب والطاقات العلميّة المختصّة، والتي نسعى جاهدين لإشراكها في مشاريعنا الحسينيّة المباركة؛ لأننا بحاجة ماسّة إلى هذه الأقلام المسؤولة في بناء وتنمية المسيرة العلميّة والتخصصيّة في المؤسسة، سواء على مستوى المجلّات التخصصيّة أم في الموسوعات العلميّة أم في المؤتمرات والندوات والملتقيات والفعاليات الصوتيّة والمرئية أم في غيرها من المجالات الحسينيّة الأُخرى.

وانطلاقاً من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**جمال العلم نشره**»[1]، وتثميناً للجهود العلمية التي بذلها الأساتذة والباحثون في هذا المؤتمر المبارك، واعتزازاً بما تضمّنه المؤتمر من معطيات فكرية قيّمة ورائدة، ارتأت رئاسة وإدارة تحرير مجلّة الإصلاح الحسيني نشر بحوثه ووقائعه في سلسلة أعدادها الفصلية، فانتظمت في أعداد أربعة، هي الأعداد: الرابع عشر، والخامس عشر، والسادس عشر، والسابع عشر.

وقد احتوى هذا العدد الماثل بين يديك عزيزي القارئ جوانب مهمّة من جنبات وقائع مؤتمر (الإصلاح الحسيني) الأوّل، حيث اختصّت وانتظمت بحوثه تحت محور وعنوان: (دراسات في الخطاب الحسيني)، وهي مجموعة من البحوث العلمية القيّمة والرصينة، والتي أشرف على تقويمها العلمي أساتذة أكفاء، مشهود لهم بخبرتهم العالية في مجال التحكيم والتقويم العلمي.

ولا يفوتنا التنبيه على أن الوقت قد ضاق بنا ذرعاً؛ لضخامة المؤتمر وضخامة موضوعه وكثرة البحوث التي توافدت إلينا من دون انقطاع، وهذا ما اضطرّنا لطباعة قسم من البحوث المحكّمة والمقبولة في ضوء الموازين العلميّة للمؤتمر، ونشرها في هذا العدد.

---

(١) الواسطي الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٢٢٢.

كـما لا يفوتنـا أيضاً التنبيـه على أننا حاولنـا أن نغض الطرف عـن بعض ما قد لا يتـواءم والضوابط العلمية والفنيّـة العامّة في المجلّة، لمراعاة الأمانـة العلمية، ونؤكّد عـلى أن الآراء الواردة في هـذه البحوث لا تعبّر بالضرورة عن آراء المجلّة وتوجّهاتها العامّة.

وفي نهاية المطاف نتقدّم بوافر الشـكر والامتنان إلى الأمانة العامّة للعتبة الحسـينيّة المقدّسـة، التـي أولت عنايتهـا الخاصّة بهذا المؤتمـر، ولولا ذلك ما خـرج مؤتمرنا إلى نـور التألق والنجاح، كما نتقدّم بالشـكر الجزيـل أيضاً للأمانة العامّـة للعتبة العلوية المقدّسـة على تعاونها المتميّز مع المؤسسـة، كما نشكر أيضاً أمانة مسجد الكوفة المعظّم على استقبالها الطيب للباحثين وكرم ضيافتها لهم، وكذلك شكرنا الموصول وامتناننا الوفير إلى رئاسـة جامعـة الكوفة الموقرّة وعمادة كليّة التربية المختلطة وأسـاتذتها على احتضانهـا لوقائـع المؤتمر والجهـود العلميّة والميدانيّـة الكبيرة التي بذلوها في سـبيل إنجاحه، كما نشكر أيضاً اللجان المشتركة التي أشرفت مباشرة وبصورة تفصيلية على متطلّبات المؤتمر العلميّة والتحضيريّة والتنفيذية إلى حين انعقاده.

ونسـأل الله تعالى لمؤسسـتنا المباركة ولكليّة التربية المختلطة الموقّرة ولكلّ مَن بذل جهداً مشكوراً لإنجاح المؤتمر دوام التوفيق والسداد، والسير على هدى وخطى سيد الشهداء ونهضته العالميّة المباركة، إنه قريب مجيب سميع الدعاء.

Editorial

Editor-in-chief

The Wārith al-Anbiyā' Institution of Specialized Studies on Imam al-Ḥusayn's Reformative Uprising, one of the multi-branch Imam al-Ḥusayn Holy Shrine Foundation, is dedicated to scientific and academic studies on the blessed reformative uprising of Imam al-Ḥusayn. Its main concern is to found a well-compacted scientific structure focused on all the wide-ranging domains and horizons of Imam al-Ḥusayn's reformative revolution, including the intellectual, historical, social, and ethical fields, given that this blessed reformative revolution enjoys a human profundity, basing its general course on the pillars of epistemic genuineness and insight as well as the holiness of the religious heritage and, at the same level, holding the spirits of modernism, rebirth, and creativity.

The Institution has taken upon itself the responsibility of raising the banner of reformation that was raised by Imam al-Ḥusayn for purpose of guiding the masses to the right path. The fruit of the Institution's having undertaken this precious responsibility has come in the form of establishing a big set of projects, all of which have been dedicated to presenting scientifically specialized studies of Imam al-Ḥusayn's reformative revolution; and all these studies have been greatly effective, valuable, and helpful in academic and social fields. As a result, these efforts have come with serious products desperately required by the intellectual and social state of affairs.

One of these important and essential products, however, was the project of holding academic and scientific conferences and forums, the main topic of all of which has been the pioneering role played by Imam al-Ḥusayn's revolutionary movement in reforming the affairs of the masses. In fact, this blessed project represents one of the major departments of the Institution, since our dear colleagues, running this department, have continuous exerted exceptional efforts and, in a very short time, succeeded to hold various academic and scientific conferences and symposiums in different areas of the world that resulted

in producing a big set of highly valued researches on the topic of Imam al-Ḥusayn's reformative uprising and its impacts on societies. These conferences have also motivated many professors and researchers on writing and researching in the different fields of the topic related.

As a result of these conferences that contained continuous academic sessions based on well-organized planning and contact with universities and colleges of human and religious studies, we have met a good company of competent professors from the Faculty of Education in Kufa University and found them enjoying such a high spirit of sincerity and devoutness to their religion, religious principles, society, and homeland that they suggested to us the holding of a conference on Imam al-Ḥusayn's reformative uprising inside the building of their faculty. It is worth noting that Professor Baqir Jrew, the dean of the faculty, blessed and encouraged the holding of such a conference. After receiving this appreciated suggestion, we discussed the matter with the legal manager of the Imam al-Ḥusayn Holy Shrine who also welcome the idea and encouraged us to take upon ourselves all the issues related to holding such a conference. Hence, the Institution, with the help of the staff of the Faculty of Education, started planning for holding the conference through forming a set of shared and specialized committees.

Continuous efforts were exerted and active field visits were paid and the result was that the first annual international conference was given the title: Imam al-Ḥusayn's Reformative Uprising. That was the initial step, which was followed by other steps of incessant and serious efforts for identifying the key topics to be discussed in that conference as well as the most important issues that directly reflect on the intellectual and social state of affairs of the community. As soon as promulgations for holding such a conference were made and contacts were made with writers, researchers, and men-of-letters known for their intellectual creativity from in and outside Iraq in order to encourage them on writing essays and researches on this topic, we were astonished at the startling reaction to the idea and the huge quantity of studies, essays, and researches presented to us, all of which were written on the topic of Imam al-Ḥusayn's reformative uprising by academics as well as teachers and scholars of the Religious Seminary. In fact, this fact delighted us very much, made us look forward to an outstanding success of the conference, and granted us a big push to exert greater and wider efforts. Thanks to God, the result was as expected, since the

conference achieved great success from all aspects and gained a local and worldwide scientific reaction and was covered by different mass media.

Besides, the greatest of all the achievements of the conference is the fact that it made our Institution open remarkably to contacting with new pioneering and promising writers who would write notable essays on the topic of Imam al-Ḥusayn's reformative uprising. The Institution will continuously keep contact with such writers and scientific powers in order to give them parts in its coming blessed projects, due to the urgent need of the Institution for such writers whom are hoped to contribute to building and developing the scientific course of the Institution through writing essays in the magazines and periodicals issued by the Institution, participating in writing encyclopedias on Imam al-Ḥusayn's reformative uprising, and participating in the conferences, forums, and audio and video activities that speak of Imam al-Ḥusayn and his blessed reformative revolution.

Putting into practice out Imam 'Alī's golden maxim, "The beauty of knowledge lies in spreading it," and evaluating the precious scientific efforts exerted by scholars and professors in the blessed conference, and in order to highlight the importance of the intellectual, valuable, and pioneering results of the conference, the editorship-in-chief and the management of the al-Islah al-Husayni Magazine have decided to publish the essays and researches presented in the conference in the Magazine's issues; namely, Issues 14, 15, 16, and 17. Accordingly, the current issue of the Magazine comprises major aspects of the events of the 1st Conference of Imam al-Ḥusayn's Reformative Uprising; therefore, the essays in this issue have been dedicated to a general title; namely, Studies of Addresses on Imam al-Husayn, containing a set of constructive and well-compacted scientific researches, methodologically revised by a number of proficient professors and scholars known for their sustained expert in the field of scientific judgment and assessment.

It is important to draw attentions to the point that because of the vastness of the conference and the multitude of its topics and researches, we could not have enough time to cover all the researches; therefore, we have had to print a small part of the researches, picking out only some of the essays that were characterized by precision and acceptability in light of the scientific criteria of the conference; therefore, only this little amount of the essays and papers will be published in the current issue .

It is also noteworthy that we have tried to overlook some papers that might seem to be incompatible with the technical and scholastic lines of the Magazine in order to observe scientific honesty. We are here to assure that the opinions contained in these essays do not necessarily express the general view of the Magazine.

Finally, we would cordially like to express our gratitude to the General Secretariat of the Imam al-Ḥusayn Holy Shrine for its special care for the conference, without which the conference would not have achieved such brilliance and accomplishment. Out acknowledgement is also extended to the General Secretariat of Imam 'Alī Holy Shrine whose staff cooperated remarkably with us and contributed to the success of the conference. Acknowledgement is also extended to the General Secretariat of the al-Kūfah Great Mosque for the kind reception of the guests and for the hospitality shown. Very much acknowledgement is also shown to the headship of the Kufa University and the deanship of the Faculty of Education for embracing the events of the conference and for the big field and academic efforts exerted by the professors and lecturers who contributed greatly to the success of the conference. Similar acknowledgment is extended to the shared committees that directly and exhaustively supervised and met the scientific and executive requirements and preparations for the conference.

Seizing this opportunity, we pray to the Almighty God to grant incessant success and prosperity to our Institution, the Faculty of Education in the Kufa University, and all those who contributed to making successful the conference. We also pray Him to keep their steps fixed on the true path represented by the guidance and the course of Imam al-Ḥusayn, Chief of Martyrs and leader of the blessed international reformative uprising. Verily, God is Ever-Nigh and Responsive to prayers.

ملف العدد

دراسات في الخطاب الحسيني

الخطاب السياسي في نهج الإصلاح الحسيني

أ. م. د. عبد الكريم عبد الحسين الدباج*

الفصل الأول: منهجية البحث

مشكلة البحث

منذ نشوء الخليقة وصراع الخير مع الشر يدور رحاه من أجل تصحيح مسار الحياة والنظم الاجتماعية التي يعبث بها الظالمون بين الحين والآخر، وقد اقتضت الحاكمية المطلقة للكون أن يقع على عاتق الأنبياء والصالحين مسؤولية تحقيق مهمة الإصلاح العام للحياة على وفق ما يقتضيه التكليف ويتطلّبه الابتلاء، فالإنسان مكلّف بعمارة الكون على وفق المنهج الإلهي، وخيرية دعواهم نابعة من طهارة نفوسهم التي تأبى إلّا أن ترفع الظلم من النفس البشرية، وتغيير الشعور الداخلي لأفراد المجتمع البشري، ورفدهم بمكارم الأخلاق وتقويم المنحرفين خشية على المجتمع من الهلاك بنزول العقاب الإلهي.

وإذ هم يصلحون اللاشرعية بالشرعية، فإنّ دعوتهم ولا ريب تبدأ: ﴿... بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1]، حفاظاً على سلامة الأرواح وإهراق الدماء وإهلاك النسل والحرث، لكن مسيرتهم الجهادية تتعدّى ذلك إلى الجهاد بأسباب القوّة المادية الممكنة إذا ما فرض الجائرون عليهم.

---

* جامعة الكوفة/ كلّية التربية.

(١) النحل: آية ١٢٥.

وهذا ديدن الصالحين في دعواهم الإصلاحية من أجل أن تستقيم الأرض بالعدل ويكون الدين كلّهُ لله، هكذا هي مسيرة الإمام الحسين عليه السلام سليل النبوّة الذي أبى أن ينتكس دين الله وأن تعيش أُمّة جدّه صلى الله عليه وآله ذليلة راضخة لسياط الظالمين، فوثب منتفضاً في وجه الطغيان الأُموي، فبدأ في دعوته الإصلاحية أوّل ما بدأ بجهاد الكلمة رجاء فواق الأُمّة التي استزلّها الشيطان فأنساها ذكر الله العزيز.

ومن هذا المنطلق يسعى الباحث إلى الوقوف على ماهية الخطاب السياسي عبر ما أفضاه الإمام الحسين عليه السلام من خطب وحوارات ومناشدات للأُمّة التي أقدمت على قتاله، لذا يمكن أن تتلخّص مشكلة البحث في التساؤل الآتي؟

ما هي مضامين الخطاب السياسي في نهج الإصلاح الحسيني؟

أهمّية البحث

تتجلّى أهمّية البحث بالأُمور الآتية:

١ـ أنّ إيلاء الاهتمام بدراسة الثورة الحسينية يعدّ من الأُمور الهامّة والحساسة؛ لما للثورة من مصدر كبير في تاريخ الأُمّة وفي تراثها الإسلامي.

٢ـ قد يكشف البحث عن بعض أسرار الثورة الإصلاحية الحسينية من خلال الوقوف على أبعادها الروحية والاجتماعية.

٣ـ يهتمّ البحث الحالي بدراسة التراث الحسيني؛ لما له من وقع كبير في نفوس المسلمين وتأثيره الوجداني على الضمير العالمي.

٤ـ يسلّط البحث الضوء على واقع حياة المجتمع الإسلامي إبّان الحكم الأُموي، وما كابده من جور في النواحي الاجتماعية والتحتية والاقتصادية.

٥ـ قد يكشف البحث عن الأسباب التي تكمن وراء واقعة الطف واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

هدف البحث

يهدف البحث إلى تعرف مضامين الخطاب السياسي في نهج الإصلاح الحسيني.

حدود البحث

يتحدد البحث الحالي بدراسة الخطاب السياسي في نهج الإصلاح الحسيني للمدّة الزمنية المحدّدة بسنة (٦١هـ) في كربلاء العراق.

تحديد المصطلحات

١ـ خطب: خاطبه مخاطبة وخطاباً: كلّمه وحادثه ووجّه إليه كلاماً، ويُقال: خاطبه في الأمر: حدّثه بشأنه[١].

٢ـ الخطاب السياسي: يعرِّفه الباحث إجرائياً: «**هو مجمل المخاطبات الكلامية والمنطقية التي صدرت عن الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف، والتي انضوت مضامينها على النصح والإرشاد، آملاً في صلاح الأُمّة التي أقدمت على قتاله ظلماً، وإنقاذها من براثن التبعية والهوان**».

٣ـ النهج: نهج، (النهج) بوزن الفلْس، و(المنهج) بوزن المذهب، و(المنهاج) الطريق الواضح، و(نَهَجَ) الطريق أبانه وأوضحه[٢].

٤ـ الإصلاح: صلح، الصلاح في اللغة: ضد الفساد، صلح وصلح صلاحاً وصلوحاً، والإصلاح نقيض الإفساد، وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه، وأصلح الدابّة: أحسن إليها فصُلحت[٣].

وفي الاصطلاح: عرّفه التهانوي أنّه: «**استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل**»، وقيل: «**هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع**»[٤].

---

(١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط: ج١، ص٢٤٣.

(٢) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح: ص٦٨١.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ص٢٦٧.

(٤) التهانوي، محمد علي بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون: ص٢١.

وعرّفه نصار: «تغيير الأحوال من السيء إلى الحسن، ومن الفوضى والمخالفة إلى الالتزام والاستقامة»[1].

ويعرّفه الباحث إجرائياً أنّه: «الإرادة الحسينية الباحثة عن التغيير وتقويم الاعوجاج الحاصل في الأُمّة، نتيجة استشراء المفاسد والانحرافات والمنكرات إبّان الحكم الأُمويّ تبعاً لفساد إدارته وابتعاده عن نهج الإسلام الحنيف، والجهاد لقطع دابره على وفق ما يدعو إليه الدين والعقل».

الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة

الإطار النظري

المبحث الأول: الإصلاح مفهومه وسبله

يعني الإصلاح: إزالة الفساد والسعي لإحلال الخير وإثبات الاستقامة، وتأكيداً على أهمّية الأمر بالإصلاح في الأرض جاء النهي عن الإفساد والأمر بالإصلاح والاضطلاع بمسؤولياته، وقد قال تعالى تأكيداً على أهمّية الأمر به والدعوة إليه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2]، ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[3]، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾[4].

وقد اشتملت كثير من الآيات القرآنية على أدلّة متنوعة بيّنت أنّ الإصلاح هو

(١) نصار، أسعد نصار، إصلاح الأُمّة في ضوء الكتاب والسنّة (دراسة في مفهوم الإصلاح واتجاهاته وآلياته)، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية: العدد١، ص٤٧٧.

(٢) فصلت: آية٣٣.

(٣) الأعراف: آية١٤٢.

(٤) هود: آية٨٨.

المهمّة العظمى للرسل والدعاة بالإصلاح العام للحياة[1].

لقد جاءت الآيات القرآنية لتؤكّد أنّ الصالح ما كان موافقاً لفطرة الإنسان ومنسجماً مع ضميره وعقله، والفاسد ما كان مخالفاً لذلك، إذ تقول الآية الكريمة: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[2]، فكلّ ما خالف هذه الفطرة فهو بعينه انحراف وفساد، ومن هنا تركّز الآيات القرآنية على الإصلاح بجميع أبعاده وعلى جميع الأصعدة الفردية والاجتماعية، وفي مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية، وهل للقرآن وظيفة غير الهداية والإصلاح!

ومن أجل المحافظة على سلامة المجتمع من الفساد والمفسدين، أمر الله تعالى بالوقوف أمامهم والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[3]، وقد جاء القرآن الكريم بسلسلة من الأوامر الصارمة ضد المفسدين في محاولة لاستئصالهم من المجتمع[4].

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاولة تغييره هو من مكارم الأخلاق؛ لما فيه من خدمة اجتماعية وصيانة للمجتمعات من الانزلاق في مهاوي الانحراف؛ لذلك حرص الإسلام على جعل كلّ المسلمين حرّاساً لأسوار الفضائل وتعاليم الدين الحنيف[5].

وقد اهتمّت السنّة الشريفة بكلّ ما فيه الإصلاح العام والتنويه بالإصلاح، وصلاح القلب والجسد وصلاح الشأن والحال، وصلاح الأعمال، وصلاح المؤمنين، وصلاح الدين والدنيا.

---

(١) القدوس، مريم عبد الرحمن أبو علي، الصلح والإصلاح في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أمّ القرى، ١٩٩٠م: ص٣٧.

(٢) الروم: آية٣٠.

(٣) لقمان: آية١٧.

(٤) المدرسي، محمد تقي، نظرة على مناهج الإصلاح في القرآن الكريم: *www.almodarresi.com*.

(٥) الميداني، عبد الرحمن حنبكة، الأخلاق الإسلامية وأُسسها: ج٢٢، ص٦٥٣.

والرسول الكريم صلى الله عليه وآله أكمل للأُمّة مسؤولية تقويم المنحرفين وحراسة حدود الإسلام، وهذه المسؤولية مسؤولية دينيّة أخلاقية، فحماية المجتمع من الانحراف وظيفة اجتماعية إلزامية ولا يجوز التخلي عنها في أي حال من الأحوال[1]، فعن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثمّ تدعونه فلا يُستجاب لكم**»[2].

إنّ مظاهر العناية بأمر الإصلاح بحمل لواء الدعوة إلى الله تعالى وتحمل مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما لها من أثر كبير في صلاح الأُمّة؛ ولذا كان للدعوة المكانة السامية في شريعة الإسلام، وقد عهد الله تعالى إلى الأُمّة أن تقوم طائفة منهم بالدعوة إلى الإصلاح[3]: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4].

والداعون المصلحون هم ورثة الأنبياء والمرسلين لتقويم النفوس وإنارة البصائر وفتح طريق الحكمة.

والدعوة نوعان:

١ـ دعوة يُقصد بها إنقاذ الناس من الضلالة والشر والواقع.

٢ـ دعوة يُقصد بها التحذير من أمر يُخشى عليهم الوقوع في بأسه[5].

وبهذا الخصوص يقول السيد الطباطبائي رحمه الله: «**فهو سبحانه الحاكم على الإطلاق والمطاع من غير قيد أو شرط كما قال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[6]، وقد أعطى من الأمر**

---

(١) المصدر السابق: ص٦٥٤.

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج٤، ص٢١٥. كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح٢١٦٩.

(٣) الخضر، حسين محمد، الدعوة إلى الإصلاح: ص١٠.

(٤) آل عمران: آية١٠٤.

(٥) المصدر السابق: ص١٥.

(٦) يوسف: آية٦٧.

والنهي والطاعة لرسله ولأُولي الأمر للمؤمنين من الأُمّة الإسلامية، فلا حرية لأحد، قال كلمة الحق التي يأتون بها ويدعون إليها، وقال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[1]»[2].

إنّ الإصلاح رسالة يُرتجى منها التصحيح لمسار الإنسانية ولحركة الحياة الاجتماعية، وحركات الإصلاح تنزع إلى تخفيف مسار الظلم الاجتماعي، وتصحيح الأوضاع الفاسدة عن طريق إجراء تعديل في النظم الاجتماعية من دون أن تؤدّي إلى تغيير البناء الأساسي للمجتمع[3]، و«**قد يمتدّ الإصلاح إلى جوانب شتّى من جوانب المجتمع، ويدخل عليه تغيرات كبيرة ربّما كانت أشبه بالثورة الاجتماعية، والثورة الحقّة هي تلك التي تؤدّي إلى إصلاح جذري**».

إنّ الإصلاح يكون إمّا لمنع إفساد الصالح أو لإزالة فساد حاصل، فللفساد ـ أيّاً كان نوعه ـ تأثير في جميع شؤون الحياة أدّى ذلك إلى الفساد الإداري لارتباط الإدارة بجميع جوانب الحياة، فالإصلاح لازم للإدارة لزومه لجميع شؤون الحياة، فهو العاصم من الفساد المانع للهلاك، وهذا يعني ليس بالضرورة أن تكون الحاضنة إليه بسبب الفساد الإداري دون غيره، فهو وسيلة تُستخدم في حالات ظهور أو توقّع ظهور الفساد الإداري، ولذلك فالإصلاح قبلي وبعدي، والإصلاح القبلي يكون بالتعليمات والتنظيمات السابقة لظهوره، أمّا الإصلاح البعدي فيكون بعد ظهوره أو بداية مظاهره فيتمّ في ضوء ذلك معرفة وسائل الإصلاح أو اختلاف أسباب الفساد[4].

---

(١) النساء: آية٥٩.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٠، ص٣٦١.

(٣) بدوي، محمود، رسالة الإصلاح: ص٩.

(٤) الضحيان، عبد الرحمن إبراهيم، الإصلاح الإداري (المنظور الإسلامي والمعاصر والتجربة السعودية): ص٤١.

والمجتمع البشري بحاجة إلى القوى الخيرة التي تقوده، ولا ريب إلى الحياة الفاصلة، ولا سبيل إلى ذلك إلّا بقمع الفساد الإداري[1].

وتختلف اتّجاهات الإصلاح وتوجّهات المصلحين، فهناك الاتّجاه الذي ترتكز فيه الجهود لإقامة الحكم الصالح وتغيير الأوضاع بالثورة على الأوضاع الفاسدة والغضب لنظام الإسلام وكرامته المهدورة، وهناك اتّجاه آخر يرى أنّ الإصلاح يجب أن يكون من الداخل؛ لأنّ مصائب الأُمّة نتيجة لعلل وأمراض في جسد الأُمّة نفسه[2].

صفات المصلح وآدابه

إنّ كلّ مَن ندب نفسه للإصلاح عليه أن يحرص على آداب تكمّله وصفات تجمّله، ولا بدّ أن يتحلّى بها وهي:

١ ـ أن يكون الإخلاص الباعث الحقيقي له على الإصلاح، وأن يبتغي بإصلاحه وجه الله تعالى.

٢ ـ أن يكون مرجعه في الحكم إلى شريعة الله، فعلى المصلح أن يرجع في إصلاحه إلى الأصل في الحكم وهو أمر الله تعالى وشريعته.

٣ ـ أن يكون العدل لسان الميزان في الإصلاح.

٤ ـ الصدق في النية وفي القول دليل الإخلاص.

٥ ـ أن يكون ذا حكمة وبصيرة ثاقبة وذا حلم وأناة.

٦ ـ مكانته السامية وشرفه وعلو شأنه لزيادة فضل وحيازة تميّز بدين يقرّبه، أو علم عُرف عنه، أو حلم اشتُهر به، أو حزم، أو عقل، أو حسب، أو نسب يُنظر إليه.

---

(١) المصدر السابق: ص٨.

(٢) بدوي، محمود، رسالة الإصلاح: ص١٦ـ١٨.

٧ ـ فطنته ودرايته في الأُمور وعلمه بالأحكام ومعرفته بالتقاليد والأعراف.

٨ ـ علو الهمّة ورفعة الخلق والمروءة وسلامة السريرة.

٩ ـ العلم والفقه في الدين والعمل بمقتضاه.

١٠ ـ مواجهة العقبات وركوب المصاعب وتحمل التعب والمحن.

١١ ـ السماحة والجود.

١٢ ـ التوكّل والصبر والتيقّن ومقومات بناء النفس.

١٣ ـ الاستعداد لبذل الروح والدم.

١٤ ـ النفس الكريمة التي تأنف الفساد والقصور والتقصير والفوضى[1].

المبحث الثاني: آل محمد عليهم السلام والضرورة الحتمية في إقامة العدل الإلهي

ممّا لا شكّ فيه أنّ الوثنية قُبَيل الإسلام كان لها من القوّة والفعل ما مكّنها من الهيمنة على أرض الجزيرة، وكانت تستمد قوّتها من الطبقة المتنفذة في قبيلة قريش التي كان لها السيادة في مجال التجارة والمال، وإحكام السيطرة على شؤون البيت الحرام، وعلى المناسك والطقوس العبادية لما تحقق لها من سيطرة مطلقة على مقاليد الأُمور في مكة، والتصدي لكل مَن يمس سلامة الأصنام التي هي رهين وجودها ومكانتها بين العرب.

إنّ تعظيم الأصنام والاستكانة إليها والتعالي بها على ربّ العزّة كان يحزّ في نفوس الموحدين الأحناف، وفي صدارتهم بنو هاشم لما كانوا يرونه من انتكاس في القيم الروحية والأخلاقية التي أضحى في ظلِّها المجتمع العربي جاهلاً ومضطرباً.

وعندما اختصّ الله تعالى بني هاشم بشرف الرسالة ثارت حفيظة أبي سفيان ومناصريه، وتفاقم حسدهم وكراهيتهم للبيت النبوي الشريف، وكان من نتائجها مجابهة الدعوة الإسلامية ومقارعة بني هاشم، فشهد بنو هاشم أنماطاً مختلفةً من

(١) أُنظر: القدوس، مريم عبد الرحمن أبو علي، الصلح والإصلاح في القرآن الكريم: ص٧٨ـ٩٦.

الضغوط المادية والنفسية كان الهدف منها إجبارهم على التخلّي عن دينهم الحنيف، وواجهوا إثرها مواقف عصيبة كان في صدارتها المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية والتهجير القسري إلى شعاب الجبال. وهي بحد ذاتها كانت مؤامرة حبكها المشركون لاستئصال بني هاشم. وبرغم المآسي وفداحة الابتلاء التي تعرّضَ لها الهاشميون إلّا أنّهم لم يهنوا ولم يضعفوا، وصبروا على ما أصابهم وضربوا في ذلك أروع الأمثلة.

وكان أبو سفيان بن حرب يعتقد أنّ بني هاشم قد اتّخذوا من النبوّة طريقاً لاقتناص السلطان وحجةً للهيمنة على الملك والتفرّد بالزعامة، وبتمكّنهم من مقاليد الحكم قد عزلوا بني أُمية ومن شايعهم من زعماء القبائل العربية، وهذا إنّما كان ينّمُ عن واقع حال بني أُميّة المرتكز مبدؤه على حبّ الدنيا والتعلّق بآمالها وأمانيها، فأسدلوا الستار على سُبل الآخرة، وتاقت نفوسهم إلى الدنيا طمعاً في السلطان وحبّاً في الشهوات، فأنفت ذكر الله العظيم وترفّعت عن الإيمان بنبيّه الكريم وظلّت قلوبهم القاسية تتربّص برسول الله وأهل بيته، ولم يعِ أبو سفيان أنّ احتضان بني هاشم للإسلام وتبنّي رسالته الشريفة وتحمل أعباء مسؤوليتها الكبرى هو في حد ذاته أمر راجع إلى الله تعالى، وإلى حكمته وبعلمه بأحوال الخلق، فمُثل السماء العليا وقيمها السامية قد تمثّلت بخُلُق بني هاشم، فكانوا يتخلّقون بمكارم الأخلاق، فضلاً عن انتمائهم إلى إبراهيم الخليل عليه السلام وتديّنهم بدينه الحنيف، وهذا ممّا أهّلهم لأن يكونوا بذرة الإسلام الطيبة في الجزيرة العربية التي أسفرت فيما بعد عن انبثاق الرسالة المحمدية الخالدة، والله أعلم حيث يجعل رسالته: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1].

فمن ألطاف العناية الإلهية تدبير أمر الخلق حتى قيام الساعة، فمدت له جسور رحمتها الواسعة عبر اصطفاء النخبة الخيرة من الصدِّيقين، ليكونوا أوصياء مستحفظين بُعَيد رحيل الأنبياء عليهم السلام؛ كي لا تكون للناس حجّة على الله تعالى بغياب المصلح والمخلِّص، وكان هذا شأن الرسالات السماوية، فلكلّ نبيّ وصي، وبذلك

(١) الشعراء: آية ٢١٤.

تتواصل مسيرة الأديان عبر الحياة من أجل أن يسير الناس على هدى الله العزيز، فكلّ نبي منذر ولكل قوم هاد، وهكذا هي المشيئة الإلهية في الخلق، ومن هنا تتّضح ضرورة الإمامة وأسباب جعلها منصباً إلهياً كما ورد على لسان القرآن الكريم: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

وتُستشف من النص الشريف أنّ الإمامة رهن الإيمان والطهارة الروحية فلا يمكن ـ وفق تعاليم الشريعة الإلهية ـ أن يتقلد منصبها مَن كان مشركاً أو مَن سبق له الشرك أو ناغمت أحاسيسه ومشاعره مبادئ الإشراك، وتدنست نفسه برجس الوثنية.

على أنّ مهام الوصاية ومسؤولياتها ـ بالنسبة لآل الرسول صلى الله عليه وآله ـ أكبر حجماً وأكثر تعقيداً من سائر الوصايات التي سبقتها، وذلك لأسباب عديدة منها:

١ـ باعتبار الرسالة المحمدية خاتمة الرسالات السماوية وإليها ينتهي بعث الأنبياء عليهم السلام ممّا أهّلها لأن تكون مقترنة مع الحياة في ديمومتها، فيكون مداها الزمني أوسع بُعداً وأكثر طولاً، كونها رسالة عامّة للمجتمع الإنساني بجميع دياناته وملله ونحله وألوانه وأطيافه وطوائفه، ممّا يوجب اتّساع مهامها ومسؤولياتها اتّساعاً عظيماً فيُلقي بكاهلها وثقلها بالتالي على الأوصياء أنفسهم.

٢ـ زيادة الكثافة السكانية الذي يُسفر دائماً عن اتّساع الهوّة بين الاتجاهات الفكرية والعقائدية للمجتمع البشري نتيجةً لتعدّد الأديان والمذاهب، وهذه التعدّدية تُلجئ المجموعات البشرية إلى التكتّل والانطواء نتيجةً لتباين آرائها ومبادئها ومعتقداتها، ممّا يزيد في حدّة التوتّر والاضطراب في الأمن العالمي، ويؤدّي بالتالي إلى احتدام المجتمع البشري فيما بينه ويكون سبباً في دمار بُناه وانهيار كيانه، ممّا يستلزم وجود

(١) البقرة: آية ١٢٤.

العقليـة العلميـة المسـؤولة التي تأخـذ على عاتقها مسـؤولية صلاح المجتمـع وتدبّر شـأنه لتجعله وحدة واحدة من خلال احتواء مشـكلاته وتناقضاته ومقارعة تناحره الفكري وتشتته العقائدي، وإزالة العقبات والمعوقات التي تحول دون تحقيق سعادته وبنائه الروحي.

٣ـ تنامـي الوعـي العلمـي والثقـافي للمجتمع الإنسـاني، تبعـاً للتطـور العلمي الحاصـل عـبر الأزمان، وبلوغ المدنية مسـتوى مـن الرقي يؤهلها ـ عـلى الدوام ـ إلى اكتشاف المجهول واختراع الكثير من الحقائق العلمية؛ ممّا يجعل المجتمع الإنساني في دوّامة من التسابق العلمي والصراع الحضاري، وتكون مراكز قواه في احتدام مستمر من أجل الهيمنة والنفوذ، فتُسحق بذلك الروابط والاعتبارات الإنسانية بسبب إهمال متطلبات المجتمع وقيمه الروحية يصبح الإنسـان في ظلها في متاهة الضياع النفسي، نتيجةً لفقدان التوازن الطبيعي بين مسـتلزماته العقلية والروحية، ممّا يسـتلزم وجود العقليـة المتبـصرة المؤمنة المسـؤولة، من أجل احتـواء روح العصر ومخاطبـة انفتاحه العلمـي الواسـع بلغة العقـل والـروح لا بلغة أحدهمـا؛ حفاظاً على سـلامة النفس البشريـة من تأثيرات الرتابة والتقولب الفكـري، وصيانةً لها من الانزلاق في مهاوي الرذيلة والانحلال الخلقي بسـبب غياب العقل وغلبة الشهوة، وأنّ في انتفاء أحدهما ضياعـاً لمقاييس النفس البشريـة وانقلاباً لموازينها الحياتية. كما أنّه ليس في حسـابات تلك القوى السـعي باتجاه تحقيق التوازن بين عنصري العقل والروح ـ وفق ما تريده التعاليم السـماوية ـ خوفاً على سلامة مصالحها العامة، إذ إنّ همومها وآمالها ورغباتها ترتكـز جميعـاً على أهداف دنيويـة نفعية لما تكفل لها مـن دوام الهيمنة على المجتمعات الأُخـرى، وهـي بذلك لا تلتفـت إلى القيم الروحيـة إلّا بقدر ما يخـدم أهدافها، لذا فهي لا تأبه لامتهان القيم الإنسـانية، وخاصة الاجتماعية منها، أو انتهاك حرمتها ما دام ذلـك لا يتعـارض مع مصالحها الحيوية، وهذا بحد ذاتـه مدعاة إلى نشر الإباحية والتفسّـخ الخلقـي بين الأفراد يصبـح فيما بعد خطـراً يهدد سـلامة المجتمع البشري

قاطبـةً. وأنّ وجـود مثل هذه العقلية المتبصرة المسـؤولة يحقق ولا شـك التكامل بين عناصر بناء الشـخصية الإنسـانية بجميع أبعادها واتجاهاتها يسفر فيما بعد عن تحقيق التوازن العام في المجتمع الإنسـاني تبعاً لعلميتها ونكران ذاتها وإيمانها وكمالها الخلقي المطلق، وأنّ ممارسـة دورها المسـؤول يجعلها على الدوام في صراع مع القوى المتجبِّرة التي تسـعى إلى اسـتعباد العالم وامتهان الضعفـاء من أجل إيجاد ذاتها ورفعة شـأنها، ولا يكـون نتيجة هذا التوازن المجابهـة العنيفة مع القوى الآثمة وصد طوفان ظلمها وفسـادها العارمين حتى تلاشى شرورها ومحق استعلائها فحسب، بل يكون نتيجته أيضاً خلق المجتمع الإنساني الأمثل.

٤ـ اتّسـاع الرقعـة الجغرافية للمجتمع الإنسـاني بسـبب الزيادة المطّـردة في النوع البشري الذي يؤدِّي على الدوام إلى اتّساع المد السكاني في أرجاء المعمورة بحيث يشغل المناطق النائية والقاسـية بسـبب عوامل رئيسة تتعلق بحياة الإنسان وظروفه المعاشية منهـا البحث عن العمل والأمن والاسـتقرار، ممّا تكون سـبباً في صراع المجموعات البشرية من أجل البقاء وتنافسها من أجل تحسين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية. والذي يساعد على ذلك التباين الحاصل في معدل توفر الثروات الاقتصادية والموارد الطبيعية بين البلدان الذي يدفع البعض منها للسـعي الجاد والعمل الحثيث للسيطرة عـلى ثروات البلدان الأُخـرى من أجل فك أزمتها الاقتصادية الخانقة، فيكون بذلك سـبباً في تصـارع القـوى من أجـل احتـكار الثـروات الاقتصاديـة العالميـة وإحكام السـيطرة على العملية الاقتصادية من أجل تثبيت مراكزها وتقوية نفوذها وسطوتها، وأنّ ذلك يجري ولا ريب على حساب مصالح المجتمعات الضعيفة والفقيرة التي لا تمتلك إلّا القبول بالواقع المأسـاوي ما يؤهل تلك القوى إلى اسـتعمار الشـعوب من أجـل امتصاص خيراتها واحتواء مواردها وثرواتهـا الذي يحقق لمجتمعاتها الازدهار والانتعـاش الاقتصـادي، فـلا يكون هناك تكافـؤاً في توزيع الثـروات فيختل بذلك ميزان القوى ليعيش المجتمع البشري في ظله في تدهور واضطراب.

وأنّ هـذا التفاوت العظيم في الموازين والمعـادلات الاقتصادية يمكّن هذه القوى مـن امتلاك زمام الأُمور ليسـت الاقتصادية فحسـب، بـل الأُمور العامّـة أيضاً؛ لذا تتحكّم بالمجتمعات الأُخرى وفق ما تملكه من أسباب القوة الاقتصادية التي هي سر قوّتها العسكرية وسطوتها الجبارة.

ووجـود مثـل هذه العقلية المسـؤولة ضرورة حتمية؛ من أجل مجابهـة هذا الاتّجاه الهـدّام، مـن خلال تفويـض قدراتها العقليـة الرائـدة وإمكانياتها العلميـة الجبّارة في خدمة الإنسـان؛ لمحق التيارات المتطرفة ومبادئها النرجسـية، وبناء مجتمع أمثل يقوم عـلى أسـباب احترام النوع البـشري والتفاعل مـع آلامه ومعاناته، وتحقيـق متطلباته وتلبية احتياجاتهِ دون تعدٍ أو تفريط في ضوء قولهﷺ: «**كلّكم لآدم وآدم من تراب**»[1] باعتباره مجتمع واحد فيسود بذلك في ظلّها الخير والسلام.

لذا فرسـول اللهﷺ لم يأمر المسلمين بعدم السماح للطلقاء وقرنائِهم باعتلاء منبره إلّا لعلمه بحقيقة أولئك الدنيويين فباعتلائهم زعامة المسلمين يُعيدوا المجتمع العربي إلى الجاهليـة وآثارهـا الهدّامـة، وأنّهـم لا يبالون لما يعبثـون به ما دامـت الزعامة هي الطريق لتحقيق شهواتهم، فنفوسهم اشرأبّت برجس الجاهلية وأدرانها ولم يطهروها بالإسلام. وهذا ما كشفت عنه الأيام ـ غداة اعتلاء معاوية الحكم ـ من أحداث دامية وفساد كبير جرّاء ظلمهم واجترائهم على الخلق، وعبثهم بالأموال وامتهانهم مبادئ الإسـلام وتعاليمه السمحاء، وقد أوضح معاوية صراحة عمّا يضمره من أحقاد تجاه آل الرسولﷺ وللمسلمين من خلال خطابه الذي ألقاه في الكوفة بُعيد إبرام الصلح مع الإمام الحسـن الزكيعليه السلام، والذي تنصّل فيه عن كلّ بندٍ من بنوده، إذ قال مخاطباً الكوفيـين: «**يا أهل الكوفة، أتـراني قاتلتكم على الصلاة والـزكاة والحج؟! وقد علمت أنّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون، ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم وعلى رقابكم، وقد أتاني الله ذلـك وأنتـم كارهـون، إلّا أنّ كل مـالٍ أو دمٍ أُصيـب في هذه الفتنـة فمطلول، وكل**

(١) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول: ص٣٤.

شرطٍ شرطته فتحت قدمي هاتين، ولا يصلح الناس إلّا ثلاث: إخراج العطاء عند محله، وإقفال الجنود لوقتها، وغزو العدو في داره، فإنّهم إنْ لم تغزوهم غَزوكم»[1].

المبحث الثالث: النهج الأُموي في إقامة الدولة السفيانية

أدرك معاوية أنّه لا بدّ من رسم خطى سياسته التي ينبغي أن تصبح فيما بعد دستوراً يسير عليه خلفاؤه من آل أبي سفيان ممّا يكفل تحقيق السلطة والزعامة في البيت الأُمويّ، وتمثّلت أُطر تلك السياسة بأُمورٍ عدةٍ نوجزها بما يأتي:

١ـ الإمساك بقبضة الحكم بيدٍ من حديد وعدم التفريط به خشية ضياعه وتبدده، فمعاوية يعلم جيداً أنّ بني أُميّة مفروضون على الرعية، وأنّ حكمهم إنّما جرى بالغلبة والقهر، وهذا ما يفرض استخدام القوّة والعنف ضماناً لتوطيد أمنهم وتثبيت سلطانهم.

٢ـ اتّباع منهج الازدواج السياسي في إدارة شؤون الرعية من خلال أسلوبي الترهيب والترغيب والوعد والوعيد، من أجل ضمان كسب النفوس الضعيفة وشراء الذمم، حيث يمكن من خلالها تحقيق حالة التأييد لبني أُميّة والحصول على قاعدة شعبية في أوساط المجتمع الإسلامي.

٣ـ ضمان أمن الدولة، من خلال تأمير الوضعاء الأجلاف ممّن يمتازون بولائهم المطلق لبني أُميّة أو ممّن شهِدَ لهم التاريخ بعدم طهارة مولدهم ولؤم حسبهم، فصار ذلك عقدة تحزُّ في نفوسهم فحسدوا الناس وبغضوا الأشراف حتى غلظت قلوبهم وماتت ضمائرهم، فاستهانوا بالخلق واستهتروا بالقيم وأوغلوا بالدماء سدّاً للنقص وتلافياً لواقعهم المأساوي المرير، أمثال زياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة وبسر بن أرطأة، وهؤلاء كان لهم حضوةً وشأن لدى معاوية فقرّبهم وأغدق عليهم الأموال وأجزل إليهم العطايا، فكانوا القوّة الضاربة له، وشهِدَ لهم التاريخ أياماً حمراء ليس لها مثيل في تاريخ المسلمين، وكان لقسوة هؤلاء الولاة الأثر الكبير في سلب الحريات وإذلال

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج١٦، ص١.

النفوس وإخضاع الرقاب وإماتة الضمائر، وكان ظلمهم ينصبُّ خاصةً على العلويين والموالين لهم.

٤ـ تسخير الأموال لخدمة التاج الأُموي وتوسيع قاعدة الولاء القهري لبني أُميّة وإغداق الأموال من أجل تمجيد شأنهم وتعظيم أمرهم، وصرف أذهان الناس وأنظارهم عن الصورة السيئة التي يحملونها عنهم، واختلاق الأحاديث والأخبار التي ترفع من قدر معاوية ومكانته في الإسلام، كالخبر الذي رواه معاوية عن نفسه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ قال له: «**أنّك ستلي الخلافة من بعدي فاختر الأرض المقدّسة فإنّ فيها الأبدال**»[1]، والحديث المرفوع عن أبي هريرة وأنس ووائلة: «**الأمناء ثلاثة، جبريل، وأنا، ومعاوية**»[2]، والحديث الذي رواه الطبراني: «**... عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني، قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول لمعاوية: اللّهم اجعله هادياً مهدياً وأهدِهِ وأهدِ بهِ**»[3].

وكان للعامل المادي أثرٌ كبير في إفساد الضمائر وخراب النفوس، إذ كان المأجورون لا يبالون من ارتكاب أبشع الجرائم وأقبح الأعمال لقاء مبالغ زهيدة.

٥ـ تشكيل نظام مخابراتي يكفل ضمان السيطرة على مجريات الأحداث في الأمصار الإسلامية ورصد تحركات المناوئين من خلال زرع العيون وزجّ المأجورين في صفوف العامّة، والعمل على تصفية المعارضين وفق أساليب ماكرة تُبعد الشبهة عن رأس النظام وتَحول دون إثارة الفتن والاضطرابات، وقد أدّى ذلك ـ برغم حرص معاوية وحيطته ـ إلى نشر حالة القلق والذعر بين الرعية وفقدان الثقة فيما بينها لعدم اطمئنان البعض للبعض الآخر، وكان سبباً في تثبيط عزائم المناوئين لأن يواصلوا جهادهم.

٦ـ يقول الدينوري في هذا الخصوص: «**فإنّ الطريقة المثالية عنده في التخلّص من**

(١) المصدر السابق: ج٤، ص٧٢.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص١٢٠ـ١٢١.

(٣) الطبراني، سليمان بن أحمد، مسند الشاميين: ج١، ص٩٠ـ٩١.

أعدائه هي القضاء عليهم بأقل ما يمكن من الضجيج، والذي يرتفع بهذا الظنّ إلى مرتبة الاطمئنان ما نعلمه من أنّ معاوية كان قد وضع الأرصاد والعيون على الحسين وعلى غيره ممّن يخشاهم على سلطانه وأنّهم كانوا يكتبون إليه بما يفعل هؤلاء، ولا يغفلون عن إعلامه بأيسر الأمور وأبعدها عن إثارة الشك والريبة»[1].

٧ـ إضفاء مظاهر العظمة والأُبّهة إلى مراكز الحكم من خلال الاهتمام بمعالم العمران وغيرها من المظاهر الشكلية وإقامة الحُجُب والموانع بين الحاكم والرعية، وإلزام الرعية بجملةٍ من المراسيم والقيود ما يضمن سلامة معاوية وحاشيته، ومن أجل تحقيق تمام العزة والسطوة ممّا يكفل لهم الترفّع عن العامّة ويُشعر الآخرين بالتمايز الطبقي بين الحاكم والمحكوم.

٨ ـ إلزام الرعية بالولاء المطلق لبني أُميّة من خلال استخدام الأساليب القاهرة كالعامل الاقتصادي المتمثّل بمكاسب الناس ومعايشهم، وإشعار الرعية بأنّ أمنها وسلامتها مرهون بطاعة النظام واتّباع منهجه، وأنّ مَن يقف موقف العداء لبني أُميّة هو خارج عن سيادة الدولة، وليس له من مكان على أرضها وفق مبدأ: (إن تكُنْ موالياً تعيش وتحيى، إن تكن مناوئاً تمتْ وتُبلَ) فالمناوئ للحكم أما أن يُقتل أو يُنفى من الأرض، أو أن يرحل مجبراً مضطهداً، وبذلك أفرط معاوية في تضييق الخناق على الرعية وبلغ به الإسراف إلى التدخّل في خصوصيات العامّة وإجبارها على السير وفق نهجه المجحف.

٩ـ إضفاء الشرعية الإلهية لحاكمية معاوية، بأنّه خليفة الله الذي مكّنه لأن يكون الحاكم والوليّ، والمتصرف بشؤون الإسلام والمسلمين، وما على الرعية إلّا الطاعة والائتمار، وأن مخالفته عصيان للأمر الإلهي، ووفق هذا الاعتقاد القدري المفروض راح معاوية يتصرّف بأُمور الدولة بما يحلو له ويفوّض أمر الدين لخدمة مصالحه وانسجاماً مع رغباته، وقد أفصح بحقيقة اعتقاده هذا من خلال مقولته التي باتت

(١) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار: ص٢٠١.

سـنّة يسـتنّها الحاكمون من بعده في ميدان السياسـة والحكم: «**الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما أُخذ من مال الله فهو لي، وما تركته كان جائزاً لي**»[1].

١٠ـ الحـد من تأثير العامل الديني في الدولة وإبعاده عن الميدان السـياسي بفصل الديـن عن شـؤون الدولة، والتعامل مع الأنشـطة الدينية تعامـلاً مزدوجاً يقوم على أسـاس التظاهر بتطبيق أحكام الشريعة الإسـلامية؛ ممّا يحقق لمعاوية وخلفائه مكسباً دعائيـاً وصـدىً إعلامياً في أوسـاط المجتمع الإسـلامي وانتهاج أُسـلوب التضليل الدينـي لجعل النـاس في دوّامـة المتاهات الفكرية ينشـغلون من خلالهـا عن التفكير بالحكـم ومواجهـة الحاكمين، واختلاق صورة مشرِّفة بيضـاء لمعاوية ونظامه لتغطي بذلك على الصورة السـيئة التي يحملها المسـلمون عنه وعـن عمومته، يتمّ في ضوئها تشـويه الخصم فتأخذ مأخذها في أذهان المسـلمين وفي تراثهم الروحي عبر التاريخ، فتكـون بينةً على إيـمان معاوية وتقـواه المزعومة، فتمـوّه بذلك عـلى حقيقته وحقيقة عمومته التي وصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالطلقاء وبالفئة الباغية.

وما نلمسـه اليـوم يُبيِّن صدق ما ذكرناه آنفـاً، فمعاوية اليوم هـو الخليفة المجدد، وبـاني مجـد الإمبراطورية الإسـلامية، وكاتـب الوحي الـذي قال فيـه جبرائيل عليه السلام: «**يا محمد، أقرئ معاوية السلام واستوصِ به خيراً؛ فإنّه أمين الله على كتابه ووحيه، ونعمَ الأمين**»[2]!

١١ـ إثـارة العصبيـة القبلية وتأجيـج نعراتها الهدّامـة بين القبائل تحقيقاً لسياسـة (**فرّق تَسُـد**) التـي تُمكن معاوية من تأمين الوضع الأمني والسـيطرة عـلى زمام أُمور الرعية من خلال إشغال القبائل بعضها بالبعض الآخر بالتناحر والنزاعات العرقية، وبـث العـداء والفرقة فيما بينهـا فتصـرف أنظار القبائل عن شـؤون الحكم وتُرغمها على الاهتمام بهمومها ومشاكلها الخاصّة وما يتعلّق بها من أُمور القتال والثأر والأمن،

(١) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج٣، ص٥٢.
(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ص١٢٠.

وتُجبرهـا على التفكـير بطرق الأبواب واللجوء إلى الحاكم لإبـداء خصوماتها آملاً في حل نزاعاتها المتكررة، مما يحدو بها الى المرابطة مع بلاط الحكم والتسـابق إليه لتقديم ظُلاماتها، والتنافس من أجل نيل رضا معاوية وتقديم فروض الولاء والطاعة له من أجل كسب التأييد ضد الخصم.

ومـن الملفـت للنظـر أنّ النزاعـات القبليـة التـي كان يفتعلهـا معاوية قـد هيأت الأجواء المناسبة لتصفية خصومه، والانتقام من مناوئيه الذين كانوا يتصدّون لنظامه التعسّـفي، خاصـةً الذين وقفـوا ضده وضد عمومتـه مواقف جهاديـة ضخمة إبّان حروب الجهاد الأُولى.

١٢ـ تبنّي مفاهيم وأفكار جديدة وإقحامها ضمن المفاهيم والعقائد الإسـلامية، الغـرض منهـا تبرير حجية الأفعال والسـلوكيات العدائية التي تصدر من السـلطان الأُمـويّ، وإضفاء الصيغة الشرعية للحكم من أجل بقائه واسـتمراريته، منها عقيدة الجبر: «**الحمل على الفعل والاضطرار إليه بالقهر (بالقسر) والغلبة**»[١].

١٣ـ فالإنسان ـ وفق مفهومها ـ مجبرٌ في فعل الأشياء وليس لإرادته شأن في ذلك، وأنّ مـا يصـدر منه من خـير أو شرّ إنّما يكـون بمحض إرادة الخالق، حيـث إنّ إرادة المخلـوق في أداء الأفعـال إنّـما تقوم على أسـاس إرادة الخالق، لذا فـإنّ كل ما يصدر مـن الحاكم الأُموي من فعل أو سـلوك يتعلّق بالتسـيير الإلهي فلا يجـوز القدح به أو الاعتراض عليه أو الامتعاض منه.

ثـمّ عقيدة الإرجـاء: «**لا تضر مع الإيمان معصيـة، كما لا تنفع مع الكفـر طاعة**»[٢]، فالمرجئـة تـرى: «**أنّ الإيمان عقدٌ بالقلب وإن أعلن الكفر بلسـانه بلا تقية وعبد الأوثان ولـزم اليهوديـة أو النصرانيـة في دار الإسـلام وعبَـد الصليـب، أو أعلـن التثليث في دار الإسلام ومات على ذلك فهو مؤمنٌ كامل الإيمان عند الله (عزّ وجل) وليٌّ لله (عزّ وجلّ)**

(١) المفيد، محمد بن محمد، أوائل المقالات في المذاهب المختارات: ص٢٠١.

(٢) ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل: ص٢٠٤.

مـن أهـل الجنّة»[1]، وهذا مـا يمنح الأُمويين صفـة الإيمان التي تكسـبهم الشرعية في اعتـلاء منبر الخلافة حال كونهـم مؤمنين برغم ما يصدر عنهم من أفعال منكرة، وما دام كذلك فلا يجوز لأحدٍ من الرعية الخروج عن طاعتهم أو التصدّي لهم.

وبهـذا فقد وضع معاويـة العامة في متاهة المعتقدات الوضعيـة ودوّاماتها المربكة، فجعلتهم في تخبّط وحيرة، وكان لها الأثر في تغيير مفاهيم البعض عن الأُمويين وعن أفعالهم المشـينة، والعزوف عـن مجابهتهم والتصدّي لسـلوكياتهم الهوجاء باعتبارهم قدرٌ والذي لا سبيل لتغيّره، ولا مناص من التسليم به.

ولا جـرم أنّ الله تعالى وهب الإنسـان المؤهلات والأسـباب التـي تمكنه من فعل الخـير والـشر باعتبـار التكليف علّة وجـوده في الأرض، فوهب لذلـك العقل الذي يميز من خلاله الخير من الشر والحقائق من الأوهام، والمجردات عن المحسوسـات، والمتشـابهات عـن المتناقضات، فأسـباب التبـصّر قائمة فيـه ومقترنة بخلقـه، وهذه الأسباب الطبيعية تلزمه فعل الشيء وفق عامل الاختيار، ولا يمكن أن يصدر الفعل مـن قوى خارجيـة لا تمتّ بصلةٍ بخلقه لانعـدام أثرها فيه، فالفعـل ولا ريب يكون بمحـض إرادتـه والاختيار في ذلـك ترجمان هـذه الإرادة، فأمّا يكـون صائباً فتكون عاقبتـه خير، وأمّـا يكون خطأ فتكون عاقبته شراً، لهذه الأسـباب يعلم أنّ فعل الخير عاقبتـه الجنّة وأنّ فعل الـشر عاقبته النار، وكتاب الله تعالى يبيّن هذه الحقائق بوضوح حيث يقول: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[2]، ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[3]، ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[4]، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ

(١) المصدر السابق: ص٢٠٤.
(٢) الدهر: آية٣.
(٣) الكهف: آية٢٩.
(٤) فصلت: آية٤٦.

﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[1]، ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[2]، ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾[3].

١٤ـ تحجيم بني هاشم وخاصة العلويين منهم، وتقليص نشاطاتهم السياسية والاجتماعية، وملاحقتهم والموالين لهم عند كل حجر ومدر، والتحذير من مجاراتهم وإبداء الولاء لهم للحيلولة دون قيام نهضةٍ شعبيةٍ ضد النظام، باعتبار أنّ العلويين هم آل الرسول صلى الله عليه وآله، وأنّهم محطّ توقير وتبجيل الرعية، وليس هذا بدافع الكراهية والحسد لشخصية الإمام عليٍّ عليه السلام فحسب، وإنّما معاوية كان يعلم ومنذ أول وهلةٍ أنّ علياً يمثّل التيار الثوري للإسلام هو وأولاده من بعده، يمثلون خط المجابهة والتحدّي للظلم والظالمين، وهم في منهجهم المستقيم لا يخافون في الله لومة لائم، لذا كان يرى ضرورة كبح جماح هذا الخط الجهادي الإصلاحي حيث في بقائهِ خطرٌ على سلامة مصالحه ومخططاته، لذا سعى بدءاً إلى تكثيف حملتهِ العدائية ضد الإمام عليه السلام وجعلها من أولويّات منهجه السياسي من أجل إسقاط صورة الإمام المثالية في أنظار المسلمين، ووضع أيضاً في حساباته الدقيقة ضرورة إنهاء تأثير التيار الثوري لأهل البيت عليهم السلام، بحيث لا يبقى له أثر مشهود في المجتمع الإسلامي لكيلا يشكل عقبةً أمام تحقيق أحلامه في الملك، وكانت جُلّ محاولاته ترتكز على تحطيم هذا النموذج المثالي الرائع وتشويه صورته لدى العامة، وإذابة العلائق الروحية التي تربطهم به من أجل إماتة حبّه العظيم في قلوبهم ومشاعرهم.

واتّخذ عداء معاوية للإمام عليه السلام ولأهل بيته الكرام أنماطاً من السلوك، يمكن إيجازها بما يلي:

---

(١) الأنعام: آية١٢٥.

(٢) الروم: آية٤٤.

(٣) السجدة: آية١٨.

١ـ توهين الوشائج الروحية التي تربط العامة بالإمام عليه السلام، والسعي إلى إماتة روح المحبّة والولاء التي يكنّها المسلمون لشخصه الكريم، والتي فرضتها أسباب كثيرة منها: خُلق الإمام عليه السلام، وسماحته، وبُعد أُفق شخصيته العلمية والإنسانية، ومكانته الروحية المقدّسة.

٢ـ الحد من مستوى التأييد الشعبي الذي كان يحظى به الإمام عليه السلام من لدن العامة، بالسعي إلى تقليل شأنه ودوره الريادي وزعامته الروحية في هداية وصلاح الناس.

٣ـ خلق الخط المعادي لمناهضة الإمام عليه السلام وأهل بيته من بعدهِ لتوهين شأنهم بين المسلمين ومكانتهم العظيمة في الإسلام حتى تنصرف أذهان الناس عنهم، وتسخير الجانب الدعائي لمحو ذكرهم الشريف وطمس آثارهم ومناقبهم من خلال التشكيك بالحقائق القرآنية النازلة بحقهم.

٤ـ تهيئة الأجواء لإثارة الكراهية والبغض ضد الإمام عليه السلام واختلاق الأحاديث المفتعلة للطعن بشخصه الكريم وبفضله السابق في الإسلام. يروي ابن أبي الحديد المعتزلي في هذا الخصوص: «**إنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليٍّ عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يُرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير**»[1]. «**وأنّ عروة زعم أنّ عائشة حدّثته قالت: كنت عند النبي (صلّى الله عليه وسلّم) إذ أقبل العباس وعليّ، فقال: يا عائشة، إن سرّكِ أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فأُنظري إلى هذين قد طلعا، فنظرتُ فإذا العباس وعلي ابن أبي طالب**»[2]، وأمّا عمرو بن العاص فروي عنه الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما مسنداً بعمرو بن العاص، قال سمعتُ رسول الله

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٤، ص٦٣.
(٢) المصدر السابق: ص٦٤.

(صلّى الله عليه وسلّم) يقول: «**إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنّما وليِّ الله وصالح المؤمنين. وروى الزهري أنّ عروة بن الزبير حدّثه، قال: حدّثتني عائشة، قالت: كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعليّ، فقال يا عائشة، إنّ هذين يموتان على غير ملتي. أو قال: ديني**»[1].

والأدهى من ذلك ما قام به معاوية من التلاعب بمفاهيم الآيات الكريمة والعبث بمضامينها، لا لشيء سوى الإساءة إلى شخص الإمام والنيل من سيرته الشريفة.

يروي ابن أبي الحديد في ذلك: «**وقد رُوي أنّ معاوية بذل لِسَمُرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أنّ هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾[2]، **وأنّ الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[3]، **فلم يقبل فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك**»[4].

٥ـ اتّخاذ سبّ الإمام عليّ عليه السلام سنّة يُذاع بها من على المنابر؛ سعياً لإطفاء نور الرسالة المحمدية الذي حمل مشعله عليّ وأهل بيتهِ الأطهار عليهم السلام، لإيهام الأجيال المتعاقبة عن حقيقة شخصية الإمام عليه السلام.

٦ـ إسدال الستار على حقيقة أهل البيت عليهم السلام وعلى حاجة المجتمع الإسلامي الماسّة لهم بتضييق الخناق عليهم؛ تحقيقاً لعزلهم عن المجتمع وممارسة دورهم الفعّال فيه، وتحريف العناوين والمسمّيات الخاصة بذاتهم وعدم الاكتراث لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله والنظرة إليهم على أساس التجاهل والاستخفاف.

ولم يغب عن ذهن معاوية وآبائه من قبل، أنّ مفتاح الوصول إلى تحقيق هذا

(١) المصدر السابق: ص٦٣ـ٦٤.
(٢) البقرة: آية٢٠٤ـ٢٠٥.
(٣) البقرة: آية٢٠٧.
(٤) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٤، ص٧٣.

المطلب هو استئصال الأُسرة النبويّة الشريفة واجهة الدين ودعامة الإيمان للعلاقة الروحية الوثيقة التي تربط هذه الأُسرة مع مبادئ الدين وعقائده، والتي تُعطي لروح الإسلام الفاعلية والحيويّة على مدى الدهور باعتبارها مهبط الوحي والتنزيل، ومعدن العلم وحاملة علوم القرآن ورائدة الفكر ومصباح الهُدى، وهذا ما يميزها لأن تكون أهلاً لحماية الدين وحفظ شرائعه وأحكامه وصيانة عقائده، وآلى معاوية على نفسه أن يتجاوز هذه الاعتبارات الإلهية من أجل تحقيق مغرمه، واتّضح ذلك جلياً من خلال المحاورة التي جرت بينه وبين المغيرة بن شعبة في شأن بني هاشم: «**إنّك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيءٌ تخافه، فقال لي: هيهات هيهات!! مَلكَ أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أنْ هلك فهلك ذكره، إلّا أنْ يقول قائل: أبو بكر، ثمّ ملك أخو عَدِي، فاجتهد وشَمَّر عشر سنين، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: عمر، ثمّ ملك أخونا عثمان فملك رجلٌ لم يكن أحدٌ في مثل نسبه، فعمِلَ ما عمل (وعمل به)، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، وذكر ما فعل به، وإنّ أخا هاشم يُصرَخُ به في كلّ يومٍ خمس مرات: أشهد أنّ محمداً رسول الله. فأي عملٍ يبقى مع هذا؟ لا أُمَّ لك: والله إلّا دفناً دفناً**»[1].

وعاش معاوية يتناغم مع ملذاته مقبلاً على الدنيا إقبال الهيم على الحياض المترعة، فراح يفوج في نعيمها ويطير بزهوها، يَهبُ لمن يشاء ويُعرض عمّن يشاء، فظن أنّ الحياة له مستوسقة، معتقداً بطول الأمل فلن يعدْ يكترث لفعل المنكر، وبلغ به إسرافه إلى الاستهانة بأرواح الأبرياء فأخذ يُضيق الخناق على موالي أهل البيت فقَتل مَن قَتل وسَجن مَن سَجنْ وسَبى مَن سَبى حتى ضاقت بهم الأرض وانقطعت بهم السُبل لما كانوا يعانون من الجور وضنك العيش، ولم ينعموا بالأمان والاستقرار،

(١) المسعودي، علي بن الحسبن، مروج الذهب: ج٣، ص٤٥٤. وأنظر أيضاً: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج٥، ص١٣٠. و ابن عقيل، محمد، النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: ص١٢٤.

فباتوا بين طريد مهتضم أو أسيرٍ مرتهن أو طليقٍ مضطهد.

يـروي ابن أبي الحديد المعتـزلي في ذلك: «**كتب معاوية نسـخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممّن روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته. فقامت الخطباء في كل كـورةٍ وعـلى كلّ منـبر يلعنون علياً ويـبرؤن منه ويقعون فيه وفي أهـل بيته، وكان أشـدَّ الناس بلاءً حينئذٍ أهل الكوفة؛ لكثرة مَن بها من شـيعة علي عليه السلام، فاسـتعمل عليهم زياد بن سُـمية، وضم إليه البصرة، وكان يتتبع الشـيعة وهو بهـم عارف؛ لأنّه كان منهم أيام عليٍّ عليه السلام؛ فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل وسَـملَ العيون وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبقَ بها معروف منهم، وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: ألّا يجيزوا لأحدٍ من شـيعة عليٍّ وأهل بيته شـهادةً**»[1]، وكتـب إلى عمالـه في جميع البلدان في شـأن موالي عليٍّ وأهـل بيته الكرام: «**أُنظـروا مَن قامت عليـه البينة أنّه يُحبُّ عليّـاً وأهل بيتهِ، فامحوه من الديوان، وأسـقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة أُخرى: مَن اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكِّلوا به، واهدِموا داره. فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق؛ ولا سيما بالكوفة**»[2].

ومن خلال تلك الأحوال المتردية تيقن الإمام الحسـين عليه السلام أنّ معاوية يقود الناس إلى دهاليـز مظلمـة وطرق ملتوية ينتابها الشـكّ والحيرة، فمن خلال سياسـته الماكرة جعل الناس في متاهات فكرية وآراء متضادّة أثقلت على كاهل الرعية فأحسّوا برتابة الحياة وفوارقهـا الاجتماعية، ونتيجة للتمايز الطبقي بين شرائح المجتمع وأطيافه دبّ البؤس والشقاء في نفوس الرعية.

إنّ هذا الوضع المتردّي أخذ يزداد سوءاً بعد اعتلاء يزيد العرش، فيزيد ممّن عرفته الرعية بالفحش وسوء الخلق حتى عُرف في المجتمع الإسلامي بالفاجر والماجن.

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج١١، ص٤٤.
(٢) المصدر السابق: ص٤٥.

يقـول الدمـيري في سـيرة يزيد بن معاويـة: وكيف لا يكون كذلـك وهو المتصيد بالفهد واللاعب بالنرد ومدمن الخمر، ومن شعره في الخمر:

أقول لصحبٍ ضمت الكأس شملهم ... وداعـي صبابات الهوى يترنمُ

خـذوا بنصـيبٍ من نعـيمٍ ولـذّةٍ ... فكلٌّ وأنْ طال المدى يتصـرّمُ[1].

إنّ تنصيب يزيد للخلافة كان حُلماً يراود معاوية منذ أنْ استتبت له الأمور، رغبةً منـه في حصر الزعامة والملك في آل أبي سـفيان مـن خلال مبدأ التوارث، ولم يخطر في ذهن معاوية أن يكون هدفه الأساس تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية أو إقامة السنّة النبويّة الشريفة، بل إنّ هذه الأُمور كانت بالنسـبة لهم أُموراً ثانوية لا تعدو أن تكون سـتاراً ووسيلة من أجل تثبيت حكمه وسلطانه، لذا أخذ يعُدُّ العُدة ويهيئ الأسباب المادية والمعنوية الكفيلة بوصول يزيد إلى الحكم، وهو يعلم أنّ يزيد لا يلقى ترحيباً في أوساط المجتمع الإسلامي؛ لما يعرفه المسلمون عن سيرته السيئة وعن خلقهِ الرديء وسـلوكياته الفاحشـة، ولكن لا بدّ له من اعتلاء الكرسي وضرب كلّ مَن تُسـوِّل له نفسه في الوقوف ضد مرماه.

يقـول الحسـن البصري في معاوية: «**أربـعُ خصال كُنَّ في معاوية، لـو لم تكن فيه إلّا واحـدة لكانـت موبقة: انتزاؤه على هذه الأُمّة بالسـيف حتى أخذ الأمر من غير مشـورة وفيهـم بقايا الصحابة وذوي الفضيلة، واسـتخلافه بعده ابنه سـكّيراً خمّيراً يلبس الحرير ويـضرب بالطنابـير، وادعـاؤه زيـاداً، وقال رسـول الله (صـلّى الله عليه وسـلّم): الولد للفـراش وللعاهر الحَجَر، وقتْله حِجْراً وأصحاب حِجْر، فيا ويلاً له من حِجْر! ويا ويلاً له من حِجْر وأصحاب حِجْر!**»[2].

وقـد عبَّـدَ معاويـة الطريق لأخذ البيعة وشـدّ مـا كان يتوعد، ويزمجـر ويُحذرُ كل

(١) الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان: ج٢، ص١٥٧.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٨٧.

مـن يقف حجر عثـرةٍ أمام وصول يزيد إلى سـدة الحكم، وتارة كان يُخرس الألسـن بالأمـوال، وهكـذا كانت سياسـته في الرعية. يـروي ابن الأثير في هذا الشـأن خطبةً لمعاويـة يتوعـد بها العامـة بعد ما رأى معارضتهم للبيعة وتقاعسـهم عنها وشـعوره بامتعاضهـم منهـا: «**أنّـه قـد أُعذر مَـن أنـذر، أنّي أخطب فيكـم فيقـوم لي القائم منكم فيكذبنـي عـلى رؤوس الناس فأحمل ذلك وأصفح، وإنّي قائمٌ بمقالةٍ فأقسـم بالله لئن رد عـليَّ أحدكـم كلمته في مقامي هـذا لا ترجع إليه كلمةٌ غيرها حتى يسـبقها السـيف إلى رأسه، فلا يبقينَّ رجلٌ إلّا على نفسه**»[1].

إنّ خلافـة يزيد تُعد نقطة سـوداء في تاريـخ الأُمّة الإسـلامية ومنعطفاً خطيراً في مسيرتها، فقد آثر يزيد البقاء على نهجه الفاسد الذي سار عليه طيلة حياته المترفة، ولم يعبأ لما فعله من أفعال مشـينة وفضائح منكرة، وحتى وصل به الاسـتهتار إلى التنكر للإسلام وعقائده السامية، وتراه بين الحين والآخر بين كؤوس الخمرة يترنّم بأشعاره الماجنة التي تتغنّى بالجاهلية وبماضيها الغابر، وقد طربته الأعواد وسحرته الأوتار في ليالٍ حمراء مقمرة غير مكترثٍ بما يجري على الأُمّة من ويلات، وغير آبه بما يحدث من تعسّف وظلم ومن استهتار بأحكام الدين ومبادئه.

يقـول الإصفهـاني في خلافة يزيـد: «**كان يزيد بـن معاوية أول مَن سـنّ الملاهي في الإسـلام مـن الخلفـاء وآوى المغنّيـين وأظهـر الفتك وشرب الخمـر، وكان ينـادم عليها سرجـون النصراني مـولاه والأخطـل، وكان يأتيه من المغنّيين سـائب خاثـر فيقيم عنده فيخلع عليه ويصله، فغناه يوماً:**

يـا للرجـال لمظلـوم بضاعتـه ببطـن مكّـة نائـي الأهـل والنفـرِ

فاعترتـه أريحية، فرقص حتى سـقط، ثمّ قال: اخلعوا عليـه خلفاً يغيب فيها حتى لا يُرى منه شيء، فطُرحت عليه الثياب والجباب والمطارف والخز حتى غاب فيها»[2].

---

(١) المصدر السابق: ص٥١٠.

(٢) الإصفهاني، أبو الفرج، الأغاني: ج١٧، ص٣٠٠-٣٠١.

لقد بلغ أذى يزيد ذروته في الرعية وتمادى في انتهاك حرمة الدين واللعب بمقدرات الناس، والأنكى من ذلك أنّ ولاة يزيد قد نهجوا نهجه وسلكوا مسلكه واتّبعوا سيرته حتى أثقل على كاهل الرعية حتى أخذت تبحث عن وسيلة للخلاص من جوره وجور ولاته.

يقول المسعودي في شأن يزيد وممّا كانت عليه أحوال الرعية إبّان حكمه: «**وغلب على أصحاب يزيد وعمّاله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيامه ظهر الغناء بمكّة والمدينة، واستُعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب، وكان له قردٌ يُكنّى بأبي قيس يُحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأً، وكان قرداً خبيثاً، وكان يحمله على أتان وحشية قد رُيِّضتْ وذُلّلت لذلك بسرج ولجام، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة**»[1].

المبحث الرابع: آليات الإصلاح في مسيرة الجهاد الحسيني

إنّ الواقع المأساوي الذي فرضه معاوية ومن بعده ولده يزيد على المسلمين أحدث ردّة فعل في نفوس الشرفاء، وكان ممّا يبعث الحزن في نفوسهم أنّهم يرون العامّة يجارون الحاكم في كلّ شيء، وكانوا في شغل شاغل عن مجرد التفكير في تغيير الواقع المؤلم الذي أصبح فيه الدين لعق على الألسن، إذاً فلا بدّ من سدٍّ منيع يقف بوجه ذلك السيل العارم من الطغيان ويمحق تيار السادية والهمجية، ولا بدّ من حمىً يلوذ به المستضعفون وملجأ آمناً يأوي إليه الثائرون، ولا بدّ من وقاء تُصان به الحرمات، وتُحفظ فيه الكرامات، ولا بدّ من منقذ غيور يأخذ على عاتقه مسؤولية الوقوف بوجه الظالمين وتغيير الواقع المرير وينهض بحجزة الدين إلى حيث عنفوانه ونضارته، فكان الحسين بن علي عليه السلام ذلك المؤمن الغيور الذي قطع على يزيد نزواته المريضة ونوازعه العدوانية فقام منتفضاً وصرخته تدوي في الآفاق، هيهات منّا الذلّة.

وأرادها الإمام عليه السلام ثورة عارمة على الطغيان توقظ الضمائر المخدرة، وتوقد شعلة

(١) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج٣، ص٧٧.

الإيمان في النفوس التائهة، وتبعث الأمل في نفوس البائسين المضطهدين، وتشحذ همم اليائسين المقهورين حتى تصحو الأُمّة من رقدتها المقيتة بعد ما جرفها سيل الآثام والذنوب إلى بحر الخطايا، وأراد الإمام بوثبته المباركة صلاح النفس كي لا تقع في الهاوية.

إنّ الإمام عليه السلام كان متيّقناً من أنّ معادلة الحرب مع يزيد غير متكافئة من ناحية العُدة والعدد، وأنّه مقتول لا محال، ذلك أنّ بني أُميّة قد احتوشوه من كل جانب حتى ضاق به المكان وانقطعت به السُّبلُ فلم يحلو لهم بقاؤه في مدينة جدّه صلى الله عليه وآله، أو غيرها من الأمصار، فأمّا البيعة ليزيد وأمّا الموت، وأفصح الإمام عليه السلام بهذه الحقيقية سلفاً من خلال مقولته: «**والله، لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم مَن يُذلّهم حتى يكونوا أذلّ من فرم المرأة**»[1].

وكان الحسين عليه السلام يعلم أيضاً أنّ مخالب الأُمويين تطاله ولا ريب، فصوته الهادر يصدح على الدوام ببطلان خلافة يزيد، وكان الإمام عليه السلام يجهر بها ويعلنها صراحةً على الملأ من دون ترددٍ أو خوف، وكان يحذر الأُمّة من خطر اعتلاء يزيد الحكم ويؤمن أنّه لا بدّ من صرخةِ حقٍ تدقّ ناقوس الخطر لتوقظ الأُمّة من رقدتها، ولا بدّ من صحوةِ ضميرٍ تنبعث من أعماق النفوس التائهة.

وكان الإمام عليه السلام ينتظر من الأُمّة الفوارق وراح يسدي النصح ويحذر الأُمّة وحكّامها من سوء العاقبة، لكنّه رأى أنّه لا جدوى من النصح فالأُمّة واقعة في شباك الخوف والحاكم يتمادى بفسقهِ وفجورهِ وعنجهيتهِ حيث لا أمل في إنابتهِ، لذا وثب الإمام عليه السلام بوجه الطغيان ووقف وقفتهِ المشرفة ناكراً لذاته ملبياً أمر الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

(١) ابن الأثير، عليّ بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٣٩.
(٢) آل عمران: آية١٠٤.

وطالما أرّقتهُ هذه التلبية حيث كان يرى معاناة إخوانه المؤمنين ويسمع شكوى الفقراء والبائسين وطالما كان يؤلمه تَقلب الناس وانقلاب أحوالهم ومزاجاتهم، واغترارهم بالدنيا وأمانيها غير مكترثين لسوء المصير.

وأراد الإمام عليه السلام للنفس البشرية أن تعيش كريمةً حرّةً تأبى الضيم، قوّيةً في ذات الله عزيزةً في ذاتها، شريفةً في جنبها نبيلةً في خُلقها، عاليةً في همّتها، راسخةً في مبادئها لا يعتريها الخوف والجبن، تناصر الحق وتعاضد الخير وتتوخّى العدل، ولا غرو أنّها النفس المؤمنة التي أرادها الله تعالى أن تكون في عبادهِ.

وقف الإمام السبط وقفة جدهِ المصطفى صلى الله عليه وآله واعظاً هادياً مُصلحاً من أجل أن لا تنقطع العصمة فيأخذ السيف محله فتقع الفتنة وتسوء الفرقة، ولم يرفع الإمام عليه السلام سيفاً ولم يطعن برمح، وكان جداله عن الحق بالحكمة والموعظة الحسنة. ولم يُبقِ الإمام سبيلاً من سُبل الخير إلاّ سلكه، ولا منهجاً من مناهج الإصلاح إلّا انتهجه نُبلاً منه وكرماً، وقد أبلغ في النصح وجَهد في السعي إلقاءً للحجة وأملاً في الهداية، وحرص الإمام عليه السلام على تبليغ الناس بأمر خروجه لمجاهدة الظالمين بما يوجبه تكليفه الشرعي ومهامه الدينية والدنيوية بما يُعدُّ حجّة عليهم ونذيراً لهم من مغبّة التقاعس عن نصرة الدين ومقارعة الظالمين، فقام خاطباً وقال ضمن ما قال: «... **ألا مَن كان فينا باذلاً مهجته، موطِّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنّي راحلٌ مُصبحاً إن شاء الله تعالى**»[1].

وكان الإمام عليه السلام يعلم سلفاً أنّ بني أُميّة لا يأبهون لحرمة، ولا يتهيبون انتهاك حرمة المسجد الحرام في الشهر الحرام، لذا ومن منطق الغيرة والحمية ورعاية لحرمات الله تعالى وحفاظاً على أرواح المسلمين الآمنين، قَطَع الإمام الحسين عليه السلام مراسيم حجّه وغادر مكّة المكرمة في الثامن من ذي الحجة (يوم التروية) متوجهاً إلى الكوفة عاصمة أبيه التي أغدقت عليه الرسائل والكتب تناشده بالقدوم من أجل البيعة.

(١) ابن طاووس، عليّ بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٣٨.

وكانـت الدوافع الذاتية لنفس الإمام عليه السلام حيّةً فعالةً، ودلالة حيويتها وفعاليتها ما كانت تحملهُ من عزّةٍ وإباءٍ وحميةٍ ونكرانِ ذات، وجميعها كانت ترفض الطغيان رفضاً قاطعـاً يقوم منهجه على أسـاس القـوّة والفعل لا القول فحسـب، فكانت مؤهّلات الوثـوب والانتفاضـة قائمة في ضمـير الإمام ووجدانـه، وقد تفاعلت مـع تأثيرات العامل الخارجي المأسـاوي، وانطلقت تجابه مسـبباته مجابهةً تقتضي في شأنها تصحيح مسيرة الدين الحنيف وإصلاح ما هُدِم من كيان الأُمّة الإسلامية.

وجسّد الإمام عليه السلام هذه الحقائق من خلال مقولته: «**إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلى الله عليه وآله**»[1].

وقد أوضح الإمام السـبط الأسـباب والمبررات التي دعته إلى الخروج من خلال خُطبه ومقالاته التي ألقاها على مسامع الناس خلال مسيرته إلى الكوفة.

خَطَـبَ الإمام أصحابـه وأصحاب ابن زيـاد بالبيضة فحمد الله وأثنـى عليه، ثمّ قال: «**أيّها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَن رأى سلطاناً جائراً مستَحِلاً لحُرم الله، ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسـنّة رسـول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يُغيِّر بفعل ولا قـول، كان حقـاً عـلى الله أن يُدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشـيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحق مَن غيَّر، وقد أتتني كتبكم وقَدَمتْ عليَّ رُسُـلكم ببيعتكم أنّكم لا تسـلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم عليَّ بيعتكم تصيبوا رشـدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم فلكم فيَّ أُسوةَ، وإن لم تفعلـوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي مـن أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر، لقـد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسـلم، والمغرور مَن اغـترّ بكم، فحظكم أخطأتم ونصيبكـم ضيعتـم، ومَـن نكـث فإنّما ينكث على نفسـهِ، وسـيُغني الله عنكم، والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته**»[2].

---

(١) المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٦٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢٩.

وخطب الإمام أصحابه بذي حُسُـم، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «**إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت جدّاً فلم يبقَ منها إلّا صُبابةٌ كصُبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله مُحقاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادةً ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[1].

ولم تنتهِ الأُمور في الكوفة لصالح الإمام الحسين عليه السلام بعد خذلان الكوفيين لمسلم عليه السلام ووقوعه في قبضة ابن زياد بعد جهاد عظيم انتهى باستشهاده ورميه من أعالي قصر الإمارة.

وحال توجه الإمام الحسين عليه السلام نحو الكوفة بدأت التعبئة العسكرية الأُمويّة تأخذ مجراها من أجل مواجهة ثورة الإمام عليه السلام، واتّخذ الإمام التدابير العسكرية والاحتياطات الأمنية التي تكفل حماية حرمه وحرم أصحابه. وبعد استتباب الأُمور لابن زياد واستقرار أمر الحرب، رأى الإمام عليه السلام أن يلقي الحُجج على الأُمّة التي اجتمعت عليه ويُسدي لها النصح حرصاً على سلامة الدين وتجنيب المسلمين ويلات الحرب وأهوالها، وركّز الإمام عليه السلام من أجل تلافي الحرب على جملة من الأُمور:

١ـ استبيان الأُمور وتفنيد المزاعم بالحجج

أراد الإمام الحسين عليه السلام من خلال وقفته الكريمة أمام معسكر عمر بن سعد أن يستوضح أسباب اجتماع القوم على قتاله، إذْ ليس هناك من عُذرٍ يحلُّ لهم فيه إهراق دمه وانتهاك حرمته!

ولمّا كان من تأثير الإرهاب الأُموي في نفوسهم، لم يملك القوم إلّا أن يظهروا الوَهن والعجز في تدبير اجتماعهم عليه ومحاربتهم له، فقد كانوا بين أمرين:

أولهما: الإقدام على محاربة الإمام الحسين عليه السلام والتورّط بدمه طاعةً للأُمويين

(١) المصدر السابق.

وخوفاً من سخطهم ونقمتهم، وهذا وإن كان يوجب السخط الإلهي لكنّه كان يحقق لهم مكسباً دنيويّاً يتمثّل بالمال والغنائم.

ثانيهما: الإحجام عن محاربة الإمام الحسين عليه السلام بمخالفة أوامر الأُمويين وتحمّل النتائج الوخيمة التي تترتّب على هذا الإحجام كالقتل والاضطهاد والتشريد.

وأراد الإمام الحسين عليه السلام أن يعيد إلى أذهان القوم بأنّه فرع الشجرة الطيبة التي زهرت بالنور النبوي الشريف وتسامى نورها حتى ملأ الأرض، وزيادة في الحرص على مصير القوم وخشية عليهم من التورّط في دمه ودماء الأبرار من أهل بيته وأصحابه.

خاطب الإمام عليه السلام القوم: «**أمّا بعد، فانسبوني فأُنظروا مَنْ أنا، ثمّ أرجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فأُنظروا هل يحلُّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيّكم صلى الله عليه وآله وابن وصيه وابن عمّه وأوّل المؤمنين والمصدِّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه؟! أَوَ ليس حمزةُ سيد الشهداء عمُّ أبي؟! أَوَ ليسَ جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمّي؟ أَوَ لم يبلغكم قول مستفيض فيكم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟! فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق، والله، ما تعمدت كذباً مذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله ويضرُّ به مَنْ اختلقه! وإن كذّبتموني فإنّ فيكم مَنْ إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري أو أبا سعيد الخدري أو سهل بن سعد الساعدي أو زيد بن أرقم أو أنس بن مالك يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي، أفما في هذا حاجزٌ لكم عن سفك دمي**»[1].

وأراد الإمام عليه السلام بذلك أن يُنبّههم من غفلتهم، فيُعيدوا حساباتهم التي دثرها غبار العمى والضلالة، فينتبهوا إلى سلوكهم وما يفعلون! وأيّ رجلٍ يقتلون!

فإنّهم بفعلتهم تلك يستأصلون فرعاً من فروع الشجرة النبويّة التي تضمّنت

(١) المصدر السابق: ج٦، ص٢٤٢ـ٢٤٣.

أغصانها ألق جدهِ المصطفى صلى الله عليه وآله وأبيه المرتضى وأُمّه الصدّيقة فاطمة وأخيه المجتبى وقافلة الشهداء الميامين من آل عبد المطلب، أولي المكارم والندى ومنهل الإيمان والخُلُق الرفيع.

ولم يكتفِ الإمام الحسين عليه السلام بتفنيد مزاعمهم وأباطيلهم، بل راح يقدم الحجّة تلو الحجة على وجوب طاعته، والدليل تلو الدليل على عِظم خطره وخطر أهل بيته عند الله ورسوله من أجل تأكيد حرمة قتاله.

٢ـ المناشدة بالرحم

سعى الإمام السبط عليه السلام إلى إبعاد شبح الحرب عن الناس، وبذل في ذلك قُصارى جهده للحيلولة دون وقوعها، منطلقاً من كتاب الله العزيز الذي يدعو إلى وحدة المسلمين: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1]، فناشد الإمام عليه السلام القوم أنْ يتّقوا الله في أنفسهم وأرحامهم والإبقاء على المودّة وتجنّب ما يثير الفتنة، فإذا ما وقع السيف انقطعت العصمة، وأنْ يتمسكوا بوحدتهم رعايةً للدين، ومن أجل أنْ يبقى التوادد قائماً بين المسلمين تحقيقاً لوحدة المجتمع الإسلامي وسلامته التي هي رهين سلامة الدين الحنيف.

ولم يقتصر كلام الإمام الحسين عليه السلام على صلة الرحم فحسب، بل ناشد القوم بمراعاة حقوق ذوي القربى التي أمر الله بها رسوله، والمحافظة على نسلهم الطاهر كونهم عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وامتداده الطبيعي وأنّ محاولة قطع هذا الامتداد يعني محاولة لاجتثاث أصل الشجرة النبويّة الكريمة وتعطيل عطائها الوارف ومَعينها الزاخر.

٣ـ التذكير بالآخرة والإنذار بسوء المصير

إنّ التذكير بالآخرة وعواقبها من المؤثرات النفسية التي لها وقع عظيم على الإنسان؛ إذ تُحفِّزهُ على التفكّر بمصيره مَلياً من خِلال إعادة النظر في مواقفه الحياتية

(١) آل عمران: آية١٠٣.

وحساباتهِ الدنيويّة، وتحثّه على فعل الخير وتهذيب النفس وإصلاحها باجتناب المعاصي والذنوب.

واستذكار الآخرة وأهوالها رادعٌ للنفس البشرية من أنْ تتمادى في غيّها، أو أنْ تُسرف في ظلمها وفسادها، وهو في حدٍّ ذاته رقيبٌ عليها عتيد.

وأراد الإمام عليه السلام إنّ يلقي الحجّة على القوم خوفاً عليهم من سوء العاقبة، فعمد إلى تحذيرهم من التمادي في الباطل والاستهتار بأحكام الدين والاستهانة بقتل الأنفس وسفك الدماء. ودأب الإمام عليه السلام على تذكيرهم بما جرى على الأقوام السالفة من عذاب وويلات لما اقترفوه من ظلمٍ وفسادٍ واستهتار بحدود الله واستهزاء بعباده الصالحين وتجنٍّ عليهم؛ مخافة الأشرار وطمعهم في الشهوات.

٤ـ إبداء المقترحات وإيجاد البدائل

دأب الإمام عليه السلام على إبقاء المساعي السّلمية قائمة ما بينه وبين القوم أملاً في صلاح أمرهم، لكنّه لمس منهم إصراراً على الحرب خاصةً بعد الضغوط النفسية والمادية التي كان يفرضها عبيد الله بن زياد وأسياده الأُمويون، وأنّ الشر والعدوان باتا واضحين في نفوس القوم ولم يعد خافياً على كلّ ذي حِجْر. ورأى الإمام عليه السلام أنّ أمر إصلاح هذه الجماعة الضالة أصبح مستحيلاً، فقد استحوذ عليهم الشيطان فانقادوا إلى طاعته مختارين، وكلّما أوغل في النصح أوغلوا بالشر والعدوان، عندئذٍ رأى الإمام عليه السلام أن يلقي على القوم آخر ما في جعبته من حجج، فطلب من القوم أن يخلوا سبيله ليعود إلى مأمنهِ من الأرض أو أن يُغادر إلى أيّ بلدٍ من بلاد الله العريضة، وقد جوبه الإمام عليه السلام بالرفض القاطع إلّا أن ينزل إلى حكم يزيد، وفي هذا إشارة إلى إصرار القوم على الحرب.

إنّ طلب الإمام بالرجوع إلى مأمنه أو النزوح إلى مأمن آخر من الأرض لا يعدّ ضرباً من ضروب الضعف أو الخوف، بل لإتمام الحجّة على القوم من أجل أن يُبرئ

الإمـام عليه السلام ذمته أمام ربّه باعتباره حجة الله على عباده، ويُخلي سـاحته الشريفة من أية مسؤولية تاريخية وروحية يكون من ورائها قتل الأنفس وإهراق الدماء.

٥ ـ بذل المساعي الخيّرة وتكثيف اللقاءات

حاول الإمام عليه السلام إيجاد منفذ لحل الأزمة المتفاقمة من أجل تلافي الحرب ولم يجد بُدّاً من الاتّصال بعمر بن سـعد وعقد اللقاءات الجانبية معه، وتركّز حواره على الجانب الإنسـاني المتمثّل بإبعاد شـبح الحرب عن المسـلمين، لكن عمر كان يُصرّ على الحرب لأسباب يحكمها الطمع والمنفعة الخاصة، إذ كانت أُمنيته المنشودة الحصول على إمارة الري، وقد اسـتغل ابن زياد حالة الضعف والتراخي التي كان يبديها ابن سـعد أمام المناصب والعروش، فساومه بها لقاء قتل الحُسين عليه السلام والقضاء على حركته، ومن هنا كان إصرار عمر بن سعد على الحرب غير آبه بما تجرهُ عليه من مسؤولية كبرى أمام الله تعالى.

ورأفةً بالقوم وإشـفاقاً عليهم من الضياع وسوء المصير، ارتأى الإمام عليه السلام الظهور أمـام القوم بمظهـر جدّهِ محمد، فارتدى عمامته وتقلّد سـيفه ودرعـه وامتطى جواده وتقدّم نحوهم ناشراً المصحف الشريف على رأسـه ليؤكد لهم ـ وهم يعرفون بمناقبه وحسن خلقه ـ أنّه الامتداد الطبيعي لجدّه الكريم صلى الله عليه وآله.

وظهور الإمام عليه السلام بهذا المظهر المهيب له مدلولاته وأبعاده؛ إذ كان الإمام عليه السلام يأمل في أن تُحدث هذه المؤثرات الفعالة وقعاً في نفوس القوم فيحدوا بهم استرجاع الماضي غـير البعيد، حيث كان النبي صلى الله عليه وآله بـين أظهرهم بجمال هيبتهِ وبهاء طلعتهِ، فيدركوا أنّ الحسـين عليه السلام هـو فرعه الطيب الذي شـابههُ خَلقـاً وخُلقاً وزهر بنـوره الشريف حتى قال صلى الله عليه وآله فيه: «**حُسـينٌ منّي وأنا من حُسـين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط**»[1].

وظل الإمام الحسـين عليه السلام في حيرةٍ من مواقف القـوم تجاه عترة نبيّهم صلى الله عليه وآله، وهم في

(١) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين: ص١٧٣.

فورة الغضب ينتظرون الأمر ببدء القتال وعيونهم غائرة نحو معسكره، كأنّهم ذئابٌ جائعةٌ تنتظر فريستها لتمزقها بمخالبها وتقطعها بأنيابها.

وثـارت عاصفـة الشر، وزمجرت رياح الغـل، وبدأ البغاة يُشـعلون فتيل الحرب، ويؤججون نار الفتنة.

وفي خضم الأحداث وتطاحن الرجال وتشـابك الأسـنّة وتقاطع السيوف صاح الإمـام عليه السلام بأصحابه: «**يـا قومي، هذه الجنة قـد فُتحت أبوابها وأُبيحـت أثمارها، وهذا رسـول الله صلى الله عليه وآله والشـهداء يتوقعـون قدومنـا، فحامـوا عن ديـن الله واحفظـوا حرم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله**»[1].

ورفرفـت راية الشـهداء خفّاقةً عـلى أرض كربلاء، وبدأت قوافل الشـهداء يتبع بعضهـا بعضـاً، ودماؤهـم الزكيـة تسـيل عـلى أرض الطفـوف وعـلى ذرات ترابهـا الصامت، مسـجِلةً ملحمةً بطوليـة كلّتْ عن وصفها الأقـلام، صدحت مدويةً عبر أعـماق الكون الفسـيح لتُسـمع الأجيال عبر الآفـاق أنّه من أرض كربـلاء قد انطلق صوت الحقّ الهادر الذي هتفت به حناجر الأحرار ضد أئمّة الجور والطغيان.

الدراسات السابقة

دراسة (نصار ٢٠٠٧م) الموسومة (إصلاح الأُمّة في ضوء الكتاب والسنّة)[2]

يقـوم الإصـلاح على ركنـين أساسـيين: الأول: هو النظـام الذي يوجه السـلوك ويحـدد الأُطـر، والثاني: الإنسـان الذي يشـيد الـصروح ويبني المعالم مسـتضيئاً بنور النظام وملتزماً بقواعد الأحكام.

تهدف الدراسة إلى إيجاد السبل الكفيلة لتقويم الاعوجاج الذي طرأ على مسار البشرية،

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة لذوي القربى: ج٣، ص٧٢.

(٢) نصار، أسعد، إصلاح الأمّة في ضوء الكتاب والسنّة (دراسة مفهوم الإصلاح واتجاهاته وآلياته)، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية مجلد ٢٣، العدد الأول، ٢٠٠٧م.

نتيجة عدم امتثال الأُمّة للمنهج الربّاني، حتى تسير في الطريق الذي رسمه الخالق.

تقع الدراسة في ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأوّل تحديد المفاهيم المتعلقة بالإصلاح، فيما تناول المبحث الثاني اتجاهات الإصلاح، أمّا المبحث الثالث فتناول آليات الإصلاح، واستخدم الباحث المنهج الوصفي الاستنباطي لتحليل النصوص، وتوصّل الباحث إلى جملة من النتائج أهمّها:

١ـ أنّ دواعي إقصاء الدين في الغرب لا وجود لها في الإسلام؛ لأنّه نظام إلهي أولاً، وثانياً لأنّه ثبت صلاحيته لكل زمان ومكان.

٢ـ أنّ معاناة الأُمّة سببه عدم امتثالها للمنهج الرباني بكل صوره ولا صلاح لأحوالها إلّا بالرجوع إلى سفينة النجاة.

٣ـ هناك اتّجاهان للإصلاح، أولهما انطلاقاً من القمة، وثانيهما الإصلاح انطلاقاً من القاعدة، والتغيير له محوران، الأول: تغيير النفس، والثاني: تهيئة البيئة الخارجية.

٤ـ أنّ الإصلاح في الإسلام له خصوصيته، فمنطلقه الإقرار بحاكمية إله للكون، وركنه الالتزام بهدى الإسلام.

وقد أفاد الباحث من الدراسة السابقة فيما يتعلق بمنهجيتها، خاصة وأنّ الدراستين قد تشابهتا بعينة بحثهما التي اشتملت على النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة وأقوال الصالحين، كذلك في موضوع بحثهما الذي تناول مفردة الإصلاح.

الفصل الثالث: إجراءات البحث

مجتمع البحث وعينته

اشتمل مجتمع البحث وعينته على نصوص قرآنية وأحاديث شريفة وخطب الإمام الحسين عليه السلام إبّان خروجه من مكّة وحتى وقوع معركة الطف، فضلاً عن مقولات تاريخية وأحاديث موضوعة ذات العلاقة بموضوع بحثه وهدفه.

منهج البحث

استخدم الباحث المنهج الوصفي الاستنباطي، وهو الطريقة التي يتم فيها بذل غاية الجهد العقلي والنفسي عند دراسة النصوص وتحليلها من أجل استخراج المفاهيم مستعيناً بكتب التفسير والسير.

الفصل الرابع: نتائج البحث

توصل الباحث إلى جملة من النتائج، وهي:

١ـ يفصح الخطاب في نهج الإصلاح الحسيني بجلاء أنّ الوثوب بوجه الطغيان أمر يسعى له كلّ إنسان سويٍّ نتيجة الإحساس بمرارة الظلم وقساوة الاضطهاد، وأنّ هذا الاحساس يتولّد من دوافع ذاتية تنشدها النفس من أجل أن تنعم بالاستقرار والسلام وتشعر بالحرية والكرامة.

وإذا ما استثنينا دوافع الحسين عليه السلام الذاتية لنصرة الدين وإصلاح المجتمع، فإنّ وثبته المباركة هي حق شرعي، وشأنه في ذلك شأن أيّ مؤمن حرّ وإنسان أبيّ ينشد الأمن والحياة الحرة الكريمة.

٢ـ يكشف الخطاب أنّ الثورة الحسينية هي الامتداد الطبيعي للمنهج الإصلاحي الرسالي الذي بدأ مع بدء الخليقة، واستُشهد من أجله العديد من الأنبياء والصالحين فداءً لسلامة الشرائع والنواميس الإلهية التي تكفل سلامة المجتمع البشري من خلال إعادته إلى جادة الصواب من بعد انحرافه عن المنهج الإلهي القويم، وهو بحد ذاته متواصل مع تواصل الحياة ولا ينتهي إلّا بتحقيق العدل الإلهي وإعلاء كلمة الإسلام في الأرض.

٣ـ يفصح الخطاب في النهج الإصلاحي الحسيني عن حقيقة مهمة تعتمدها الشرائع السماوية والمبادئ الإنسانية الثورية ألا وهي حقيقة: (انتصار الدم على السيف).

٤ـ أنّ برغم ما يحمله الخطاب الحسيني من أبعاد إنسانية، إلّا أنّه كان يمتلك في نفس الوقت من أسباب القوّة والردع ما يعدّ الشبح المرعب الذي يخيف الظالمين، ذلك أنّ أهداف ثورة الإمام عليه السلام ومبادءها قامت على أساس ردع الطغيان والاستبداد والانقلاب على الواقع الفاسد الذي خلّفه الجائرون، وكسر قيود الاستعباد من أجل التحرر والعيش الكريم.

٥ـ تعد الثورة الحسينية الميزان الذي تُزان به الثورات الإصلاحية من خلال مقارنة مبادئها وأهدافها ومجريات أحداثها مع العطاء الجهادي والفكري للثورة.

٦ـ يبين الخطاب في النهج الإصلاحي الحسيني أنّ الإصلاح ينطلق من داخل النفس البشرية، إذ هي المحرك لجميع فعاليات الإنسان، وإصلاحه يكون بتعميق الإيمان وترسيخ اليقين بقيومية الله لهذا الكون.

٧ـ يكشف الخطاب النقاب عن الدور الريادي لآل الرسول صلى الله عليه وآله في نصرة الحق وتبنّي أمر حماية الدين وتصدر مسيرته الجهادية، واحتمال أهوالها ومواقفها العصيبة التي كانت توجب على الدوام، بل للدماء والأنفس فكانوا حقّاً حملة مشعل الجهاد على مرّ العصور.

٨ـ أسقط الخطاب الحسيني الأقنعة التي كانت تتستر بها بنو أُميّة ومَن تبعهم بستار الدين، وكشف عن زيف تديّنهم بالإسلام وولائهم للنبي صلى الله عليه وآله، وفضح أعمالهم النكراء التي ترفضها الشريعة السمحاء وتستهجنها الإنسانية لما تروم إليه من هدم لأركان الدين الحنيف.

٩ـ يوضح الخطاب الحسيني أنّ ما جرى في كربلاء وما سبقه من رزايا جليلة جرت على رسول الله صلى الله عليه وآله وآله الأطهار هو تخطيط مبيّت سعت له القوى الظالمة من أجل تحقيق مصالحها الدنيوية ومنافعها الذاتية، ولإحكام السيطرة على العمليتين السياسية والاقتصادية، وقد رأت في الأئمّة الأطهار ـ الورثة الشرعيين للنبي صلى الله عليه وآله ـ العقبة التي تحول دون تحقيق أهدافها، ولم تجد بدّاً من التخلّص منهم.

١٠ـ يوضح الخطاب في نهج الإصلاح الحسيني أنّ عملية التغيير ضرورة حتمية ولا بدّ أن تمتلك صفة الديمومة للحفاظ على سلامة الدين والمجتمع.

١١ـ يفصح الخطاب الحسيني عن تحمّل الأُمّة الإسلامية آنذاك المسؤولية التاريخية عن قتل الحسين عليه السلام وما جرى على آل الرسول صلى الله عليه وآله من تقتيل واضطهاد بسبب تقاعسها عن نصرته وتراخيها في اتّباع الحق وتوانيها في ردع الظالمين.

١٢ـ يكشف الخطاب الحسيني أنّ أمر الإصلاح العام للحياة وتغيير مسيرة انحراف الأُمّة عن المنهج القويم هي المسؤولية الدينيّة والدنيويّة للإمام عليه السلام، ومسؤوليته الشرعية هذه تأتي من كونه حجّة الله وخليفته في الأرض ممّا يُعدّ ذلك دليلاً قاطعاً على سلامة موقف الإمام عليه السلام في دعوته الإصلاحية ضد الولاة الجائرين، فيكون رادعاً للمشككين والرافضين لثورته المباركة.

١٣ـ يؤكِّد الخطاب الحسيني أنّ الخوف والرهبة من السلطان الجائر وسطوته من مظاهر انحطاط النفس وتدنيها، وعلى الإنسان أن يرتقي بإيمانه إلى ما يرضي ربّه، فالله تعالى أحق أن يُخاف وأوْلى مَنْ يُرهب.

١٤ـ يسفر الخطاب الحسيني عن حقيقة ماهية الدعوة الإصلاحية الحسينيّة بأنّها دعوة تجمع بين الأقوال والأفعال وبين نداء الروح والجسد.

١٥ـ يفصح الخطاب الحسيني عن أنّ الثورة هي الترجمة العملية لمفاهيم وحقائق قرآنية تُعنى بالنفس البشرية وسُبل رقيها وأسباب فوزها.

١٦ـ يزيح الخطاب الحسيني النقاب عن أنّ ما تعرض له الإمام عليه السلام وأهل بيته مِنْ قَبْل هو نتيجة للموروث الذي خالف الأوامر الإلهية والوصايا النبويّة التي تكفل سلامة الأُمّة وتؤمن مسيرتها الدنيويّة والأُخرويّة، فباتت الأُمّة أثْرها في فوضى عارمة وتيه عظيم.

١٧ـ يكشف الخطاب عن رسوخ مبادئ ثورة الإمام عليه السلام ونزاهة أهدافها

وحيويتها وفعاليتها عبر الدهور، ما أكسبها سِمَتا المعاصرة والخلود، وأفرزت تبعاً لهاتين السمتين ثلاث فئات من الناس: فئة ظالمة سعت إلى إماتة روح الانتفاضة وقبرها، وأُخرى متزعزعة كرهت انبعاث الانتفاضة وشيوعها، وفئة مؤمنة لازمت مناصرة الانتفاضة وتفاعلت مع رزيتها وآلامها تفاعلاً روحياً ومبدأياً.

التوصيات

في ضوء نتائج البحث يوصي الباحث بما يأتي:

١ـ إيلاء الأهمّية القصوى لموضوع نهج الإصلاح الحسيني لما له من أهمّية كبرى في تراثنا الإسلامي من خلال المنتديات العلمية والثقافية وإجراء الحواريات والمناقشات حوله، وتوثيق ذلك ونشره من خلال وسائل الإعلام.

٢ـ حثّ الكفاءات العلمية والطاقات الشبابية على التأليف حول موضوع النهج الإصلاحي الحسيني، ورفدهم بالمستلزمات المادية والمراجع التأريخية والدينية والمصادر الأدبية والنقدية.

المقترحات

يقترح الباحث ما يأتي:

١ـ إجراء دراسات أكاديمية حول نهج الإصلاح الحسيني.

٢ـ إجراء دراسة مقارنة بين النهج الإصلاحي الحسيني وبين نهج الدعوات الإصلاحية الحديثة.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم

١ ـ الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط٥، ١٩٩٩م، دار القلم، دمشق.

٢ ـ إصلاح الأمّة في ضوء الكتاب والسنّة: أسعد نصار، مجلة جامعة دمشق للعلوم والاقتصادية والقانونية، م٢٣، العدد: ١، ٢٠٠٧م.

٣ ـ الإصلاح الإداري (المنظور الإسلامي والمعاصر والتجربة)، عبد الرحمن إبراهيم الضحيان، السعودية، ط١، دار العلم، جدة، ١٤١٤هـ.

٤ ـ الأغاني: أبو الفرج الإصفهاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، إشراف: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي، ١٩٧٠م.

٥ ـ أوائل المقالات في المذاهب المختارات، (الشيخ المفيد) محمد بن محمد بن النعمان، ط٣، ١٩٧٣م، المطبعة الحيدرية، النجف.

٦ ـ البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير، مكتبة المعارف، النشر بيروت.

٧ ـ تاريخ الأُمم و الملوك، محمد بن جرير الطبري، دار القاموس الحديث، البيان، بيروت.

٨ ـ حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميّري، ط٣، ١٩٥٦م، مكتبة ومطبعة الحلبي وأولاده، مصر.

٩ ـ الدعوة إلى الإصلاح، حسين محمد الخضر، ط١، دار النوادر، بيروت، ٢٠١٠م.

١٠ ـ رسالة الإصلاح، الشيخ بدوي محمود، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٩٩٧م.

١١ ـ سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، (ت٢٧٩هـ).

١٢ ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: أبو الفضل محمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، سنة الطبع ١٩٦٢م.

١٣ ـ الصلح والإصلاح في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)، مريم عبد الرحمن القدوس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أُمّ القرى، ١٩٩٠م.

١٤ ـ عيون الأخبار، الدنيوري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

١٥ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي، مكتبة المثنى، بغداد.

١٦ ـ كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي بن علي التهانوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

١٧ ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ط٣، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٨ ـ اللهوف على قتلى الطفوف، علي بن موسى المعروف بابن طاووس، ط١، ١٤١٧هـ، مطبعة مهر.

١٩ ـ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ)، ط١، ١٩٧٩م، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٠ ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٣، دار الدعوة للنشر، القاهرة، ١٩٩٠م.

٢١ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، ١٩٦٤م، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر.

٢٢ ـ مسند الشاميين، سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.

٢٣ ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٢٤ ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ط١، ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٥ ـ مقتل الحسين عليه السلام أو حديث كربلاء، عبد الرزاق المقرّم، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٦٨هـ.

٢٦ ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٧م.

٢٧ ـ نضرة على مناهج الإصلاح في القرآن الكريم: محمد تقي المدرسي، *www.almodarres.com*.

٢٨ ـ ينابيع المودّة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي، تحقيق: سيد علي جمال الحسيني، ط١، ١٤١٦هـ، ومطبعة أُسوة، دار الأُسوة للنشر.

المضامين الإصلاحية في خطب الإمام الحسين عليه السلام ومواعظه

م. د. ثائر عباس النصراوي *

م. د. مجبل عزيـز جاسم **

توطئة

ممّـا لا شـك فيـه أنّ النهضة الحسـينيّة قد رفـدت الأُمّة بدروس وعِـبر، حري بها أن تتخـذ منهـا مناراً تهتدي بهديه، ومنهجاً تترسـم خطاه إذا مـا أرادت أن تنجو من العثـرات، ومـا يعصف بها من انحرافات، فقد كان الباعـث الأهمّ لهذه النهضة، هو تصحيح المسار الذي جنح بالأُمّة، وإصلاح ما لحق بها من مفاسد.

لقد تصدى الإمام الحسـين عليه السلام لهذه المهمّة الصعبـة، وما انطوت عليه من مخاطر، فـكان للكلمة وقعها المـدوي، أعقبه بالعمل ليكون العمل مصـداق القول، في زمن خفـت فيه صـوت الحق؛ إذ آثر النـاس العافية، فلاذ بالصمت مَـن لاذ، وتهاوى من أخذه بريق الذهب.

تصدى الإمام لمسـؤولية الإصلاح بحكم تكليفه الشرعي بوصفه إمام الأُمّة، من خـلال الوعظ والإرشـاد، وهذا ما ترك أثـره البالغ في نفوس النـاس ممّا أثار مخاوف السـلطة التي عجّلت بخروجه، من خلال محاولة إجبـاره عليه السلام على البيعة، هذه البيعة التي تعني الكثير، إذ تُشـكّل قضية أخذ البيعة من الإمام إضفاءً للشرعية على النظام الجديد، وإبعاداً لخطر يؤرّق سلطته.

---

* جامعة الكوفة/ كلّية التربية.

* جامعة الكوفة/ كلّية التربية.

لقد تجسّد الإصلاح في مقولة الإمام الشهيرة التي سطّرها في وصيته لمّا شرع بنهضته: «**هذا ما أوصى به الحسين بن علي إلى أخيه محمد بن الحنفية: أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عنده، وأنّ الجنّة حقّ والنّار حقٌّ، والساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنّ الله يَبعث مَن في القبور، وأنّي لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مُفسداً، ولا ظالِماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلى الله عليه وآله أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المُنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب، فمَن قَبلني بقبول الحقّ؛ فالله أوْلى بالحقّ، ومَن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم، وهو خير الحاكمين، وهذه وصيّتي إليك يا أخي، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب**»[1].

وضع الإمام الحسين عليه السلام المبادئ التي ارتكزت عليها نهضته؛ إذ بدأ بصيغة النفي (لم أخرج أشراً)[2]، و(لا بطراً)[3]، و(ولا مُفسداً)[4]، و(لا ظالماً)[5]، وفيها استبعد

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

(٢) «الأَشَرُ: المَرَح، والأَشَرُ: البَطَرُ، أَشِرَ الرجلُ ـ بالكسر ـ يَأْشَرُ أَشَراً فهو أَشِرٌ وأَشُرٌ وأَشْرانُ مَرِحَ... وقيل: أَشَدُّ البَطَر... وآشَرِه، أَي: أَبْطَرِه وأَنْشَطِه». ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٤، ص٢٠.

(٣) «البَطَرُ: النشاط، وقيل: التبختر، وقيل: قلّة احتمال النِّعمة، وقيل: الدَّهَشُ والحَيْرَةُ، وأَبْطَرهُ، أَي: أَدهشه، وقيل: البَطَرُ الطُّغيان في النِّعْمَةِ، وقيل: هو كراهة الشيء من غير أَن يستحق الكراهية، بَطِرَ بَطَراً فهو بَطِرٌ، والبَطَرُ الأَشَر، وهو شدّة المَرَح... وقال الليث: البَطَرُ كالحَيْرَة والدَّهَش، والبَطَرُ كالأَشَر وغَمْطِ النعمة، وبَطِرَ بالكسر يَبْطَرُ وأَبْطَرَه المالُ وبَطِرَ بالأَمر: ثَقُل به ودَهِشَ؛ فلم يَدْرِ ما يُقَدِّم ولا ما يؤخر. وأَبْطَرَه حِلْمَهُ: أَدْهَشَهُ وبَهَتَهُ عنه، وأَبْطَرَه ذَرْعَهُ: حَمَّلَهُ فوق ما يُطيق. وقيل: قطع عليه معاشه وأَبْلَى بَدَنَه». المصدر السابق: ج٤، ص٦٨.

(٤) «الفسادُ: نقيض الصلاح، فَسَدَ يَفْسُدُ ويَفْسِدُ وفَسُدَ فَساداً وفُسُوداً فهو فاسدٌ». المصدر السابق: ج٣، ص٣٣٥.

(٥) «الظُّلْمُ: وَضْع الشيء في غير موضِعه... وأصل الظُّلم الجَوْرُ ومُجاوَزَة الحدِّ... والظُّلْم: المَيْلُ عن القَصد. والعرب تَقُول: الْزَمْ هذا الصَّوْبَ ولا تَظْلِمْ عنه، أي: لا تَجُرْ عنه... يقال: ظَلَمَه يَظْلِمُهُ ظَلْماً وظُلْماً ومَظْلِمةً، فالظَّلْمُ مَصْدرٌ حقيقيٌّ والظُّلمُ الاسمُ يقوم مَقام المصدر وهو ظالمٌ وظَلوم». المصدر السابق: ج١٢، ص٣٧٣.

كلّ المفاسد التي قد ترافق أيّ عمل يقوم به المرء، فهو لم يطلب الدنيا التي قد تُثار تجاه طُلّابها بعض الشبهات وتتخللها بعض المفاسد وربّما تلحق الضرر بالأُمّة، وبعد ذلك انطلق الإمام عليه السلام في إبراز أهداف نهضته الإصلاحية، من خلال إشارته إلى مطلب الإصلاح، وهو مطلب عام، ثمّ شرع بالإفصاح عن جزئياته ومفرداته، ومنها الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واتباع السيرة النبوية الشريفة التي أجمع عليها المسلمون وغير ذلك.

سنحاول في هذه الوقفة العُجلى إلقاء الضوء على خطب الإمام الحسين عليه السلام ومواعظه للناس، وما تحمل من مضامين إصلاحية وجهت بالدرجة الأُولى نحو إصلاح النفس، التي تُعدّ واسطة العمد التي يستند إليها إصلاح المجتمع برمّته، ثمّ نُعرّج إلى المواعظ التي تخاطب الآخر ـ سواء كان من الموالين للإمام عليه السلام، أم من معارضيه ـ وما تحمل من نصائح غايتها تسديد الخُطى، وتقويم ما انحرف عن جادة الحقّ من المخالفين على اختلاف مشاربهم، سواء أكانوا من قادة القوم الذين أخذتهم العزّة بالإثم، أم ممّن غُرّر بهم وضُللوا وصُورت لهم الأُمور على غير حقيقتها.

المبحث الأوّل: إصلاح النفس (الموعظة الموجّهة إلى الذات)

لعلّ الخطاب الموجّه للنفس وتذكيرها بأوامر الله سُبحانه وتعالى ونواهيه تحمل من المضامين الكثيرة، وبخاصّة ما يصدر عن المعصوم عليه السلام، فهي تترك أثراً كبيراً في المتلقي؛ إذ تعطيه الحافز على الاقتداء واستلهام العبرة؛ فخوف المعصوم من ارتكاب المعاصي التي تؤدي إلى النار، إنّما هو تذكير للعامّة بوجوب الحذر من ارتكاب هذه المعاصي التي تدفع بصاحبها إلى النار، وممّا حمل هذا المعنى في مواعظ الإمام الحسين عليه السلام، قوله عندما سُئل: «**كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ قال عليه السلام: أصبحتُ ولي ربٌّ فوقي، والنار أمامي، والموت يطلبني، والحساب محدق بي، وأنا مرتهن بعملي، لا أجد ما أحبّ، ولا أدفع ما أكره، والأُمور بيد غيري، فإن شاء عذّبني، وإن شاء عفا**

عنّي، فأيّ فقير أفقر منّي؟!»[1].

نلمس في هذا النصّ الكثير من المضامين الإصلاحية الموجّهة للنفس؛ ليعم تأثيرها في الآخر، إذ كانت إجابته تمثّل مساراً واضحاً يوصل مَن سار عليه إلى مأمنه ونجاته، ويُحصّنه ممّا قد يقع به المرء؛ نتيجة غفلته أو ابتعاده عن جادّة الحقّ، ركّز الإمام عليه السلام على مسألة مهمّة في حياة العبد ألا وهي مخافة الله سُبحانه وتعالى، الذي يراقب العبد (أصبحت ولي ربّ فوقي)، فعندما يطمئن المرء بوجود الرقيب المطّلع على الخفايا لا يقدم على المعاصي، بل يحرص على التحلّي بالمحاسن والمحامد كالتقوى والورع، والسير على ما يرضي الرقيب إذا ما علم أنّ الأعمال لا تُترك على عواهنها، بل هناك جزاء (والنار أمامي، والموت يطلبني، والحساب محدق بي)، وهنا يتحدد الجزاء في ضوء العمل (وأنا مرتهن بعملي)، فالمرء رهين بعمله لا يدفع عن نفسه (لا أجد ما أُحبّ، ولا أدفع ما أكره، والأُمور بيد غيري)، وهذا يوجب الانقطاع إلى الله والتسليم بقضائه، مع الأخذ بالأسباب في اتباع أوامره والابتعاد عمّا يغضبه.

ومن أقواله التي وردت على هيئة الدعاء، وأراد بها وعظ الآخر عِبر وعظ النفس وحثّها على شكر النعم التي أنعم الله بها على العباد: «**اللهمّ لا تستدرجني بالإحسان، ولا تُؤدّبني بالبلاء**»[2]، فالاستدراج من الله سُبحانه وتعالى للعبد هو: أن يسبغ عليه النعم، ويسلب منه الشكر[3]، وكأنّ الإمام عليه السلام يستحضر معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[4]، فالإمام عليه السلام استلهم مضمون الآية الكريمة، فجاء دعاؤه بصيغة النهي

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٧٠٧. الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٤٤٠.

(٢) الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٤١. أُنظر: العاملي، محمد بن مكي، الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة: ص٢٣.

(٣) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥، ص١١٧.

(٤) آل عمران: آية١٧٨.

الـذي خـرج مـن معنـاه الأصـلي إلى معنىً مجـازي، فطلـب أن لا يكون مـا يناله من الإحسـان إنّما هو اسـتدراج يُنسيه الشـكر مسـتحضراً صورة الكافرين الذين ينالهم مـن الخير، فينقلب عليهـم فيزدادوا إثماً؛ لأنّهم جحدوا فحـقّ عليهم العذاب، وهذا درس آخر لنا أطلقه الإمام؛ إذ جمع في هذا الدعاء معاني كثيرة في ألفاظ قليلة، أفصح فيهاعليه السلام عن امتلاكه ناصية الفصاحة والبلاغة[1]؛ وبذلك اكتسـب النصّ قوة التأثير في المتلقّي.

الثبات على المبدأ

لم تثـنِ الإمام الحسـينعليه السلام الضغوط عمّا اختطّه لنفسـه من طريـق؛ إذ تروي كتب التاريخ كثرة المعارضين لنهضته، فهذا ابن عباس يتوسل محاولاً منعه من الشخوص إلى الكوفة بكلّ الوسائل، فلم يفلح؛ إذ يقول بعد أن استيأس من ثني الإمامعليه السلام عن المسـير: «**والله، لو أعلم أنّي إذا تشـبثت بك وقبضت على مجامع ثوبك، وأدخلت يدي في شعرك حتى يجتمع الناس عليَّ وعليك، كان ذلك نافعي لفعلته، ولكن أعلم أنّ الله بالغ أمره...**»[2]، فثبات الإمامعليه السلام نابع من عقيدته الراسخة، وإيمانه المطلق بصحة نهضته التـي هدفها الإصلاح، فضلاً عن تردي الواقع الذي تمرّ به الأُمّة، وانحراف المسـيرة بعد أن تصدى لها ذوو الضلالة والانحراف.

لقد تجسّـد ثبـات الإمام الحسـينعليه السلام في رفضه الخضوع إلى اللّئـام كما وصفهم في خطبتـه المشـهورة، إذ يقـول: «**أَلا وإنّ الدعيّ ابـن الدعيّ قد تركني بين السـلّة والذلّة، وهيهـات له ذلك منّي، هيهات منّا الذلّة، أبى الله ذلك لنا ورسـوله والمؤمنون، وحجُورٌ طهُـرت وجُدود طابـت، أن يُؤثر طاعة اللِّئام على مصارع الكـرام، أَلا وإنّي زاحف بهذه**

(١) أُنظر: الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٤٠.

(٢) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٧٣. أُنظر: سبط بن الجوزي، يوسف ابن فرغلي، تذكرة الخواص: ص٢٣٩ وما بعدها. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٢٩٣ وما بعدها.

الأُسرة على قلّة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر»[1]، لم يتأثر بالعدو وكثرته، ولا قلّة الناصر، وتنصّل مَن راسله عن عهودهم، وتمثّل عليه السلام فقال:

فَإِنْ نَهْزِمْ فَهَزّامُونَ قدْماً ... وَإِنْ نُهْزَمْ فَغَيرُ مُهَزَّمينا
وَما إنْ طبُّنا جُبْنٌ وَلكِنْ ... مَنايانا وَدَوْلَةُ آخَرينا
فَلَوْ خَلُدَ الْمُلُوكُ إذاً خَلُدْنا ... وَلَوْ بَقي الْكِرامُ إذاً بَقينا
إذا مَا الْمَوْتُ رَفَّعَ عَنْ أُناس ... كَلاكِلَهُ أَناخَ بِآخَرينا
فَأَفْنى ذلِكُمْ سَرَواتِ قَوْمي ... كَما أَفْنَى الْقُرُونَ الأَوَّلينا
فَقُلْ لِلشّامِتينَ بِنا أَفيقُوا ... سَيَلْقى الشّامِتُونَ كَما لَقينا[2]

إنّ ثبات الإمام الحسين عليه السلام على المبادئ والقيم الحقّة، التي هي ميراث النبوّة على قلّة الناصر وشراسة العدو، وتمسّكه بالرسالة الإصلاحية التي أصرّ على إبلاغها للأجيال، من الدروس التي يجدر بنا التمسّك بها في زماننا هذا وفي كلّ أوان، فـ «**ما أحوج المسلمين اليوم أن يستلهموا جهاد أُولئك العظماء الأفذاذ، ويقتفوا آثارهم، في التمسّك بالدين، والثبات على المبدأ، والتفاني في نصرة الحقّ، ليستردوا مجدهم الضائع، وعزّهم السليب، وينقذوا أنفسهم من هوان الهزائم الفاضحة والنكسات المتتالية**»[3].

لقد أطلق الإمام الحسين عليه السلام صرخةً في وجه الظالمين، ما زالت مدوية في الآفاق تزلزل عروش الظلم، رفعها الثائرون شعاراً يشدّ من أزرهم ويقوي عزائمهم كلّما عصف بالأُمّة خطب، قالها في أوج المحنة: (هيهات منّا الذلّة)، شعار رفعناه بألسنتنا وما علينا إلّا تعزيز القول بالفعل إذا ما أردنا الإصلاح وإنقاذ الأُمّة من حال التردّي والضياع.

---

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الصدر، مهدي، أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص١٩٠.

اتّباع السنّة

لقد سار الإمام الحسين عليه السلام على هدي الرسالة المحمدية السمحة، التي أرست قواعد البناء والإصلاح، وغرست شجرة الخير؛ ليعم نفعها الجميع، فتعهد الإمام الحسين عليه السلام رعاية هذه الشجرة لتؤتي أُكلها كلّ حين، فرفع شعار الإصلاح واتّباع سنّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في تحقيق هذه الرسالة «**خرجت لطلب الإصلاح... وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالبٍ**»(١).

لقد تصدى الإمام الحسين عليه السلام إلى إحياء سنّة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله من خلال التصدي للبدع التي تجذّرت في المجتمع، فابتعد القوم عن سبل الرشاد، فكان لزاماً على إمام الأُمّة أن يصدع بدعوته إلى السنّة النبوّية السمحة، وهنا يقول الإمام الحسين عليه السلام: «**وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسُنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، فإنّ السنّة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت، وإن تسمعوا قولي وتُطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد**»(٢).

جسّد الإمام عليه السلام اتباعه لسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله على أرض الواقع، من خلال رفضه للانحراف، والتصدي لتقويمه بالقول والفعل، من خلال رفضه البيعة، ونهضته للمطالبة بالتغيير ورفع الظلم والحيف الذي لحق بالأُمّة إذ يقول: «**أيّها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله، أَلا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله...**»(٣).

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٣٠.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٦٦.

(٣) المصدر السابق: ج٤، ص٣٠٤. أُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٤٨.

مـن هنـا؛ نجـد أنّ الإمام الحسـين عليه السلام إنّما خـرج لطلـب الإصلاح امتثـالاً لأمر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وتثبيتاً لسنّته التي خولفت وابتعد عنها الناس بعد انحراف بني أُميّـة عن المسـار القويم، وتركوا طاعـة الرحمن، وركنوا إلى الشـيطان، فبدى ظلمهم للعباد بيّناً، وهنا نجد القرآن الكريم قد نهى عن اتّباع مَن عطّل سنّة نبيّه واتّبع هواه، كقولـه تعـالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[1]. وعليه فإنّ قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وفعله وتقريره إنّما هو امتـداد لما جـاء في القرآن الكريم مـن أوامرٍ ونـواهٍ، فأمر النبي صلى الله عليه وآله بعـدم الركون إلى السـلطان الجائر إنّما هو امتداد لأمر الله سُـبحانه وتعالى بعـدم الركون إلى الظالم، وما صرخة الإمام الحسين عليه السلام بوجه الظالم إلّا امتثالاً لأمر الله وإحياءً لسنّة نبيّه.

المبحث الثاني: الموعظة الموجّهة إلى الآخر

تعدّدت سـبل توجيه المواعظ والإرشـادات عند الإمام الحسـين عليه السلام، فلم تقتصر على مخاطبة الآخرين من خلال مخاطبة الذات؛ إذ نجده أحياناً يُخاطب الآخر بصورةٍ مباشرةٍ؛ لتتحقق الأهداف المرجوّة من هذه المواعظ، فقد يحمل الخطاب معنى الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، أو ربّما يكون الغرض منه إلقاء الحجة على المتلقّي الذي استبدّ به العناد والتعنّت والغي، وسنتعرّض لهذه المضامين في ضوء هذه المواعظ:

أوّلاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من الواجبات التي حثّت عليها الشريعة الإسلامية بوصفها أداة لتقويم ما اعوجّ من سـلوكيات في المجتمع الإسـلامي، وقد عرفها أهل اللغة بأنّها: «**ما يُستحسن من الأفعـال، وكلّ مـا تعرفـه النفس من الخـير وتطمئن إليـه. والمنكر: كلّ مـا قبّحه الشرع وحرّمـه وكرّهه**»[2]، ويمكن أن نتبينّ المعـروف من المنكر من خلال ما ورد في القرآن

(١) هود: آية١١٣.

(٢) عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات الفقهية: ص٤٩٣.

الكريم والسنّة النبويّة الشريفة، فـ«كلّ ما أمر الله ورسوله به فهو معروف، وما نهى الله ورسوله عنه فهو منكر»[1]، و«لا يختصّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمورد من الموارد، ولا مجال من المجالات، بل هو شامل لجميع ما جاء به الإسلام من مفاهيم وقيم، فهو شامل للتصورات والمبادئ التي تقوم على أساسها العقيدة الإسلامية، وشامل للموازين والقيم الإسلامية التي تحكم العلاقات الإنسانية، وشامل للشرائع والقوانين، وللأوضاع والتقاليد، وبعبارة أُخرى: هو دعوة إلى الإسلام عقيدةً ومنهجاً وسلوكاً، بتحويل الشعور الباطني بالعقيدة إلى حركة سلوكية واقعية، وتحويل هذه الحركة إلى عادة ثابتة متفاعلة ومتصلة مع الأوامر والإرشادات الإسلامية، ومنكمشة ومنفصلة عن مقتضيات النواهي الإسلامية»[2].

لقد تصدى الإمام الحسين عليه السلام إلى هذه المسؤولية الشرعية بصورة جلية، إذ تجسّدت على أرض الواقع بالقول والفعل، فيقول: «اعتبروا أيّها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار، إذ يقول: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ...﴾[3]. وقال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ...﴾[4]. إلى قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[5]، وإنّما عاب الله ذلك عليهم؛ لأنهّم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد، فلا ينهونهم عن ذلك رغبةً فيما كانوا ينالون منهم ورهبةً ممّا يحذرون، والله يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾[6]، وَقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[7]، فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر فريضةً منه، لعلمه بأنّها إذا أُدّيت وأُقيمت، استقامت

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج١، ص٤٨٣.
(٢) مركز الرسالة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ص١٢.
(٣) المائدة: آية٦٣.
(٤) المائدة: آية٧٨.
(٥) المائدة: آية٧٩.
(٦) المائدة: آية٤٤.
(٧) التوبة: آية٧١.

الفرائض كلّها، هيّنها وصعبها. وذلك أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع ردّ المظالم ومُخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقّها...»[1].

لقد انطلق الإمام الحسين عليه السلام من حقيقة راسخة مفادها: أنّ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا ما أُدّيت على أُصولها ستُصلَح شؤون الأُمّة كلّها ويتحقق الأمن المجتمعي، فيُنتصر للمظلوم ويُردع الظالم.

ولم تكن الغاية من تبنّي مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الإمام الحسين عليه السلام إلّا الإصلاح، وإقامة العدل، ونصرة المظلوم؛ إذ يقول: «**اللهمّ، إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فُضول الحطام، ولكن لِنُرِيَ المعالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك؛ ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسُننك وأحكامك، فإن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيّكم، وحسبنا الله، وعليه توكّلنا، وإليه أنبنا، وإليه المصير**»[2].

وانطلاقاً من هذا المبدأ وجد الإمام الحسين عليه السلام أنّه لا بدّ من الخروج؛ لطلب الإصلاح الذي لا يتمّ ولا تتحقق الأهداف المرجوة منه إلّا بالقول والعمل، فالقول هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنطاقهما الواسع على وفق ما يقبله العقل والوحي، والعمل هو اتّباع سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ووصيه الإمام علي عليه السلام.

ثانياً: إلقاء الحجة

لم يترك الإمام الحسين عليه السلام خصومه دون وعظ أو إرشاد؛ عسى أن يعودوا إلى رشدهم، من خلال إيضاح الصورة التي التبست عليهم بوعي منهم أو من دون وعي؛ إذ ربّما تؤثر الدعاية الإعلامية للخصم، فينساق الناس وراءها عبر قلب

(١) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله: ص٢٣٧.
(٢) المصدر السابق.

الحقائق، فتنطلي الأكاذيب، وهذا غالباً ما يقع فيه عامّة الناس؛ بسبب سهولة الإيقاع بهم وتضليلهم، فيما يركب العناد والتعنت الفئة الثانية التي هي على اطلاع ومعرفة بالحقيقة، إلّا أنّ حبّ الدنيا وبريق الذهب قد خطف أبصارها، فوقعت في شراك النفس الأمّارة بالسوء.

أمام هذا الانسياق وراء هوى النفس ومغريات الدنيا وجد الإمام عليه السلام ضرورة ملحّة إلى تبصير الفئة الأُولى على الأقل؛ علّها ترجع إلى رشدها، فكان لا بدّ من إلقاء الحجة على الناس وتحذيرهم من الانحراف والردّة، فوجّه خطابه إليهم في أوج المعركة، فـ«**لمّا استكفّ الناس بالحسين عليه السلام ركب فرسه، واستنصت الناس، وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: تَبّاً لكم أيّتها الجماعة وترحاً وبُؤساً لكم، حين استصرختمونا وَلهين، فأصرخناكم مُوجفين، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا، وحمشتم علينا ناراً أضرمناها على عدوّكم وعدوّنا، فأصبحتم إلباً على أوليائكم، ويداً على أعدائكم من غير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، ولا ذنب كان منّا إليكم، فهلّا لكم الويلات إذ كرهتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكنّكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدبا، وتهافتّم إليها كتهافت الفراش، ثمّ نقضتموها سفهاً وضِلّة، فبُعداً وسُحقاً لطواغيت هذه الأُمّة، وبقيّة الأحزاب ونبذة الكتاب، ومُطفئي السنن، ومُؤاخي المستهزئين الَّذين جعلوا القرآن عضين، وعصاة الإمام، وملحقي العهرة بالنسب، ولبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سَخِط الله عليهم وفي العذاب هم خالدونَ، أفهؤلاء تعضدون، وعنّا تتخاذلون، أجل والله، خذلٌ فيكم معروف، نبتت عليه أُصولكم، واتزرّت عليه عروقكم، فكنتم أخبث ثمر شجر للناظر، وأكلة للغاصب، أَلا لعنة الله على الظالمين الناكثين، الَّذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلوا الله عليهم كفيلاً**»[1].

ممّا يميّز هذا الخطاب، الشدّة والقوة التي يتطلبها الموقف، وكأنّ القوم قد وصلوا

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٤. أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٢١.

إلى مرحلة اللا عودة، فأراد تعنيفهم وزجرهم، فاستعمل ألفاظاً تتسم بالشدّة، فذكّرهم بكتبهم وبيعتهم له، ثمّ تراجعهم وانحيازهم إلى الطاغوت...

ثالثاً: حفظ كرامة الآخر

ومن المضامين الإنسانية التي حفلت بها السيرة الحسينيّة الشريفة، التي تُعدّ دروساً ومبادئ رصينة وراسخة، يجدر بالمؤسسة التي تُعنى بحقوق الإنسان أن تتخذ منها مناراً تهتدي به، ومنهاجاً تحذو حذوه؛ لتحفظ كرامة الإنسان وتصون ماء وجهه؛ لأنّه قيمة عُليا كرّمه الله سُبحانه وتعالى وسخّر له كلّ شيء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1]، ولمّا كان الإنسان هذا قدره وهذه منزلته عند الله سُبحانه وتعالى، نجد هذا التكريم قد انسحب على سلوك الأئمّة عليهم السلام وطريقتهم في التعامل مع الإنسان، ونجد ذلك الأمر جلياً في خطاب الإمام الحسين عليه السلام الموجّه للإنسان حينما «**جاءه رجل من الأنصار يُريد أن يسأله حاجة، فقال عليه السلام: يا أخا الأنصار، صُن وجهك عن بذلة المسألة، وارفع حاجتك في رقعة، فإنّي آتٍ فيها ما سارّك إنْ شاء الله. فكتب: يا أبا عبد الله، إنّ لفلان عليّ خمسمائة دينار، وقد ألحّ بي، فكلّمه ينظرني إلى ميسرة. فلمّا قرأ الحسين عليه السلام الرقعة دخل إلى منزله، فأخرج صرّة فيها ألف دينار، وقال عليه السلام له: أمّا خمسمائة، فاقض بها دينك، وأمّا خمسمائة فاستعن بها على دهرك، ولا ترفع حاجتك إلّا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروءة، أو حسب، فأمّا ذُو الدين فيصون دينه، وأمّا ذو المروءة فإنّه يستحيي لمروّته، وأمّا ذُو الحسب، فيعلم أنّك لم تُكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يردّك بغير قضاء حاجتك**»[2].

لم يتبع الإمام عليه السلام صدقته بالمنّ، وكأنّه استحضر مضمون الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ

(١) الإسراء: آية٧٠.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥، ص١١٨.

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1]، ولم يكتفِ الإمام عليه السلام بحفظ ماء وجه السائل، بل وضع قاعدة لذلك من خلال إرشاد مَن يضطر إلى طلب الحاجة من الناس، أن لا يسأل إلّا ذا دين (فيصون دينه)؛ فيكتم أمر السائل ولا يذيع خبر مسألته بين الناس، وذا المروءة؛ (فإنّه يستحيي لمروءته)، فلا يهدر كرامة السائل فيحسن إليه، أمّا ذو الحسب، فإنّه يستجيب لَمن يسأله قضاء حاجة من دون منٍّ أو أذى.

رابعاً: الحضّ على المكارم

من مواعظه عليه السلام في الحضّ على المكارم وترغيب الناس في التسابق في عمل الخير، وقضاء حوائج الآخرين، وتجنب المنّ والأذى، إذ يقول: «**أيّها الناس، نافسوا في المكارم، وسارعوا في المغانم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجّلوه، واكتسبوا الحمد بالنّجح، ولا تكتسبوا بالمطل ذمّاً، فمهما يكن لأحد صنيعة له رأى أنّه لا يقوم بشكرها فالله مكافٍ له، فإنّه أجزل عطاءً وأعظم أجراً. اعلموا أنّ حوائج الناس إليكم من نعم اللهّ عليكم، ولا تملّوا النعم فتحور نقماً، واعلموا أنّ المعروف مُكسب حمداً ومعقب أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسرّ الناظرين ويفوق العالمين، ولو رأيتم اللؤم رجلاً رأيتموه سمجاً مشوّهاً تنفر منه القلوب وتغضّ دونه الأبصار**»[2].

لقد رسم الإمام عليه السلام للمكارم صوراً محسوسة تتمثّل أمام الناظر بأحسن صورها وأبهاها؛ لتكون ممّا تشخص إليها الأبصار، وتهفو إليها الأنفس، فقد شبّه صورة المعروف بصورة رجل وضيء حسن الوجه يسرّ الناظرين، ويقابل ذلك بصورة اللؤم، فيشبّهه بصورة رجل سمج مشوّه تنفر منه القلوب.

---

(١) البقرة: آية ٢٦٤.

(٢) ابن حمدون، محمد بن الحسن، التذكرة الحمدونية: ج١، ص١٠٢.

وتتوالى عباراته مفعمة بالمواعظ التي تحثّ على التحلّي بمكارم الأخلاق والصفات الحميدة، التي ترتقي بالنفس وتنزع منها كلّ ما يشينها؛ لأنّ بصلاح النفس يصلح المجتمع بأسره، إذ يقول: «**أيّها الناس، مَن جاد ساد، ومَن بخل رذل، وَإنّ أجود الناس مَن أعطى مَن لا يرجو، وإنّ أعفى الناس مَن عفى عن قُدرة، وإنّ أوصل الناس مَن وصل مَن قطعه، والأُصول على مغارسها بفروعها تسموا، فمن تعجّل لأخيه خيراً وجده إذا قدِم عليه غداً، ومَن أراد الله تبارك وتعالى بالصنيعة إلى أخيه كافأه بها في وقت حاجته، وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو أكثر منه، ومَن نفّس كُربة مُؤمن فرّج الله عنه كرب الدنيا والآخرة، ومَن أحسن أحسن الله إليه، والله يحبّ المحسنين**»[1].

ولعلّ سوق كلّ مكرمة وما يقابلها من ثواب يترك في النفس أثراً واضحاً، فجعل (على سبيل المثال) ثمن الجود السيادة، على حين قابل بين كلّ رذيلة بجزائها، فجعل الدناءة والوضاعة مصير كلّ بخيل، وكذلك قابل بين الوصل والقطع، والأُصول والفروع، والدنيا والآخرة.

المبحث الثالث: أساليب الوعظ عند الإمام الحسين عليه السلام

أوّلاً: الموعظة الموجهّة للقريب (الموالي)

لقد وسمت الدعوة الإصلاحية التي نهض بها الإمام الحسين عليه السلام بميسم الإقناع والموعظة الحسنة، التي تقوم على الدليل الجلي، وترك الخيار أمام الآخر في تلبية الدعوة أو الإعراض عنها، ولم يتبع الإكراه والقوة لإرغام الناس على تأييد مشروعه الإصلاحي، وتقويم الانحراف الذي بدأ واضحاً في مسيرة الأُمّة، فانبرى لهذه المهمّة مضحّياً بنفسه فيما أشار على أتباعه وأهل بيته أيضاً بأنّ لهم الخيار في الانسحاب لمّا اتضحت معالم المواجهة الحتمية مع الموت، فأطلق مقولته الشهيرة: «**هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، ثمّ ليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، تفرّقوا في**

(١) المصدر السابق.

سوادكم ومدائنكم حتى يُفرّج الله، فإنّ القوم إنّما يطلبوني، ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري»[1].

وكرر الخطاب في موضع آخر ومناسبة أُخرى، مؤكّداً حتمية النهاية، مستشرفاً للأحداث من خلال استقراء الخصم الذي استحوذ الضلال على نفوسهم، مخيّراً الجميع بإخلاء الساحة إذ يقول: «... **اعلموا أنّكم خرجتم معي لعلمكم أنّي أقدم على قوم بايعوني بألسنتهم وقلوبهم، وقد انعكس الأمر، لأنّهم استحوذ عليهم الشيطان؛ فأنساهم ذكر الله، والآن ليس لهم مقصد إلّا قتلي وقتل مَن يجاهد بين يديّ، وسبي حريمي بعد سلبهم، وأخشى أن تكونوا ما تعلمون وتستحيون. والخدع عندنا أهل البيت محرّم، فمَن كره منكم ذلك فلينصرف، فالليل ستير، والسبيل غير خطير، والوقت ليس بهجير، ومَن واسانا بنفسه كان معنا غداً في الجنان نجيّاً من غضب الرحمن...»**[2].

لم يترك الإمام عليه السلام مناسبةً إلّا وكرّر على مسامع أصحابه ما ستؤول إليه الأُمور، فقد جمع أصحابه وأهل بيته قُبيل المعركة، فخطبهم بنفس مطمئنة بقضاء الله، أَذِنَ لهم بالانصراف وترك المواجهة قائلاً: «**إنّي لا أحسب القوم إلّا مُقاتلوكم غداً، وقد أذنت لكم جميعاً، فأنتم في حلٍّ منّي، وهذا الليل قد غشيكم، فمَن كانت له منكم قوّة فليضمّ رجلاً من أهل بيتي إليه، وتفرّقوا في سوادكم، حتى يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده، فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين، فإنّ القوم إنّما يطلبونني، فإذا رأوني لهوا عن طلبكم»**[3].

لقد نصح الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه وأهل بيته، فلم يوهمهم، ولم يجبرهم على أمر يخشون عاقبته، فمَن كان منهم مؤمناً بعدالة نهضة إمامه ازداد شوقاً للثبات والتضحية، ومَن آثر العافية أُذن له بالانسلال في ظلام الليل، غير أنّه لن يدرك الفتح.

---

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٤٨.

(٢) الشريفي، محمود وآخرون، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٤٨٢.

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٣٠١.

ثانياً: الموعظة الموجهة للبعيد (المخالف)

مثلما عمل الإمام الحسين عليه السلام مع أصحابه وأهل بيته في إسداء النصيحة والموعظة الحسنة، وتخييرهم بين البقاء والشهادة والفوز بالجنان أو ترك المواجهة والانسحاب، كذلك فعل مع الخصوم مرشداً ناصحاً ومذكّراً أملاً منه بصلاح أمرهم، وعودتهم إلى رشدهم؛ إذ يقول مخاطباً الجموع المحتشدة لقتاله: «**الحمد لله الّذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، مُتصرّفةً بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور مَن غرّته، والشقيّ مَن فتنته، فلا تغُرّنّكم هذه الدنيا، فإنّها تقطع رجاء مَن ركن إليها، وتُخيّب طمع مَن طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، فأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنّبكم رحمته، فنعم الربّ ربّنا، وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول صلى الله عليه وآله، ثمّ إنّكم زحفتم إلى ذرّيّته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبّاً لكم وما تُريدون، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبُعداً للقوم الظالمين**»[1].

لم يدّخر الإمام عليه السلام جهداً في النصح والتذكير للخصم في العودة إلى جادّة الحق مذكراً القوم بقرابته من النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، إذ يقول: «**أقول لكم: اتّقوا الله ربّكم ولا تقتلون، فإنّه لا يحلّ لكم قتلي، ولا انتهاك حُرمتي، فإنّي ابن بنت نبيّكم وجدّتي خديجة زوجة نبيّكم، ولعلّه قد بلغكم قول نبيّكم محمد صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة...**»[2].

نخلص ممّا تقدّم أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يترك الخصوم على عمايتهم، بل انفتح عليهم بشتى الوسائل؛ لغرض الإصلاح وتصحيح الأفكار المنحرفة؛ أملاً بتبصير القوم وكشف الحقائق التي طمستها السلطة، من خلال تضليل الكثير ممّن خرج لقتال الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٤٩.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٦.

ثالثاً: مواعظ جرت مجرى الحِكَم

لقد أطلق الإمام الحسين عليه السلام كمّاً هائلاً من المواعظ المكثّفة التي تمتاز بالقصر وعمق الدلالة والأثر، بما تحمله من إرشادات مفعمة بالعبرة، وتنمّ عن ترسخ القيم والمفاهيم الإسلامية، فهي خلاصة ميراث زاخر، صِيغَ على وفق مقتضيات المرحلة التي اتسمت بالتعقيد والانحراف، فكانت الحاجة إلى عبارة قصيرة تنطوي على دلالات ومعانٍ مكثّفة لتحقق السيرورة وسهولة الالتقاط، ومن هذه الحكم: قوله عليه السلام: «**إنّ الحلم زينة، والوفاء مروءة، والصلة نعمة، والاستكبار صلف، والعجلة سفه، والسفه ضعف، والغلو ورطة، ومجالسة أهل الدناءة شرّ، ومجالسة أهل الفسق ريبة**»[1].

يدعو الإمام الحسين عليه السلام من خلال هذه الحِكَم القصيرة والمركّزة إلى ترويض النفس وتنشئتها التنشئة الصحيحة، التي ترتكز على مجموعة من المُثل والقيم الحميدة التي من شأنها بناء إنسانٍ سوي يتزود من الفضائل ويتجرد من الرذائل، فأشار إلى فضيلة (الحلم)[2]، فعدّها زينة يتزيّن بها المرء، ثمّ عزّز هذه الفضيلة بفضيلة أُخرى وهي (الوفاء)[3] إذ عدّها عليه السلام (مروءة)[4]؛ فالإنسان الوفي لا يغدر؛ لأنّ عفّته ومروءته تمنعه

---

(١) الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٣٠.

(٢) الحِلْمُ بالكسر: «الأَناةُ والعقل وجمعه أَحْلام وحُلُومٌ، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا﴾ [الطور: آية٣٢]. قال جرير:

هَلْ مِنْ حُلُومٍ لأَقوامٍ فَتُنْذِرَهُم ... ما جَرَّبَ الناسُ من عَضِّي وتَضْرِيسي؟

قال ابن سيده: وهذا أحد ما جُمع من المصادر وأحلام القوم حُلماؤهم، ورجل حليم من قوم أحلام وحُلماء، وحلم بالضم يحلُم حِلماً صار حَليماً، وحلُم عنه وتَحَلَّم سواء، وتَحَلَّم تكلّف الحِلْمَ... والحِلْمُ نقيضُ السَّفَه... قال المُخَبَّل السعدي:

ورَدُّوا صُدورَ الخَيْل حتى تَنَهْنَهَتْ ... إلى ذي النُّهَى واسْتَيْدَ هُوا للمُحَلِّمِ

أي: أَطاعوا الذي يأْمرهم بالحِلْم...». ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٢، ص١٤٦.

(٣) «الوفاءُ: ضِدُّ الغَدْر... أَوْفَى الكيلَ، أي: أَتمه وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْئاً....». المصدر السابق: ج١٥، ص٣٩٨.

(٤) «المُرُوءَة: كَمالُ الرُّجُولِيَّة... وَقِيلَ للأَحْنَف: مَا المُرُوءَةُ؟ فَقَالَ: العِفَّةُ والحِرْفَةُ. وَسُئِلَ آخَرُ عَنِ المُروءَة، فَقَالَ: المُرُوءَةُ أَن لَا تَفْعَلَ فِي السِّرِّ أَمراً وأَنت تَسْتَحْيِي أَن تَفْعَلَه جَهْراً...». المصدر السابق: ج١، ص١٥٥.

أن يفعل هذا الفعل، وعزّز هذا المعنى بفضيلة أُخرى، وهي (الصلة)[1]، سواء أكانت معنوية أو مادية، فهي نعمة من نعم الله على العبد يمنحها لَمن وطّن نفسه على البذل.

ومن الصفات الذميمة التي نهى عنها الإمام عليه السلام (الاستكبار)[2]، الذي يُعدّ من التكبر والمعاندة التي تخرج الإنسان عن أريحيته وتواضعه إلى حال تختلط عليه الأُمور، فلا يتبيّن الحق من الباطل، وهنا يشبّه الإمام الاستكبار بالصلف (والاستكبار صلف)، و(الصلف)[3] هو أيضاً مجاوزة الحدّ، وقِيل في معنى المثل: «**صلف تحت الراعدة، يقال ذلك لَمن يُكثِر كلامه ويمدح نفسه ولا خير عنده**»[4].

ومن المعاني الأُخرى التي ينبغي الابتعاد عنها ممّا أشار إليه الإمام عليه السلام قوله: «**والعجلة سفه**»[5]، وهنا يدعو الإمام إلى التروي والتلبث عند الإقدام على أمر ما، ووزن الأُمور بميزان الحكمة والابتعاد عن الخفّة والتسرّع في التعاطي مع الأُمور.

نخلص ممّا تقدّم أنّ كلام الإمام الحسين عليه السلام وفعله يحمل من المضامين الإصلاحية الكثير، منها:

١ـ ما يبدأ بالنفس على عدّها منطلق الإصلاح وبابه، فبصلاح النفس وإصلاحها تتهيأ الأرضية الخصبة لإصلاح المجتمع برمّته.

٢ـ تصدى الإمام عليه السلام لإصلاح الأُمّة من خلال الوعظ والإرشاد، فعبّر عن ذلك

---

(١) «الصلة: وَصَلْت الشَّيْءَ وَصْلاً وَصِلَةً، والوَصْلُ ضِدُّ الهِجْران... والتَّوَاصُل: ضِدُّ التَّصارُم. وَفِي الْحَدِيثِ: مَن أَراد أَن يَطول عُمْره فَلْيَصِلْ رَحِمَه... قَالَ ابْنُ الأَثير: وَهِيَ كِناية عَن الإِحسان إِلى الأَقْرَبِين مِنْ ذَوِي النسَب والأَصْهار والعَطف عَلَيْهِمْ والرِّفْق بِهِمْ والرِّعاية لأَحْوالهم». المصدر السابق: ج١١، ص٧٢٦.

(٢) «الاستكبار: (استكبر) امْتنع عَن قبُول الْحق معاندة وتكبراً». مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط: ج٢، ص٧٧٣.

(٣) «الصَّلَفُ: مُجاوَزةُ قَدْر الظَّرْفِ والبَراعةِ والادِّعاءِ فوقَ ذلك». الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج٧، ص١٢٥.

(٤) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٣، ص٣٠٥.

(٥) «السِّفَه: مَعْرُوف، وَأَصله الخِفّة والنّزَق، تسفّهت الريحُ الغصونَ إِذا حرّكتها، وتسفّهتِ الرماحُ فِي الْحَرْب إِذا اضْطَرَبَتْ». ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة: ج٢، ص٨٤٩.

عِبر مخاطبة الذات؛ ليحثّ المتلقي على الاقتداء بما يقوله الإمام ويفعله.

٣ـ قرن الإمام القول بالعمل في تصديه للدعوة الإصلاحية، وتمسّك الثبات على المبدأ الحقّ، ولم يرضخ للضغوط، ولم يأبه بالنتائج والمخاطر التي واكبت النهضة؛ لأنّه وجد في التصدي للإصلاح قيمة عُليا تستحق التضحية.

٤ـ استقرأ الإمام الحسين عليه السلام المستقبل من خلال الواقع الذي تعيشه الأُمّة، فوجد في نهضته أملاً مستقبلياً في تصحيح الانحراف والعودة إلى جادّة الحقّ، وعليه لم تكن نتائج النهضة آنيّة إنّما تؤسس لمرحلة مستقبلية.

٥ـ لم تقتصر الدعوة الإصلاحية التي بُنيت على الوعظ والإرشاد ـ منذُ بدايتها حتى اللحظات الأخيرة لواقعة الطفّ ـ على حثّ الموالين على التمسك بالمُثل والقيم العُليا والثبات على المبدأ، بل شملت المخالفين أيضاً، فأراد تبصير مَن ضُلل أو غُرّر به من خلال الوعظ وإسداء النصيحة متبعاً أساليب مختلفة، منها: التذكير، والتحذير، فكان خطابه يتسم بالشدّة حيناً وبالسلاسة واللين حيناً آخر.

٦ـ لقد كانت خطب الإمام الحسين عليه السلام ومواعظه امتداداً لمنهج النبي صلى الله عليه وآله وأبيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، من خلال تضمين هذه الخطب والمواعظ من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وكلام الإمام علي عليه السلام، فكان كلامه تثبيتاً للسنّة النبويّة الشريفة واتباعاً لها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١ ـ الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، ١٩٦٦م، النجف الأشرف.

٢ ـ الأمالي، محمد بن علي الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة البعثة.

٣ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مركز الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، قم.

٤ ـ بحار الأنوار، للعلّامة محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٢، ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

٥ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، مراجعة وتصحيح: نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي، بيروت، (د.ت).

٦ ـ تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن شعبة الحراني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٢، ١٤٠٤هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

٧ ـ التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن حمدون (ت٥٦٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس، وبكر عباس، دار صادر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٦م، بيروت.

٨ ـ تذكرة الخواص، للعلّامة يوسف بن فرغلي المعروف بالسبط بن الجوزي (ت٦٥٤هـ)، المكتبة الحيدرية، ١٩٦٤م، النجف الأشرف.

٩ ـ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، علي بن الحسن ابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، ط٢، ١٤١٤هـ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم.

١٠ ـ تفسير مجمع البيان، محمد بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، ط١، ١٩٩٥م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

١١ ـ جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي

منير بعلبكي، ط١، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.
١٢ ـ الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن مكي العاملي، ط١، انتشارات زائر، قم.
١٣ ـ سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٩٩٣م، بيروت.
١٤ ـ الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة، علي بن محمد أحمد المالكي (ابن الصباغ) (ت٨٥٥هـ)، تحقيق: سامي الغريري، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر، قم.
١٥ ـ الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٦٦م، بيروت.
١٦ ـ كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٧ ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، علي بن أبي الفتح الإربلي (ت٦٩٣هـ)، دار الأضواء، بيروت.
١٨ ـ لسان العرب، جمال الدين بن محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، ط٣، ١٤١٤ هـ، بيروت.
١٩ ـ معجم المصطلحات الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، (د.ت).
٢٠ ـ معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٢١ ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج علي بن الحسين الإصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: كاظم المظفر، ط٢، ١٩٦٥م، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.
٢٢ ـ مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من

أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦م، النجف الأشرف.

٢٣ ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، ط٣، ١٩٩٥م، دار المعروف للطباعة والنشر.

قراءة نافية للروايات المنسوبة إلى الإمام الحسين عليه السلام في المصادر التاريخية

أ. د. حاكم حبيب الكريطي*

نهض التاريخ العربي الإسلامي كما هو معلوم على الروايات التي نقلها معاصرون للأحداث إلى آخرين، وهؤلاء نقلوها إلى آخرين وهكذا، حتى وصلت إلى عصر المؤرّخ، وخلال هذه الرحلة الشفوية، تخضع المرويات لزيادة أو نقصان، إمّا تعمّداً، وإمّا سهواً، أو اشتباهاً، وغالباً ما يكون هوى الراوي ومعتقده حاضراً معه، وهو ينظر في مضامين الروايات، فيخضعها لرغبته النابعة من معتقده، أو الخاضعة لمغريات ذوي السلطان، الذين أرادوا للتاريخ وجهاً يُرسم بتوجيههم.

واستناداً إلى هذا؛ مُلئت كتب التاريخ وكتب الأدب بمرويات يطوّح بها ـ اخضاعاً لمنطق العقل ـ بعيداً؛ لأنّها تتقاطع مع كثير من الثوابت التي تجعل قبولها أمراً غير ممكن.

واستناداً إلى هذا، سنحاول في هذا البحث أنْ نقرأ بعض الروايات التي نسبتها المصادر التاريخية إلى الإمام الحسين عليه السلام، قراءة تدبرية، لا نعبأ بها بخصوص سلاسل السند، وإنّما سنركّز الجهد على المضامين التي تحملها، وموازنة تلك المضامين مع ثوابت الإمامة التي تنطبق على الإمام الحسين عليه السلام، ويكون العقل هو الفيصل في بيان صحة الرواية من عدمه، مع الاستعانة ببعض الروايات من المصادر الأُخرى، وربّما من المصادر نفسها، لإظهار تهافت المضامين؛ لأنّنا لا نقول: بأن كلّ ما رُوي في كتب

* جامعة الكوفة/ كلّية الفقه.

التاريخ جاء على هذا النحو، وإنّما وقع في تلك الكتب من الروايات ما لا يمكن قبوله، وجاء فيها ما يُعدّ وثائق تاريخية صحيحة وهو الغالب.

بقي أنْ نشير إلى أنّ تحكم العقل في مضامين الروايات سوف لا يقودنا ـ إن شاء الله ـ إلى التجنّي، أو تحميل النصوص ما لا تحتمل، فهذا ما لا يمكن أن نرضى به لأنفسنا؛ لأنّ الأمانة العلمية، أمانة شرعية وأخلاقية، لا يصح أن تُخدش بأيّ شكلٍ من الأشكال، فما بالك إذا كان المكتوب عنه يتصل بالإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّ هذا يحتّم التأني، والتدبّر، والتثبّت، بما يوفّر الاطمئنان لصحة القراءة التي نقرأ بها نصوص الروايات.

بيعة يزيد بن معاوية

حينما أراد معاوية بن أبي سفيان أن يجعل يزيد ابنه ولياً لعهده في الخلافة، ويأخذ له البيعة من المسلمين؛ ليؤسس بذلك نمطاً من الحكم، لم يعهده المسلمون من قبلُ، راح يهيئ للأمر في حياة الإمام الحسن عليه السلام، ولكنّه لم يبح بذلك، ولم يكشف ما يُريد إلّا بعد أن توفّي الإمام الحسن عليه السلام[1].

كتب معاوية إلى واليه على المدينة سعيد بن العاص، يأمره أنْ يدعو أهلها إلى البيعة ويكتب إليه بذلك، فلمّا وصل الكتاب إلى سعيد بن العاص دعا الناس إلى البيعة ليزيد، وأظهر الغلظة لهم، فامتنع الحسين عليه السلام عن تلك البيعة، وابن عمر، وابن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر.

رواية الطبري

والذي يعنينا هنا ما تقوله رواية الطبري كحوار دار بين معاوية والحسين عليه السلام، بعد قدوم الأوّل إلى المدينة، تقول الرواية: «... **فلمّا قدِم معاوية أرسل إلى الحسين بن علي** [عليه السلام]، **فقال: يا بن أخي، قد استوسق الناس لهذا الأمر غير خمسة من قريش، أنت تقودهم، يا بن أخي، فما إربك إلى الخلاف. قال: أنا أقودهم؟! قال: نعم، أنت تقودهم.**

(١) أُنظر، الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج١٠، ص٢٢٧.

قـال: فأرسـل إليهم، فإن بايعوا كنت رجلاً منهـم، وإلّا لم تكن عجّلت عليّ بالأمر. قال وتفعـل؟ قـال: نعم. قـال: فأخذ عليـه ألّا يُخبر بحديثهم أحـداً. قال: فالتـوى عليه، ثمّ أعطـاه ذلـك، فخرج وقد أقعد له ابـن الزبير رجلاً بالطريق، قـال: يقول لك أخوك ابن الزبير: ما كان؟ فلم يزل به حتى استخرج منه شيئاً»[1].

إنّ الاعتراض على رواية الطبري هذه يأتي من وجوه:

الأول: تظهر الرواية اسـتغراب الإمام عليه السلام، وإنكاره لِمـا قاله معاوية، من أنّه يقود الخمسـة المذكورين، وهذا الإنكار، ليس خشية من معاوية كما سيظهر لنا، وإنّما عدم توافـق الإمام عليه السلام مع هؤلاء المعترضين، فلكلّ واحدٍ منهم غاية في رفضه لبيعة يزيد، واعـتراض الإمام قائم على أسـاس دينـي محض؛ لأنّ يزيد بما عُـرف عنه غير مؤهّل ليكـون خليفة للمسـلمين وعليهم، وقد قال الحسـين عليه السلام مبيناً رفضه لهـذه البيعة في روايـة أُخـرى أوردها ابن قتيبة في الإمامة والسياسـة، جـاء فيها: «... **وقـد دلّ يزيد من نفسـه عـلى موقع رأيه، فخـذ ليزيد فيما أخذ به من اسـتقرائه الكلابَ المهارشـة عند التحـارش، والحمام السُّـبقُ لأترابهـن، والقيـان ذوات المعـازف، وضرب الملاهي، تجده باصراً، ودع عنك ما تحاول...**»[2].

وهذا النص يُجلّي رفض الحسين عليه السلام القاطع لبيعة يزيد، فكيف يرضى عليه السلام ـ لنفسه وحاشـاه ـ أن يُعلّق أمر بيعته ليزيد برغبة غيره؟! وبهذا يسـقط هذا الجزء من الرواية بروايـة ابـن قتيبـة، وهو أقدم مـن الطبري في الترتيـب الزمني، وباسـتبعاد أن يكون الحسين عليه السلام مع رأي مَن ذُكر في الرواية بشأن البيعة.

ثانياً: أنّ ثمة رواية أُخرى أوردها ابن قتيبة أيضاً، تتضمّن حواراً بين الحسـين عليه السلام وبـين معاوية حول قضية بيعة يزيـد، تطيح برواية الطبري وتبعدها؛ لأنّ ما ورد فيها يتسقُ مع ما عُرف عن الحسين عليه السلام من عزّة وإباء، تقول الرواية: «**فقال معاوية: وأمّا ما**

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٢٥.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٦١.

ذكرت من أنّك خير من يزيد نفساً، فيزيد والله، خير لأُمّة محمد منك، فقال الحسين: هذا هو الإفك والزُّور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو، خير منّي؟!»[1]. فالحسين عليه السلام لم يعبأ بإمرة معاوية وسلطانه، وإنّما قرر أمام المسلمين الذين اجتمعوا في مسجد النبي صلى الله عليه وآله، وقال أمامهم قولته هذه، التي أسقطت حقّ معاوية في الخلافة، وحقّ يزيد في ولاية العهد؛ لأنّ مَن يكون خليفة للمسلمين لا يصح أن يكون أفّاكاً وشاهد زور، ثمّ لا يصح ذلك أيضاً لشارب الخمر، ومشتري اللهو، بأموال المسلمين. إنّ هذا الحوار الذي بيّنته الرواية، يُبعد تماماً أن تكون موافقة الحسين عليه السلام على البيعة بموافقة غيره ممَّن ذُكر في الرواية الأُولى؛ لأنّ هذا الأمر مستبعد تماماً على وفق منهج الحسين عليه السلام وسيرته.

ثالثاً: تُظهر الرواية أنّ الحسين عليه السلام أعطى لمعاوية ألّا يُخبر أحداً بما دار بينهما بعد التواء، ثمّ استخرج منه مَن أرسله ابن الزبير شيئاً. وهنا نقول: إذا أعطى الحسين عليه السلام لمعاوية ما ذُكر، فكيف يستخرج منه شخص أرسله ابن الزبير شيئاً ممّا عُدّ أمانة عنده، وألزم نفسه بأدائها؟! فهذا لا يَصحُّ أبداً؛ لأنّه مخالف لمعهود ما عند الحسين عليه السلام في حياته كلّها، وما تذكره الرواية يأنف منه أيّ إنسانٍ، فما بالك بالحسين عليه السلام؟!

ثمّ مَن هذا الشخص ـ وهو غير واضح المعالم ـ الذي يقدر على مراجعته عليه السلام في الكلام، من أجل أن يستخرج منه ما يُريد ابن الزبير، والمسلمون يحفظون للحسين عليه السلام مقامه، وما يقولهُ يُعدّ قاطعاً في شؤون دينهم ودنياهم، فكيف والحال هذه، يخضع لتأثير مَن يحاوره حتى يأخذ منه ما يُريد.

رواية ابن الأثير

أورد ابن الأثير رواية عن مجيء معاوية إلى المدينة؛ لأخذ البيعة، تقول الرواية: **«... فلمّا دنا من المدينة لقيه الحسين بن علي أوّل الناس، فلمّا نظر إليه، قال: لا مرحباً ولا**

(١) المصدر السابق: ج١، ص١٦٣.

أهلاً، بدنة يترقرق دمها والله مُهريقه. قال: مهلاً، فإنّي والله، لست بأهل لهذه المقالة. قال: بلى، ولشرّ منها»[1].

وهـذه الروايـة مـردودة من وجوه: فالحسـين عليه السلام لا يمكـن أنْ يقبل مـن معاوية مثل هذا السّـباب دون أن يردّ عليه بما يسـتحقه، فثمّة مواقف بينه عليه السلام وبين ومعاوية تُظهـر تقريع الحسـين عليه السلام له بـما لا بعده تقريـع، ونظرة إلى رسـائله التي أرسـلها إلى معاوية، تُظهر عدم اكتراثه عليه السلام به وبسـلطانه، فمثلاً: يقول له في إحدى رسـائله إليه: «... **ودينُ عليّ سرُّ الله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي جلسـت... وإنّي لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأُمّة من ولايتك عليها»**[2]، فمَن يخاطب معاوية بهذا الكلام كيف يسكت عنه، على النحو الذي تبسطه الرواية.

واسـتناداً إلى ما تقدّم، فإنّ مضمون رواية ابن الأثير يتسـاقط أمام ما تجسّده سيرة الإمام الحسـين عليه السلام، فصار مـن الممتنع تماماً أن نقبل الرواية، أو نسـلّم ببعضها؛ لأنّها تتقاطع تماماً مع نهج الإمام الحسين عليه السلام.

ثمّ تسـتكمل الرواية بعض تفاصيلها الأُخرى، حينما تُشير إلى أنّ أُولئك النفر من قريـش اجتمعـوا، وقالوا بعد أن سـبقوا معاوية إلى مكة: «**نتلقّـاه فلعلّه قد ندم على ما كان منه، فلقوه ببطن مرّ، فكان أوّل مَن لقيه الحسين، فقال له معاوية: مرحباً وأهلاً يا بن رسول الله، وسيّد شباب المسلمين»**[3].

إذن؛ تأبـى روايـة ابن الأثـير إلا أنْ تجعل هـؤلاء النفر أنداداً للحسـين عليه السلام، وهو يرافقهـم في حلّهـم وترحالهم، فيما يطلبون من ودّ معاوية بن أبي سـفيان، وهذا واقع افتراضي غريب، فلم يذكر التاريخ أنّ الحسين عليه السلام في مواقفه العقائدية كان على عقيدة غـيره في الخلافة، وهؤلاء إن اجتمعوا فلكلّ واحد منهم منهجه وهدفه ووسـائله في

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٥٠٨.
(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال: ج١، ص٢٥٢.
(٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٥٠٩.

بلـوغ مـا يُريد، وحاشـا للحسـين عليه السلام أن يكون خطّ سـيره، وهو الإمـام عليه السلام في زمن الرواية ـ بعد وفاة الحسـن عليه السلام ـ على هذا النحو الذي يتجسّـد فيه الهوان والذّل؛ لأنّ ذيل الرواية هذا يجسّد ذلك تماماً.

صلح الحسن عليه السلام

بعـد أن آل أمـر الخلافة إلى معاوية بن أبي سـفيان، تصالح الإمام الحسـن عليه السلام معه عـلى وفق وثيقة، لم يلتزم معاوية بـأيّ شرطٍ من شروطها، وقد وردت روايات كثيرة تـؤرخ لهذه القضية وتفاصيلهـا، والذي يعنينا هنا، ما وصـل إلينا من بعض المصادر من روايات تتحدّث عن موقف الإمام الحسـين عليه السلام من صلح الإمام الحسـن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان.

رواية ابن أعثم

ذكر ابن أعثم: أنّ الحسـن عليه السلام دعا أصحابه، وأخبرهم بعزمه على تسليم الأمر إلى معاوية، فقال له الحسين عليه السلام: «**يا أخي، أُعيذك بالله من هذا**»[1].

إنّ النظـر في هـذه الجملـة، يكشـف لنـا دون ريب، أنّهـا لا يمكـن أن تصدر من الحسـين عليه السلام بحق الإمام الحسـن عليه السلام؛ لأنّه ـ أي: الحسين عليه السلام ـ يُسلّم لأخيه في الأُمور كلّها، لأنّه إمامه وإمام المسلمين جميعاً. فكيف يُعيذه ممّا أقدم عليه من أمر الصلح؟!

إنّ هـذا لا يصـدر منه عليه السلام، ولا يمكن أن يُقال للحسـن عليه السلام، والجواب عن صحة الصلح مع معاوية، قاله الإمام الحسـن عليه السلام، حينما سـأله أبو سعيد عقيصا، وهو أحد أصحابه[2] عن الصلح، فقال: «**يا أبا سـعيد، ألست حجّة الله على خلقه، وإماماً عليهم بعد أبي** عليه السلام**؟ قلت: بلى. قال: ألسـت الذي قال رسـول الله** صلى الله عليه وآله **لي ولأخي: هذان ولداي إمامـان قامـا أو قعدا ؟ قلـت: بلى. قال: فأنا إذن إمـام لو قمت، وأنا إمـام لو قعدت، يا**

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٤، ص٢٨٩.

(٢) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ص١٩٦.

أبا سعيد، علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، أولئك كفّار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل... »[1]، فكيف إذن تصحّ مثل هذه الرواية والحسن والحسين عليهما السلام معاً يرويان هذا الحديث وغيره؟!

رواية الطبري

روى الطبري قول الحسين لأخيه الحسن عليهما السلام: «**نشدتك الله أنْ تصدق أُحدوثة معاوية، وأن تكذّب أُحدوثة علي**»[2]. وهذه الراوية أبشع من الرواية الأُولى في نسبة هذا القول للإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّه ينطوي على تصوير الصلح، بأنّه مخالفة لمنهج الإمام عليه السلام، وتسويغ لمنهج معاوية بن أبي سفيان من قِبل الإمام الحسين عليه السلام، وهذه الرواية تُرد بما قررناه فيما سبق، بعدم صحة كلّ ما يُروى عن مخالفة الإمام الحسين عليه السلام لأخيه الإمام الحسن عليه السلام في أيّ أمرٍ، ولكنّ هذا الأمر يرتبط بالعقيدة، وقد لا يكون كافياً من وجهة نظر أُخرى مخالفة، فلا بأس والحال هكذا، من أن نأتيه من سبيل آخر، يُيسّر علينا أمر ردّه، فنقول: إنّ أمر الصلح لم يُولد فجأةً، وإنّما سبقته مظاهر كثيرة، تأكّد من خلالها الإمام عليه السلام أنّ مصلحة الإسلام تقتضي الصلح مع معاوية، ومثل هذا الأمر يُحتم أن يكون الإمام عليه السلام قد أخبر أهله وخاصّة أصحابه به، وأوّل الناس الذي يعلمه الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّه الإمام من بعده، فكيف يُفاجأ بهذا الأمر؟! إذ إنّ مضمون الكلام المنسوب إليه يومئ إلى أنّه لم يكن على علم بقرار الإمام الحسن عليه السلام، وهذا أمر تدفعه الحقائق التاريخية التي نتحدّث عنها.

ومن جهةٍ أُخرى، فإنّ الحسين عليه السلام تمسّك بموقف الإمام الحسن عليه السلام؛ إذ تذكر المصادر أنّه قال لعلي بن محمد بن بشير الهمداني حين أراد الثورة على معاوية، بعد أن شاور الإمام الحسين عليه السلام في ذلك ورفض: «**صدق أبو محمد، فليكن كلّ رجلٍ منكم**

(١) الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج١، ص٢١١.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص١٢٢.

حلساً من أحلاس بيته، ما دام هذا الإنسان [يعني معاوية] حيّاً»[1]، وهذا القول يُظهر تمسّك الحسين عليه السلام بما قرّره الإمام الحسن عليه السلام بشأن الصلح.

رواية البلاذري

ويورد البلاذري رواية، يُجري فيها حواراً بين الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، فبعد أنْ أخبر الإمام الحسن الحسين عليهما السلام بشأن الصلح، قال له الحسين عليه السلام: «**أنشدك الله أن تكون أوّل مَن عاب أباك، وطعن عليه، ورغب عن أمره. فقال: إنّي لا أرى ما تقول، والله لئن لم تتابعني لأسندتك في الحديد، فلا تزال فيه حتى أفرغ من أمري**»[2].

تظهر الرواية كأخواتها السابقات أنّ موقفي الإمامين متناقضان، وهذا لا يصح؛ لأنّ هدفهما واحدٌ، وهو حفظ الدين، وحماية المسلمين من الانحراف، وما دام الصلح هو المناسب في زمن الإمام الحسن عليه السلام، فكان وارتضياه معاً. ولو قُدّر للإمام الحسن عليه السلام أن يكون مكان الحسين عليه السلام في عصره لثار واستُشهد. فموقفهما واحدٌ، ولا يمكن أن يختلفا البتة[3].

بَيدَ أنّ ما يستحق الوقوف عنده، ما نسبته الرواية من قول للإمام الحسن عليه السلام قاله للحسين عليه السلام، إذ هدده بالحديد حتى يفرغ من الصلح، وهذا يُردّ عليه بأنّ هذا الكلام لا يليق بأهل البيت عليهم السلام، ولن يصدر منهم البتة؛ لأنّه لا يعكس اختلافاً في الرأي فقط، وإنّما يجمع إليه هذه اللهجة الغريبة في التخاطب بين (إمامين)، إذ تتحدّث عن قيود وسلاسل، وهذا مضمون خرافي، لا يمكن ولا يصحّ أنْ يكون له واقع في حياة أئمّة الهدى عليهم السلام.

ولعلّ من المناسب تماماً أن نستعين بقول للإمام الباقر عليه السلام، وهو يصف صلح

(١) الدينوري، أحمد بن داوود، الأخبار الطوال: ص٢٢١. أُنظر: ابن علي، الأسعد، صلح الإمام الحسن من منظور آخر: ص١١٧.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص٥١.

(٣) أُنظر: ابن علي، الأسعد، صلح الإمام الحسن من منظور آخر: ص١١٦.

الإمـام الحسـن عليه السلام، فيقول: «**والله، للذي صنعه الحسـن بـن علي كان خيراً لهـذه الأُمّة ممّـا طلعت عليه الشـمس، والله لقـد نزلت هذه الآيـة:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ **إنّـما هـي طاعة الإمـام**»[1]. وواضح هنـا أنّ طاعة الإمام طاعـة الحسـن عليه السلام الـذي نُهي عن القتـال؛ لأنّـه لم يؤمر بـه. والإمـام الباقر عليه السلام أخذ علمه من أبيه، عن جدّه الحسـين عليه السلام، فهذا ما كان عند الحسين عليه السلام، فكيف تُقبل مثل هـذه الروايـة التي تكشـف لنا عـن أنّ مَن رتّبها لم يكـن مدركاً لما تعنيـه إمامة الإمام الحسـن عليه السلام لأخيه الحسين عليه السلام وللمسلمين عامّة. ومن هنا نظر إلى الإمامين بعينه هو لا بعين العقيدة الصحيحة. فلا غرابة أنْ يأتي مثل هذا الكلام من الرواية.

رواية أبي مخنف

أورد أبو مخنف رواية أُخرى عن موقف الحسين عليه السلام من صلح الإمام الحسن عليه السلام، كـما نقل الإربلي: «**كان مولانا الحسـين بن علي (صلـوات الله عليهما)، يُظهر الكراهية لِما كان من أمر أخيه الحسن عليه السلام مع معاوية، ويقول: لو حُزّ أنفي بموسى لكان أحبّ إليَّ ممّا فعله أخي، وقال عليه السلام:**

فـما سـاءني شيء كـما سـاءني أخـي	**ولم أرضَ لله الـذي كان صانعـا**
ولكـنْ إذا مـا اللهُ أمـضى قضـاءه	**فـلا بـدّ يومـاً أن تـرى الأمـر واقعا**
ولـو أنّنـي شـوورتُ فيـه لمـا رأوا	**قريبهـم إلّا عـن الأمـر شاسـعا**
ولـو أكُ أرضى بالـذي رضـوا بـه	**ولـو جَمَعـتْ كلٌّ إليَّ المجامعـا**
ولـو حُـزَّ أنفـي قبـل ذلـك حـزّة	**بموسى لما ألفيتُ للصلح تابعا**»[2].

تبدأ الرواية بقول لأبي مخنف نفسـه فيه أنّ الحسين عليه السلام كان يظهر الكراهية لِما كان من أمر أخيه الحسن عليه السلام، وهذه نتيجة بناها أبو مخنف بنفسه، وجعلها حقيقة آمن بها،

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص٣٣٠.
(٢) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة: ج٢، ص٢٤٥.

فلـم يعـد بحاجة إلى ذكر رواية ينسـبها إلى غيره، حتى يبرئ نفسـه ممَّـا فيها، وهذا ما يجعلنا نرجّح التأني في قبول ما يقوله أبو مخنف في مروياته بشكل عام.

والأمـر الثـاني اللافت للنظـر من هذا الجـزء من الروايـة، أنّ كراهيـة الإمام عليه السلام لأمـر الصلح لم يَقف في حدود أيام وقوعه، وإنّما ظلّت ملازمة له عليه السلام، لاسـتعمال أبي مخنف الأفعال الماضية في الإشارة إلى الصلح (لكان حُزَّ، لكان فعله)، وهذا ما يجعلنا نعتقد أنّ أبا مخنف يُشير إلى حصول هذا الأمر من الإمام الحسين عليه السلام بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام، إذ لو كان في حياته لجاء الخبر على النحو الذي رأيناه في الروايات السابقة. ولم يكتفِ أبو مخنف بما أورده أو بما صنعه في الرواية، وإنّما نسـب قولاً للحسـين عليه السلام، أظهر فيه سخطاً غريباً على أخيه ـ وحاشاهما ـ إذ جعل جدع أنفه بالموسى أحبّ إليه ممَّا فعله الإمام الحسن عليه السلام.

إنّ هـذه الإشـارة إلى حزّ الأنف بالموسـى تُظهر ذروة الحنق عنـد مَن تكون أحبّ إليه ممَّا يحصل له من أمر، فهل كان الإمام الحسـين عليه السلام بهذه الصورة التي أظهرها أبو مخنف، حينما اختار أطلع ما في الوجه، ليحزّه بالموسـى على عادة العرب في إشـاراتهم إلى الأنـف بوصفـه موطن الشـمم والكبريـاء عند الإنسـان. إنّ هذا أدخـل في باب المسـتحيل منـه إلى باب القبول، لِما عرفناه من سـيرة الإمامـين عليهما السلام، ولِما تُوحيه دلالة جدع الأنف من الذل والهوان عند العرب[1].

ولكي يُسبغ أبو مخنف ضرباً من الواقعية على ما أوردهُ، جاء بهذه الأبيات الخمسة ونسـبها إلى الإمام عليه السلام، وضمّنها ما ذكـره في روايته، وكأنّ ما قيل فيه ليس كافياً، فلا بأس والحال هكذا، أن يُعضّد ما أورده بهذه المقطوعة الشعرية[2].

ونظرة إلى أبيات هذه المقطوعة تقودنا إلى ما يأتي:

---

(١) أُنظر: الصولي، محمد بن يحيى، أدب الكتاب: ج١، ص٢٢٧.

(٢) أود الإشارة هنا إلى أنّ أغلب الأشعار التي نُسبت إلى أهل البيت عليهم السلام، هي موضع شك؛ لأسباب كثيرة، منها: الفنيّة، والموضوعية. ففنيّاً لا تنسجم مع ما هو معروف.

أظهر مَنْ صنع الأبيات وقالها على لسان الحسين عليه السلام أنّه لم تواجهه إساءةٌ في حياته، كما واجهه من صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية؛ إذ كان هو الأشدّ في حياة الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ يُقفّي هذا بالقول إنّه لم يرضَ بهذا الفعل من أجل الله سُبحانه وتعالى. فهل من المعقول أنْ يصدر مثل هذا الكلام المتهافت من الإمام الحسين عليه السلام، الذي أوجب الله تعالى عليه طاعة أخيه بوصفه إمامه وإمام المسلمين؟! ولولا تحفّظ كبير من بسط القلم في دلالات هذا البيت لبيّنا أنّ مَن وضعه كان يُريد المعاني التي يحتملها كلّها، ليصل من خلالها إلى ذروة الإساءة إلى الإمام الحسين عليه السلام.

أمّا البيت الثاني، ففيه تسليم من صانع الأبيات، بأنّ ما يُريده الله تعالى واقع لا محالة. وهنا نقول: إنّ هذا التسليم يسقط البيت الأوّل تماماً؛ إذ كيف يستاء أيّ إنسانٍ ممَّا قدّر الله وقوعه عليه. وأحسبُ هنا، أنّ المُنشئ ـ أعني: مُنشئ الأبيات ـ أراد أنْ يقلل من فورة حنقه على الحسن والحسين عليهما السلام بما دبّجه في البيت الأوّل، فجاء بالبيت الثاني لجعله قصيدة لوحده، وشدّ به الرواية من دون أن يحتاج إلى الأبيات الأُخرى.

ثمّ يأتي البيت الثالث، ليُظهر على لسان الإمام الحسين عليه السلام، أنّه لم يُشاور في أمر الصلح. وهذا المعنى مردود بما أوردناه في الروايات السابقة، من أنّ الإمام الحسين عليه السلام على دراية تامّة بأمر الصلح، منذُ فكّر به الإمام الحسن عليه السلام أوّل مرّة.

أمّا البيت الرابع، فدلالته مرتبطة بدلالة البيت الثالث، وهي عدم رضا الحسين عليه السلام بالصلح في الأحوال كلّها.

ولكنّ ما يستدعي أن نقف عنده حقاً هو البيت الخامس، الذي جعله ـ من أنتج الأبيات ووضعها على لسان الحسين عليه السلام ـ بيت القصيد لمقطوعته الشعرية، إذ ضمّنه ما أورده في صدر الرواية نثراً من تحمّل حزّ الأنف بالموسى، بما فيه من دلالات الصِغر والذل والهوان والإهانة، بدلاً من تحمّل صلح الإمام الحسن عليه السلام.

لقد مهّدت الأبيات الأربعة بدلالاتها للبيت الخامس، الذي جسّد الرفض التام من الإمام الحسين عليه السلام للصلح، ولو بعد حين، وإذا كان هذا الحين الذي تُريده الرواية

هو بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام ـ كما أشرنا ـ فكيف يبقى الحسين عليه السلام على موقفه من الصلح مع معاوية ومهادنته، إذا كان إحساسه وعقيدته على النحو الذي تُشير إليه الأبيات[1].

إنّ هذا الأمر مستبعد تماماً للأسباب التي بسطناها فيما مرّ، وهي أسباب ترتبط بعقيدة الإمامة التي يحملها الحسن والحسين عليهما السلام، وهي تمنع تماماً وقوع مثل هذا الأمر، وتكررت الإشارة إلى هذه القضية، وفضلاً عن هذا، ففي مصادرنا روايات تدحض هذا كلّه، ولكنّنا أثرنا مناقشة القضية من مضمون الرواية نفسه؛ لأنّ البحث يقوم على هذه القراءة، ولكن هذا لا يمنع هنا من إيراد رواية واحدة، تُعضّد ما قلناه، من دون أن تُقلّل من شأن ما قادتنا إليه قراءاتنا لمضمون الرواية، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: «**يقول: إنّ معاوية كتب إلى الحسن بن علي (صلوات الله عليهما) أن أقدم أنت والحسين وأصحاب علي. فخرج معهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري وقدموا الشام، فأذن لهم معاوية وأعد لهم الخطباء، فقال: يا حسن، قم فبايع. فقام فبايع، ثمّ قال للحسين عليه السلام قم فبايع. فقام فبايع، ثمّ قال: يا قيس، قم فبايع. فالتفت إلى الحسين عليه السلام ينظر ما يأمره، فقال: يا قيس، إنّه إمامي. يعني الحسن**»[2].

وواضح هنا أنّ مضمون هذه الرواية يقطع أيّ كلام آخر، سرّبته الرواية السابقة، وأبيات الشعر فيه، فتكفي جملة «**إنّه إمامي**» من الإمام الحسين عليه السلام، لتجسّد إيمانه المطلق بصحة موقف الإمام الحسن عليه السلام في قضية الصلح، وتبيّنه له. وهذا ما وقع حقّاً؛ إذ ظلّ الحسين عليه السلام على تمسّكه بوثيقة الصلح مدّة خلافة معاوية بن أبي سفيان.

---

(١) شكك الإربلي في كشف الغمّة: ج٢، ص٣٥، بصحة نسبة الأبيات إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولكنّه لم يبقَ على شكّه؛ إذ افترض في وجه من الوجوه أنّها له، من خلال تعليقه على أنّ الحسن والحسين عليهما السلام أعرف بالأحوال في كلّ حال. وكذلك نفى محقق كشف الغمّة السيد هاشم الرسولي بصحة نسبة الأبيات للحسين عليه السلام في هامش الصفحة نفسها.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال: ج١، ص٣٢٥. أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٦١.

وهـذا ما يُظهر في قوله لبعض أصحابه، حينـما أرادوا نقض الصلح مع معاوية: «... **فانتظـروا ما دام هذا الرجل حيّاً، فإن يهلك نظرنـا ونظرتم**»[1]، وهذا ما تحقق فيما بعد، فحينما هلك معاوية، وتولّى يزيد شؤون المسلمين، كانت ثورة الحسين عليه السلام.

بين الحسن والحسين عليهما السلام

أورد ابن عساكر رواية، تتضمّن حواراً بين الحسن والحسين عليهما السلام، يتمنى فيها كلّ واحـدٍ منهما صفة من صفات أخيه، لتكون له، تقول الرواية: «**كان الحسـن عليه السلام يقول للحسـين: أي أخ، والله، لوددتُ أنّ لي بعض شـدّة قلبك. فيقول له الحسـين عليه السلام: وأنا ـ والله ـ وددتُ أنّ لي بعض ما بُسط لك من لسانك**»[2].

إنّ أوّل مـا يمكـن أنْ نتلمسـه في هذه الرواية، أنّ الإمام الحسـن عليه السلام ـ وحاشـاه ـ يشـعر بضعـفٍ في قلبه، فيتمنّـى أن يكون له بعضاً من شـدّة قلب الحسـين عليه السلام، ولا نشك ـ أبداً ـ أنّ مَن وضع هذه الرواية على لسانَيْ الإمامين عليهما السلام، كان ينظر إلى صُلح الحسن عليه السلام، وما يستدعيه الصلح في الظاهر فقط، من تماسكٍ وثباتٍ وتوازن، تتطلبه طبيعة العلاقة التي ستنشـأ مع معاوية بن أبي سـفيان، وكيف سيكون حال المسلمين معه، وخاصّة مَن كان منهم مع الإمام الحسن عليه السلام.

ومن جهةٍ أُخرى، فإنّ (الشدّة) التي يفتقدها الإمام الحسن عليه السلام ولا يجدها في قلبه كما تقول الرواية، تومئ إلى أنّ الصلح مع معاوية لم يكن عن تدبير، وإنّما جاء بسـبب ما وضعته الرواية في قلب الحسن عليه السلام، وظنّي أنّ مَن وضعها، إمّا أن يكون محبّاً لأهل البيت عليهم السلام، فجعل موقف الإمام الحسن عليه السلام من الصلح موقفاً نابعاً من قلبه الطيّب، وحرصـه على حماية المسـلمين من القتل، الذي تقود إليـه الحرب مع معاوية لو لم يقع

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص١٥٠.

(٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص١٨٧. وأُنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج٥، ص١٠١.

الصلح. وهذا التوجيه لا يصحّ؛ لأنّ القتال في وقته، استجابة لِما يُريده الله تعالى من إقامة العدل على الأرض، والصلح في وقته كذلك.

وإمّا أن يكون مَن وضع الرواية من خصوم أهل البيت عليهم السلام، وهو الراجح؛ لأنّه يُريد أن يثبت من خلالها ـ كما يُتوهم ـ أنّ الإمام الحسن عليه السلام لم يكن قادراً على مواجهة معاوية؛ لأنّه يفتقد شرطاً من شروط القيادة، وهو قوة البأس وشدّة القلب، التي تُفضي إلى توجيه المسلمين إلى حيث يُريد. وهذا أيضاً مردود؛ لأنّه يخدش عصمة الإمام عليه السلام، فضلاً عن أنّ شهادة الحسن عليه السلام لحرب الجمل وحرب صفّين مع أبيه تكشف عن جلادة في الحرب، تستدعيها الشدّة في طاعة الله تعالى، في مواقف كثيرة ذكرتها كتب التاريخ والسير.

ثمّ يأتي الجزء الثاني من الرواية، وهو تمنّي الحسين عليه السلام أن تكون له بعض ما بُسط للحسن عليه السلام من لسانه. وهنا نقول: إنّ مَن وضع هذه الرواية كما أشرنا، أراد أن يخصّ الحسن عليه السلام بصفة ليست في الحسين عليه السلام، باعتراف الحسين عليه السلام نفسه، فجاء بالرواية على هذا النحو.

ومعلوم أنّ الحسين عليه السلام من خطباء بني هاشم كأخيه الحسن عليه السلام، فله من الأحاديث والخطب أمام الولاة وذوي السلطان، ما يكشف عن القدرة المعهودة عند أهل البيت عليهم السلام على الخطابة وتحرير الكلام، فهم أهله ومنشؤه، وقد شهدت المدينة مساجلات الحسين عليه السلام مع مروان بن الحكم، وبعده سعيد بن العاص، إذ حاججهم الحسين عليه السلام حينما دعوه إلى بيعة يزيد، ونقض ما جاءوا به من أسباب.

أمّا خطبه بعد خروجه من المدينة، فهي مشهودة معلومة كخطبته في منى، وخطبه في الطريق إلى كربلاء وفيها.

ومن دون شك أنّ مَن وضع الرواية يعلم هذا كلّه ولكنّه أراد أن يضع سُمّاً في عسله، فصاغ الرواية على نحو يمكن أن يُقبل ممَّن يجهل سيرة أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ اكتمال الصفات هي أُسس الإمامة عندهم، فكيف تنقص صفة من أحدهم، ويتمنّى

أن تكون له بعد أن رآها مكتملة في أخيه.

ثمّ لا بدّ من الإشارة إلى أن يكون مَن صنع هذه الرواية، أراد من خلالها أن يكرّس أظهر الصفات التي رآها هو في الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، فأخذ من واقعة الطفّ دليلاً على جَلَد الحسين عليه السلام وصبره وتجلّده. وأخذ من صلح الإمام الحسن عليه السلام دليلاً على بُعده عن الحرب، ورغبته في السلم، والابتعاد عن القتال. ولكن فاته أنّ الحسن والحسين عليهما السلام قاما بما قاما به على وفق ما أراده الله سُبحانه وتعالى منهما.

وثمّة أمر نُشير إليه هنا، وهو أنّ خصوم الإمام الحسن عليه السلام أشاعوا عنه أنّه عييّ لا يقوى على الخطابة، فمثالاً لا حصراً، نذكر رواية تبسط لنا بعضاً ممّا أراده الخصوم، تقول: «**ولمّا أُبرم الصلح، ودخل معاوية الكوفة، كلّم عمرو بن العاص معاوية أنْ يأمر الحسن عليه السلام أن يخطب بالناس، فكره ذلك معاوية، وقال: لا حاجة لنا في ذلك. قال عمرو: ولكنّي أُريد أنْ يبدو عيّهُ، فإنّه لا يدري هذه الأُمور ما هي**»[1]، فقام الإمام عليه السلام وخطب خطبةً، أظهر فيها حقّه في الخلافة وبطلان دعوى معاوية، ولكنّه آثر حقن الدماء. وأحسّ معاوية بالورطة التي وضعه فيها عمرو بن العاص، فلمّا انتهى الإمام من خطبته وجلس، قال معاوية لعمر بن العاص: «**ما أردت إلّا هذا**»[2].

وهذه الرواية على طولها أثبتت للخصوم ما مألوف عند أهل البيت عليهم السلام، من امتلاكهم جميعاً لنواصي الكلام، فهم أهل القرآن الذي أنزله الله تعالى بلغتهم، ولكنْ ما علق في ذهن مَن وضع الرواية قول عمرو بن العاص: إنّ في الإمام الحسن عليه السلام ـ وحاشاه ـ عيّاً، فأراد أن يُبعد ذلك عن الإمام عليه السلام بطريقته، فوضع ما وضعه استناداً إلى وقائع تاريخية، تنتجها الأوضاع التي تُحيط بأهلها، فما أحاط بالحسن عليه السلام في زمانه وبالحسين عليه السلام في زمانه، أنتج ما أراده الله تعالى لهما من صلح وشهادة.

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص٥١.

(٢) المصدر السابق.

لقـد تبـيّن فيما مرّ من صفحـات هذا البحث، أنّ المرويات التي نُسـبت إلى الإمام الحسـين عليه السلام، هـي روايات غـير صحيحة مـرّة، وغير دقيقـة مرّة أُخـرى، فقد وُضع بعضهـا تعمّـداً، ونُسـب إلى الإمـام الحسـين عليه السلام للتشـنيع بأهـل البيـت عليهم السلام عامّـة، وبالإمامين الحسن والحسين عليهما السلام خاصّة.

ووضع بعضها الآخر بإشـارة من السلطان الأُموي، أو بإشارة من بعض أنصاره في العصـور اللاحقـة، وخاصّة ما يتعلّق منهـا ببيعة يزيد بن معاويـة؛ ليجعل المنهج الأُمـوي موازيـاً لمنهج أهـل البيت عليهم السلام، ومن هنا جـاءت هذه القـراءة لتنفي ما جاء في تلك الروايات اسـتناداً إلى ثوابت العقيدة الإسـلامية، وإلى سيرة أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ مـا ورد فيهـا مخالفٌ لذلك كلّه، فلا يصح والحال هذه أن تُقبل أيّة رواية تأطّرت بالأُطر المشار إليها.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١ ـ اختيار معرفة الرجال، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: مير داماد، ومحمد باقر الحسيني، ومهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ١٤٠٤هـ، قم.

٢ ـ أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.

٣ ـ إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، الشيخ علي اليزدي الحائري (ت١٣٣٣هـ) تحقيق: علي عاشور، قم ـ إيران.

٤ ـ الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: علي شيري، انتشارات الشريف الرضي، ط١، ١٤١٣هـ، قم.

٥ ـ أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، دار الفكر، بيروت.

٦ ـ بحار الأنوار، العلّامة محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، لبنان.

٧ ـ تاريخ الإسلام، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، بيروت.

٨ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ط١، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

٩ ـ تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: محبّ الدين العمري، دار الفكر، ١٩٩٥م، بيروت ـ لبنان.

١٠ ـ صلح الإمام الحسن عليه السلام من منظور آخر، الأسعد بن علي، سلسلة الكتب المؤلفة في أهل البيت عليهم السلام، إعداد مركز الأبحاث العقائدية، (د.ت).
١١ ـ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ابن طاووس الحسني (ت٦٦٤هـ)، ١٣٩٩هـ، مطبعة الخيام، قم.
١٢ ـ علل الشرائع، الشيخ محمد بن علي الصدوق (ت٣٨١هـ)، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م.
١٣ ـ الغدير، الشيخ عبد الحسين الأميني، دار الكتاب العربي، ط٤، ١٣٩٧هـ ـ ١٤٧٧م، بيروت ـ لبنان.
١٤ ـ الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، دار الأضواء، بيروت.
١٥ ـ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.
١٦ ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، العلامة أبو الحسن علي بن أبي الفتح الإربلي (ت٦٩٣هـ)، دار الأضواء، ١٤٠٥هـ ـ ١٨٨٥م، بيروت ـ لبنان.
١٧ ـ مقتل الحسين عليه السلام، أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت١٥٧هـ)، تحقيق: الحاج ميرزا حسن الغفاري، نشر المكتبة العامّة للسيد شهاب الدين المرعشي النجفي، ١٣٩٨هـ، المطبعة العلمية، قم.

دور أقوال الإمام الحسين عليه السلام في تنمية القيم الإسلامية
واقعة الطفّ أُنموذجاً

م. حيدر محسن الشويلي*

التعريف بالبحث

أوّلاً: مشكلة البحث

إنّ حركة التربية المعاصرة بما تتخذه من استراتيجيات وتوجهات، وبما ترنو إليه من توقعات وآفاق، لتؤكد أنّ مجال التربية ميدان إبداع بقدر ما هو ميدان تحدٍّ واختبار. كما أنّ إيمان الباحثين بقدسية المجال، وسمو أهداف العاملين به، هو دافع أسمى إلى إجراء مثل هذه الدراسات والبحوث، فالتربية بشكلٍ عام تتطلب الالتزام بمحددات ودساتير، ولوائح قيّمة ينطلق منها العاملون في ممارستهم المختلفة، وفي إطار التقدّم الهائل في مجالات التطبيق، فإنّها ـ أي: التربية ـ أحوج ما تكون إلى تلك المحددات التي تدعم صواب ما يقرره وما يفعله كلّ فرد عامل بها.

«فالقيم التربوية الإسلامية نسق تربوي إنساني للبشرية كافة لا لفئةٍ ما، وهي القادرة على توفير ما يتطلع إليه الإنسان المعاصر من استقرار وأمن، وتحقق له تماسك الأُسرة واستقرارها، ونشر السلام العالمي، الأمر الذي عجزت عنه القيم الإنسانية المعاصرة على اختلافها. وقد ركّز هذا البحث على طلبة المرحلة الجامعية؛ لِما لهذه المرحلة من أهمية، وتُعدّ من أخطر المراحل التي تواجه الآباء والمربّين، واجتياز الشباب لهذه المرحلة بسلام،

---

* جامعة ذي قار/ كلّية التربية للعلوم الصرفة.

يؤذن بأنّه سوف يمضي في حياته صحيح النفس، سوي الشخصية، أمّا إذا لم يخرج منها الشاب سليماً، فإنّ ذلك يؤذن بأوخم العواقب على تكوينه النفسي وسلوكه الاجتماعي في المستقبل»[1].

ومن هنا، وبناءً على ما سبق جاء البحث لتسليط الضوء على أقوال الإمام الحسين عليه السلام، وتتمثّل مشكلة البحث في السؤال الآتي: هل هناك دور لأقوال الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ في تنمية القيم التربوية الإسلامية لدى طلبة الجامعة؟

ثانياً: أهمّية البحث

إنّ المدقق في المتغيّرات العالمية المعاصرة التي تحدث في حياتنا اليوم، يتبيّن له أنّها أكثر من مجرّد أزمات طارئة تنتهي بدخول العالم القرن الحادي والعشرين، أو بإحداث تعديلات طفيفة على سلوكياتنا ومهاراتنا اليومية، بل إنّها تُشير إلى انبثاق عصر جديد فكراً ومفهوماً وتطبيقاً.

«فالاهتمام بفئة الشباب في المجتمع، والانشغال بقضايا الشباب، يُعبّر عن الاهتمام بمستقبل المجتمع الإنساني ككل، كما أنّ مرحلة الشباب لا تقلّ خطورةً وتأثيراً في التنشئة الاجتماعية الكلية للإنسان عن مرحلة الطفولة المبكرة، وتُعدّ مرحلة الشباب أكثر مراحل العمر تأثيراً بالتغيّرات السريعة التي تطرح اختيارات عديدة، فيما يتعلّق بالالتزام بالحاضر والمستقبل»[2].

لا سيّما أنّ الشباب اليوم يتعرّض لعوامل عديدة مثل: العولمة، والغزو الفكري، والآثار المترتبة عليهما في المجالات كافة، ممّا يوجب على المؤسسات وضع تصور جديد للأهداف، لكي تتمكن من القيام بالدور اللازم والمهم في تدعيم القيم، كلّ هذا أوجد لدى الباحث المبررات الكافية للبحث في هذا المجال، وذلك لشعورهم

(١) خزعلي، قاسم محمد محمود، القيم التربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ـ العدد الخامس والعشرون ١ ـ أيلول ٢٠١١: ص٦٠.

(٢) محمد، محمد علي، الشباب العربي والتغير الاجتماعي: ص٥.

بحجم التحديات التي تواجه قيم المجتمع العراقي والتي يحملها شبابه.

«فضلاً عن ذلك، فإنّ للقيم أثراً كبيراً في معظم مجالات الحياة، لا سيّما في مؤسسات المجتمع التربوية، فغرس القيم في النشء أحد الأهداف الرئيسة التي تُعنى بها العملية التربوية؛ إذ إنّ الفرد الذي يفقد قيمه يفقد اتزانه، أمّا القيم بالنسبة للمجتمع، فإنّها أعمدة بنائه التي تحمله وتدعم جوانبه، كما أنّ للمجتمعات الإنسانية بشكل عام، وللمجتمعات الإسلامية بشكل خاص، حاجة متزايدة لإجراء المزيد من الدراسات في مجال القيم، إذ تقوم عليها حياة الأُمم والشعوب، وأنشطته، وعلاقات الأُمم بعضها ببعض، وبالقيم يرتبط مستقبلها، وفي ضوئها تتقرر أهداف العملية التربوية، ممّا يقرر مسير حياته كلّها»[1].

وتُعدُّ هذه الدراسة خطوة على طريق تأصيل العلوم التربوية، والاهتمام بالقيم التربوية الإسلامية، وقد ركّزت الدراسة على منظومة القيم التربوية الإسلامية؛ لأثرها في شخصية الأفراد وسلوكهم.

وبناءً على ما تقدّم، فقد تناول الباحث في هذا البحث موضوعاً يعتقد بأهمّيته القصوى في ظل التأثيرات المتنامية على الأجيال، ممّا دفع بالباحث لمحاولة التعرف على دور أقوال الإمام الحسين عليه السلام في اكتساب القيم التربوية الإسلامية؛ لأنّ القيم تمثّل الأحكام التي يتبناها الأفراد للحكم على صوابية الأشياء أو عدم صوابيتها، فهي تمثّل بوصلة للشباب توجههم إلى برّ السلامة في ظل مخاطر محدقة بهم.

وفي ضوء ما تقدّم تكمن أهمية البحث الحالي فيما يأتي:

١ـ إنّ هذا البحث يحاول أن يبرز أهمّية الموضوع، وانعكاساته على قيم الشباب الناشئ، في ظل المستجدات المتسارعة من حولهم، كالعالم الجديد، والعولمة، والغزو الثقافي.

---

(١) خزعلي، قاسم محمد محمود، القيم التربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ـ العدد الخامس والعشرون ١ ـ أيلول ٢٠١١: ص٩٥.

٢ـ يسعى البحث للوصول إلى مقترحات، لكي يتمكّن الشباب من مواكبة المستجدات الحادثة، والحفاظ على هويته الثقافية الإسلامية في ذات الوقت.

٣ـ في ضوء ما سبق فإنّه من المؤمل بأن يشكّل هذا البحث خطوة على طريق تقدّم المجتمع العراقي، ويستفيد منها كلّ مطلع مهتم بشؤون المجتمع.

ومن هنا يعتقد الباحث أنّ هذا البحث قد يُفيد الفئات الآتية:

١ـ القائمون على المؤسسات التربوية؛ للنهوض بها لكي تتلاءم وثقافة المجتمع، وتساير قيمه ومعتقداته، والغزو الفكري، والأفكار الهدامة، وترسّخ لدى الشباب القيم الأصيلة، وفي ذات الوقت تستجيب للتغيّرات الحادثة، أخذاً بمبدأ الأصالة والمعاصرة.

٢ـ العاملون بميدان التنمية المجتمعية، خاصّة مؤسسات المجتمع المدني، وخدمة المجتمع من خلال تنمية القيم، مع توطيد العلاقة بين هذه المؤسسات، لتكثيف الجهود؛ لأجل تحقيق تقدّم ملموس في عملية بناء المجتمع من خلال بناء الجيل الناشئ.

٣ـ القائمون على تطوير المؤسسات التربوية، للرقي بها؛ لكي تتناسب وحاجات الشباب، وترسّخ لديهم القيم التربوية الأصيلة، والتي تُسهم في بناء المجتمع الإسلامي.

ثالثاً: هدف البحث

يهدف البحث إلى معرفة دور أقوال الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ في تنمية القيم التربوية الإسلامية لدى طلبة الجامعة.

رابعاً: حدود البحث

اقتصر البحث على:

١ـ طلبة كلية التربية للعلوم الصرفة في جامعة ذي قار، للعام الدراسي: ٢٠١٤ـ٢٠١٥م.

٢ـ اقتصرت أداة البحث على أقوال الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ.

٣ـ اقتصرت القيم التربوية على القيم الأخلاقية والاجتماعية.

خامساً: تحديد المصطلحات

أوّلاً: الدور

١ـ عُرّف بـ: «أنّ الدور: مفهوم اجتماعي يُشير إلى نمط من الفعل المتوقع»[١].

٢ـ عُرّف بأنّه: «نمط من الأفعال أو التصرفات التي يتمّ تعلمها إمّا بشكل مقصود، أو بشكل عارض، ويقوم بها شخص ما في موقف يتضمن تفاعلاً»[٢].

ثانياً: الإمام الحسين عليه السلام

هو الإمام الثالث من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وأبوه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثالثاً: القيم التربوية الإسلامية

١ـ القيم التربوية: عرّفها طهطاوي بأنّها: «عبارة عن مجموعة المبادئ والقواعد التي يؤمن بها الناس، ويتفقون عليها فيما بينهم، ويتخذون منها ميزاناً يَزِنون به إعمالهم، ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية»[٣].

وعرّفها خزعلي بأنّها: «الأحكام العقلية الوجدانية التي يرشد إليها الدين الإسلامي، وتُشير إلى ما يؤمن به مجموعة من الناس، ويتفقون على أهمّيتها، ويعتبرونها ضوابط لأفعالهم، ويتخذون منها معياراً يرجعون إليه في الحكم على سلوكياتهم وسلوكيات الآخرين»[٤].

٢ـ القيم التربوية الإسلامية: عرفها سمارة: «عبارة عن مجموعة المبادئ والقواعد

---

(١) عبد الحميد، محمد نبيل. اتجاهات الزوجة والأبناء نحو تقاعد الزوج وعلاقة ذلك بالتوافق الأُسري: ص١.

(٢) مختار، هادي رضا، عمل المرأة وأثره على عدم الاستقرار الأُسري، دراسة ميدانية، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، العدد ٢، الكويت، ١٩٩٧: ص٨.

(٣) طهطاوي، سيد أحمد، القيم التربوية في القصص القرآني: ص٢٩.

(٤) خزعلي، قاسم محمد محمود، القيم التربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ـ العدد الخامس والعشرون ١ ـ أيلول ٢٠١١: ص٦١.

والمثل العليا المستمدة من مصادر الإسلام، والتي يؤمن بها الناس، ويتفقون عليها فيما بينهم، ويتخذون منها ميزاناً يَزِنون به أعمالهم، ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية والمعنوية»[1].

التعريفات الإجرائية

أ ـ القيم التربوية الإسلامية: صفات إنسانية إيجابية راقية، مضبوطة بضوابط الشريعة الإسلامية، تؤدي بالمُتعلّم إلى السلوكيات الإيجابية في المواقف المختلفة، التي يتفاعل فيها مع دينه ومجتمعه وأُسرته، في ضوء معيار ترتضيه الجماعة لتنشئة أبنائها، وهو: الدين، والعرف، وأهداف المجتمع، وتصبح هذه القيم تربوية كلّما أدّت إلى النمو السوي لسلوك المُتعلّم، وكلّما اكتسب بفضل غرسها في ذاته مزيداً من القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ، وبين الخير والشر، وبين القبيح والجميل...

ب ـ القيم الأخلاقية: مجموعة القيم التي تتصل بخصال وقوانين وتقاليد أصيلة، تنبثق من العقيدة الإسلامية، ويلتزم بها الفرد في سلوكه، وضبط تصرفاته، ويترتب عليها مسؤوليات عدّة، وتتمثل في قيم الصدق، والإحسان، والتواضع، والوفاء، والأمانة.

ج ـ القيم الاجتماعية: مجموعة من القيم التي تحدد طبيعة علاقة الفرد بأفراد المجتمع الإنساني، وسلوكه تجاههم، ومن خلالها يلبي حاجاته ككائن اجتماعي، بما يتناسب والعادات والتقاليد الجيدة، وتتمثّل في قيم التعاطف، وبرّ الوالدين، ومساعدة الآخرين، وتحمّل المسؤولية، واحترام الآخرين، والصداقة، والتعاون.

رابعاً: التنمية

وهي لغةً من نمى، أي: زاد وكثر، ومنه النماء، أي: الزيادة، ويكون بمعنى العلو والارتفاع[2]. والتنمية تعني في هذه الدراسة: العمل على زيادة غرس بعض القيم التربوية لطلبة الجامعة.

---

(١) سمارة، سامي محمد، القيم التربوية المتضمنة في شعر علي بن أبي طالب: ص٨.

(٢) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٥، ص٣٤١.

خامساً: طلبة الجامعة

ويُقصد بهم: جميع الطلاب الملتحقين بالجامعات العراقية، وتتراوح أعمارهم في الغالب بين ١٨ـ٢٣ عاماً، ويتم قبولهم في الجامعة بعد اجتيازهم للمرحلة الثانوية.

الإطار النظري

أولاً: نبذة عن حياة الإمام الحسين عليه السلام

ولادته عليه السلام

وِلد بالمدينة في الثالث من شهر شعبان على المشهور، في السنة الرابعة للهجرة[١].

«وروي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه صلّى الظهر يوماً، فرأى جبرئيل عليه السلام، فقال: الله أكبر. فأخبره جبرئيل برجوع جعفر من أرض الحبشة، فكبّر ثانياً، فجاءت البشارة بولادة الحسين عليه السلام، فكبّر ثالثاً...»[٢].

«وجاءت به أُمّه فاطمة عليها السلام إلى جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فاستبشر به وسمّاه حسيناً، وعقّ عنه كبشاً، وهو وأخوه عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة، بشهادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله»[٣]، وهذا فضل لا يدانيه فضل.

وروي عن سلمان رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول في الحسن والحسين عليهما السلام: **«اللهمّ إنّي أحبّهما فأحبّهما وأحبّ مَن أحبّهما»**[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: **«مَن أحبّ الحسن والحسين أحببته، ومَن أحببته أحبّه الله، ومَن أحبّه الله عزّ وجلّ أدخله الجنة، ومَن أبغضهما أبغضته، ومَن أبغضته أبغضه الله، ومَن أبغضه الله خلّده في النار»**[٥].

---

(١) القمي، عباس، الأنوار البهية: ص٩٨

(٢) المصدر السابق.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٢٧.

(٤) ابن شهر آشوب، محمّد بن عليّ، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٣٨٢.

(٥) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٢٨.

وقال صلى الله عليه وآله: «**إنّ ابنيَّ هذين ريحانتاي من الدنيا**»[1].

فضائله ومناقبه عليه السلام

وهي كثيرة جداً وأكثر من أن يسعها هذا المختصر، فإنّه عليه السلام كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يقعد في المكان المظلم، فيُهتدى إليه ببياض جبينه ونحره.

كان حبيباً لرسول الله صلى الله عليه وآله، حتى قال جدّه صلى الله عليه وآله فيه: «**حسين منّي وأنا من حسين، أحبَّ الله مَن أحبَّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط**»[2].

وخرج النبي صلى الله عليه وآله من بيت عائشة، فمرّ على بيت فاطمة عليها السلام، فسمع حسيناً يبكي، فقال: «**ألم تعلمي أنّ بكاءه يؤذيني**»[3].

ومن مناقبه عليه السلام أنّه «**حجّ خمساً وعشرين حجةً ماشياً على قدميه**»[4]، «**وقد جنى غلام له جناية توجب العقوبة، فأمر به أن يُضرب، فقال: يا مولاي، والكاظمين الغيظ. فقال: خلّوا عنه. فقال: يا مولاي، والعافين عن الناس. فقال: قد عفوت عنك. فقال: يا مولاي، والله يحبّ المحسنين. قال: وأنت حرّ لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أُعطيك**»[5]. «**ودخل في يوم من الأيام على أُسامة بن زيد، وهو مريض، وهو يقول: واغمّاه. فقال له الحسين عليه السلام: وما غمّك يا أخي؟ قال: دَيني، هو ستّون ألف درهم. فقال الحسين عليه السلام: هو عليَّ. قال: إنّي أخشى أن أموت. فقال الحسين عليه السلام: لن تموت حتى أقضيها عنك، فقضاه قبل موته**»[6].

شهادته عليه السلام

استُشهد الإمام أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، ريحانة المصطفى،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١١٦.

(٣) ابن شهر آشوب، محمّد بن عليّ، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٦.

(٤) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص١٣٤.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٩٥.

(٦) المصدر السابق: ج٤٤، ص١٨٩.

وقرّة عين البتول، في العاشر من محرّم الحرام سنة إحدى وستين من الهجرة بعد صلاة الظهر، قتيلاً مظلوماً، ظمآن، صابراً محتسباً، وسنّه يومئذٍ ثمان وخمسون سنة، أقام منها مع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين، ومع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام سبعاً وثلاثين سنة، ومع أخيه الحسن عليه السلام سبعاً وأربعين سنة، وكانت مدّة خلافته بعد أخيه إحدى عشرة سنة.

كانت شهادته فريدة من نوعها، فقد مطرت السماء دماً، واقشعرت له أظلة العرش، وبكى له جميع الخلائق، وكيف لا تبكي له جميع الخلائق وقد استوحده القوم؟! صار وحيداً فريداً لا ناصر له ولا معين، فلمّا رأى ذلك أعداؤه استدعوا الفرسان، فصاروا في ظهور الرجالة، وأمر الرماة أن يرموه، فرشقوه بالسهام حتى صار كالقنفذ، فاحجم عنهم، فوقفوا بإزائه، فأخذوا يحيطون به من كل جانبٍ إلى أن أردوه قتيلاً، وقد مثّلوا بجسده الشريف تمثيلاً، فلم يكتفوا بقطع رأسه وبعض أعضائه، بل تعدّى الأمر إلى سلب ما عليه من ثياب، وهو عليه السلام كان يعلم بذلك، عندما طلب من أُخته الحوراء زينب عليها السلام ثياباً لا يطمع بها القوم إذا ما قتلوه، ولكن مع هذا أخذ سراويله أبجر بن كعب، وأخذ عمامته أخنس بن مَرثد، وأخذ سيفه رجل من بني دارم، وانتهبوا رحله وإبله وأثقاله، وسلبوا نساءه.

وحملوهم مع رأسه الشريف إلى العتل الزنيم عبيد الله بن زياد، ومن هناك إلى الشام. في حوادث وآلام لا يسع المقام ذكرها، وإلّا فهي تقرّح القلوب قبل العيون، ولم يلتفت القوم ظلماً وعدواناً أنّهم بقتله قد قتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله، وأُمّه الزهراء، وأباه أمير المؤمنين، وأخاه الحسن المجتبى عليهما السلام؛ لأنّه ريحانة المصطفى، وقرّة عين البتول، وخامس أصحاب الكساء، وخليفة أبيه وأخيه. وقتلوا معه أصحاباً وأهل بيت لا مثيل لهم على الإطلاق كما عبّر هو عليه السلام، حيث قال: «**أمّا بعدُ، إنّي لا أعلم أصحاباً أوفى**

ولا خير من أصحابي، ولا أهل بيت مثل أهل بيتي». فالسلام عليك يا مولاي، وعلى أهل بيتك، وصحبك أجمعين، ورحمة الله وبركاته[1].

ثانياً: أهمّية أقوال الإمام الحسين عليه السلام في تنمية القيم التربوية الإسلامية

يعتقد الباحث أنّنا مدعوون لنتناول في هذا البحث موضوع القيم التربوية الإسلامية، وهو موضوع قديم وخطير، حيث تقوم لأجله الصراعات قديماً وحديثاً، وكلّ حضارة تحاول نشر وفرض قيمها على الحضارات الأُخرى، مستخدمةً عدّة أساليب وأدوات لتحقيق هذه الغاية، ومن أهم هذه: أقوال الإمام الحسين عليه السلام، لِما لها من تأثير على الشباب.

وقد اقتصر الباحث في دراسته للقيم التربوية الإسلامية على القيم الأخلاقية، والقيم الاجتماعية، ويمكن استعراض هذه القيم على النحو الآتي:

١ـ القيم الأخلاقية

«**إنّ القيم الأخلاقية تمثّل علاقة الإنسان بربّه ومجتمعه، وبالكون الذي يعيش فيه، ونظرته إلى نفسه وإلى الآخرين، وإلى سلوكه وكيفية ضبطه، وإلى مكانته من المجتمع بأنظمته وبماضيه وحاضره ومستقبله، والتي تتمثّل في مجموعة القوانين والأهداف والمثل العليا بصورة تمثّل الاستقرار، وتصلح للتنبؤ بالسلوك في المستقبل**»[2].

وقد استخلص الباحث عدداً من القيم الأخلاقية التي وجد من خلال ما تناوله من دراسات حولها اتفاقاً مشتركاً بين العديد من الباحثين، أمثال: طهطاوي، وسمارة، وصالح، على كونها قيماً أخلاقية إسلامية أساسية، وفيما يلي استعراض لهذه القيم بشكل أكثر عمقاً، وهي:

---

(١) *www.alkafeel.net/forums/showthread*.

(٢) عفيفي، محمد الهادي، في أُصول التربية الأُصول الفلسفية في التربية: ص٢٨٦.

قيمة الصدق: من القيم المفضلّة، «**وهي تعني قول الحق والتزام الحقيقة**»[1].

قيمة التواضع: «**التواضع صنفان، تواضع عامّي: وهو الاكتفاء بالدون من الملبس، والمسكن، والمركب، وتواضع خاصّي: وهو تمرين النفس على قبول الحق ممّن كان وضيعاً أو شريفاً**»[2].

قيمة الوفاء: «**تعني إيثار النفس الخالصة من شوائب الهوى، ويقظة القلب النقي من موافقة الشرّ، وتجنب لمهاوي الأنانية، وإقبال على الجود والسخاء والعطاء**»[3].

قيمة الأمانة: «**تعني الأمانة: مدى التزام الفرد بالمحافظة على ممتلكات الغير، وعدم إتلافها، وإعطاء الحق لصاحبه، ورد الأمانات إلى أهلها**»[4].

أهمّية القيم الأخلاقية

تتمثّل أهمّية القيم الأخلاقية في عدّة نقاط أهمّها:

«**للقيم الأخلاقية دورها في تماسك المجتمع وسعادته، وبُعده عن الفوضى والشقاء، فضلاً عن دورها في إحداث التوازن وتحقيق التكيف**»[5].

«**تعمل على تنمية الوازع الديني لدى الإنسان دون أيّ تطرف أو مغالاة، كما تعمل على تربية الضمير الإنساني، وحمايته من الأنانية، ونكران الذات في سبيل صالح المجتمع**»[6].

وقد تبيّن للباحثين ممّا تم استعراضه أنّ القيم الأخلاقية السابقة، هي قيم أخلاقية أصيلة، تتفق وتعاليم ديننا وعادات مجتمعنا، وأنّها ذات أهمّية كبيرة بالنسبة للشباب

---

(١) محمد، محمد علي، الشباب العربي والتغير الاجتماعي: ص٢١٣.

(٢) الغزالي، محمد بن محمد، منهاج العابدين: ص١٠٠.

(٣) الشرقاوي، حسن، نحو تربية إسلامية: ص١٥٥.

(٤) صالح، عايدة شعبان ديب، برنامج مقترح لتنمية القيم الأخلاقية لدى أطفال الرياض بمحافظة غزة: ص٤٤.

(٥) حسن، السيد الشحات أحمد، الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية: ص٦٧.

(٦) بكر، عبد الجواد السيد، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف: ص٣٦٥.

الجامعي، وهذا ما يبرر أهمّية هذا البحث في تنمية هذه القيم.

٢ـ القيم الاجتماعية

حيث يُعبّر عنها بـ«**اهتمام الفرد وميله إلى غيره من الناس، فهو يحبهم ويميل إلى مساعدتهم، ويجد في ذلك إشباعاً له**»[١].

واستخلص الباحث عدداً من القيم الاجتماعية التي وجد من خلال ما تناوله من دراسات حولها اتفاقاً مشتركاً بين العديد من الباحثين، أمثال: طهطاوي، وبربخ، والهندي، وزقوت، وسمارة، كونها قيماً إسلامية اجتماعية أساسية، وفيما يلي استعراض لهذه القيم بشكل أكثر عمقاً، وهي:

قيمة التعاطف: «**وتعني وجود اتجاه لدى الفرد نحو مشاركة الآخرين في مشاعرهم، وانفعالاتهم، ومواقفهم المؤلمة، وتفهّم معاناتهم، والإحساس بها**»[٢].

قيمة برّ الوالدين: يعتقد الباحث أنّ المقصود ببرّ الوالدين، هو مدى التزام الابن بخدمة والديه والتذلل لهما، والسهر على راحتهما، وكسب رضاهما، والدعاء لهما بالرحمة، واحترامهما في الكبر.

قيمة مساعدة الآخرين: «**تعرّف على أنّها مدى التزام الفرد بمساعدة مَن هو محتاج، ومدُّ يد العون له، سواء أكان كبيراً أم صغيراً**»[٣].

تحمل المسؤولية: يعتقد الباحث أنّ المقصود بقيمة تحمّل المسؤولية، هو قيام الفرد بواجباته تجاه دينه، ومجتمعه، وأُسرته، والمحيط الإنساني، من منطلق قناعة ذاتية.

قيمة احترام الآخرين: «**تعني مدى التزام الفرد باحترام مَن هو أكبر منه سناً قولاً وفعلاً**»[٤].

---

(١) المصدر السابق: ص٨٥.

(٢) صالح، عايدة شعبان ديب، برنامج مقترح لتنمية القيم الأخلاقية لدى أطفال الرياض بمحافظة غزة: ص٤٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق: ص٤٣.

قيمة الصداقة: «**صلة من الصلات التي تربط الفرد بأشخاص يؤثرون فيه ويتأثرون به، ويقتربون من حياته اقتراباً خطيراً لأمد طويل**»[1].

قيمة التعاون: «**تعني مشاركة الآخرين، والتضامن معهم في كل ما يساعد على إسعاد الفرد والجماعة**»[2].

أهمّية القيم الاجتماعية

تتمثّل أهمّية القيم الاجتماعية في عدّة نقاط أهمها:

«**إنّ للقيم الاجتماعية دوراً في تشكيل الشخصية السوية المتكاملة للفرد المسلم، كما تهدف إلى بناء وتنمية عامل الضبط الاجتماعي في الإنسان، وهو ضبط داخلي ينبع من ذات أو ضمير الإنسان، فيكون هادياً له إلى معرفة وتمييز المقبول وغير المقبول، والحلال من الحرام، وضبط خارجي يتمثّل في الالتزام بتعاليم الإسلام المتعلّقة بكلّ من أُمور الحياة الاجتماعية المختلفة**»[3].

«**تغرس لدى الشباب المسلم أنّ فعل الخير جزء لا يتجزأ من مهمّة المسلم التي أمره الله بها، فمن هنا فكل فرد ينبغي أن يكون عضواً نافعاً في جماعته، يفعل الخير ويدعو إليه، ويكره الشرّ وينهى عنه، ويشارك في كل عمل ينهض بالمجتمع**»[4].

وقد اتضح للباحث ممّا سبق أنّ القيم الاجتماعية الواردة آنفاً، هي قيم حسنة تنسجم مع الأعراف الدينية السمحة، والتعاليم الإنسانية، والعادات المجتمعية السليمة، والتي لها أهمّيتها بالنسبة للشباب الجامعي، وهذا ما يؤكد أهمّية تضمين برامج وسائل الإعلام لهذه القيم.

---

(١) الغزالي، محمد بن محمد، منهاج العابدين: ص١٨٤.

(٢) محمد، محمد علي، الشباب العربي والتغير الاجتماعي: ص١٩٧.

(٣) سمارة، سامي محمد، القيم التربوية المتضمنة في شعر علي بن أبي طالب: ص١٩١.

(٤) القرضاوي، يوسف، التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا: ص٥٠.

ثالثاً: الغزو الثقافي

«أصبحت قضية الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر من أهم القضايا التي تطرح نفسها بعد التطور الهائل في وسائل الإعلام، وثورة الاتصالات والمعلومات، وتقنيات الاتصال الجماهيرية العملاقة، وظهور عصر الأقمار الصناعية، ومن ثَمّ أمكن النظر إلى هذه القضية على أنّها من أخطر التحديات التي تواجه المسلمين في الوقت الحاضر»[1]، «فالاختراق الثقافي كآلية متطورة تسعى إلى تكريس منظومة معينة من القيم الوافدة، تتفاعل داخل المجتمعات العربية وتسري ببطء، ولكن بثبات داخل منظومة القيم العربية والإسلامية، فتعمل على تفتيتها وتمزيقها من الداخل، وإحلال القيم الأمريكية ذات الطابع الاستهلاكي محلها، ولا يخفى علينا الدور الذي يقوم به الاختراق الثقافي في إعاقة النمو المستقل للمجتمعات العربية سواء أكان اقتصادياً أم ثقافياً»[2].

رابعاً: مفهوم الدور في التربية

يرتبط مفهوم الدور ارتباطاً عضوياً ووثيقاً بمفهوم المكانة؛ فكلّ فرد يلعب دائماً في مكان ـ بشكل شعوري ـ دوراً معيناً. ونحن نعرف بعضنا البعض في هذه الأدوار. «فالدور يقدّم نموذجاً شاملاً واتجاهات الأفراد، ويمثل استراتيجية للتعامل مع نمط متكرر من المواقف، ويتم النمط نفسه من خلال المجتمع بشكل واضح إلى حدٍّ ما بوصفه وحدة يتعرض لأنْ يلعبه أفراد مختلفون بشكل مختلف، ويُعدّ أساساً كبيراً لهوية الأفراد، وتحديد مكانة الأشخاص في المجتمع»[3]، وكلّ فرد يلعب عدّة أدوار في المجتمع في آنٍ واحد، مثلاً: قد يكون أحد الأشخاص أباً، ومدرساً، وزوجاً، وغيرها من الأدوار الكثيرة في الوقت نفسه. «والفرد يحدد في السلوك الاجتماعي الناضج دوره

(١) محمد، محمد سيد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر: ص٦٧١.
(٢) عبد الرحمن، عواطف، قضايا إعلامية معاصرة في الوطن العربي: ص٦٣.
(٣) أبو باشا، نبوية حلمي، الأدوار المتغيّرة للمرأة: ص٧٧.

الخاص، بتخيله لدور الآخرين إلى فكرة التداخل بين الأدوار التي يلعبها الشركاء في التفاعل الذي يحدد ما إذا كان التفاعل منسجماً ومنتجاً»[1]. ويرى أبو باشا أنّ الدور هو: مجموعة من الحقوق والالتزامات، ويقسّمه إلى ثلاثة أقسام تتمثّل في الآتي:

١ـ الأدوار الأساسية: تتمثّل في تلك الأدوار المقترنة بالسن والنوع، وأحياناً بالانتماء الطبقي والعرقي، وهي التي تحدد مسبقاً معظم الوظائف المتاحة للفرد، والتي تفرض سلوك المجموعات كلّ منها اتجاه الأُخرى، واتجاه المواقف الاجتماعية المختلفة.

٢ ـ الأدوار العامّة: تتمثّل في تلك التي تتضمّن فرض التزامات واسعة على أصحابها اتجاه الأدوار الأُخرى المتاحة أمامهم، أو من جهة أُخرى تجاه العلاقات الفردية فيما بينهم.

٣ـ الأدوار المستقلة: وهي تلك التي ليس لها سوى ارتباطات قليلة بالأدوار الأُخرى؛ سواء من ناحية الاتصال بها، أو من ناحية سلوك الناس نحو صاحبها[2]. ويعرّف بدوي الدور بوصفه: «**السلوك المتوقع من الفرد في الجماعة**»[3]، ويقسمه إلى نوعين:

الأول: الدور المكتسب: وهو الدور الذي تحدده المعايير الثقافية، وهو مجموعة من أنواع السلوك المتوقعة لَمن يقوم بدور معين.

الثاني: الدور المفروض: وهو الدور الذي ينتسب للطفل منذ ولادته، أو عند بلوغه سناً معينة؛ كدوره كذكر أو أنثى. كما أنّ مراحل العمر المختلفة تقترن بتوقعات مختلفة، وكذلك فإنّ الأدوار التي تقوم على أساس عضوية الفرد في جماعة سلالية، أو دينية، هي أدوار مفروضة[4].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أُنظر: المصدر السابق.

(٣) بدوي، زكي، قاموس العلوم الاجتماعية: ص٦٠.

(٤) المصدر السابق: ص١٠.

خامساً: دور الإسلام في التربية

«إنّ أيّ حياةٍ لا تبنى على العقيدة الإسلامية الصحيحة، هي حياة لا تحمل أيّ خيرٍ ولا تشمل أيّ إصلاح، وأيّ تربية لا تستمد من العقيدة الإسلامية ولا تنبع منها، هي تربية قاصرة على بلوغ مرادها وتحقيق أهدافها؛ إذ العقيدة ذات فاعلية كبرى وأهمية قصوى في توجيه سلوك الفرد نحو الخير والصلاح»[1].

أمّا القرآن الكريم، فهو منهج عظيم لحياة هادفة شريفة؛ حيث إنّه دستور ونظام شامل متكامل لجميع جوانب الحياة الإنسانية، الأخلاقية، الاجتماعية، الاقتصادية، البيئية، الصحية، النفسية، الروحية، الجسمية، والسياسية. وينبغي لَمن يريد أن يحيى حياة كريمة وآمنة أن يفهم ما جاء في القرآن الكريم، ويدرسه ويتدبر معانيه وأحكامه ويعمل بها، ويطبق ما جاء فيه من قوانين ونظم في جوانب الحياة كافة.

«ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحفظون آيات القرآن الكريم خمساً، خمساً، لا يتجاوز لغيرها حتى يحفظون الآيات الخمس الأُولى، ويفهمونها، ويعملون بها فيها»[2].

ولقد أصبح المسلمون خير أُمّة أُخرجت للناس، ثمّ قامت بنشر الإسلام وتعاليمه للناس، حتى وسع أقطار العالم، واعتنق الناس الإسلام طواعية دون إكراه، لما لمسوه في المسلمين من كمال عقيدتهم، وحسن أخلاقهم، وجميل عشرتهم. كما أنّ مسائل الإيمان إذا استقرت في النفوس وتعلّقت بها القلوب، واطمأنت إليها تحرّكت الجوارح على ضوئها، وما لم تبلغ هذا المبلغ لا تُعدّ عقيدة بمعناها الحقيقي الذي مداره على اللزوم والاستيثاق والتأكد المبني على الإدراك التام.

---

(١) الحمد، حمد بن ناصر بن محمد، العقيدة نبع التربية: ص٨١.

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، تفسير القرطبي: ص١٠.

منهجية البحث وإجراءاته

أوّلاً: منهج البحث

اعتمد الباحث المنهج الوصفي؛ لأنّه يتلاءم وطبيعة بحثه، «**وهو يهتم بتصوير واقع الظاهرة التربوية والنفسية والكشف عن أبعادها**»[1]. والبحث الوصفي: «**هو الذي يُعنى بالدراسات التي تهتم بجمع الحقائق وتفسيرها المرتبطة بطبيعة جماعة من الناس، أو عدد الأشياء، أو سلسلة من الأحداث.. أو الموضوعات التي يرغب الباحث في دراستها**»[2].

ثانياً: مجتمع البحث وعينته

اشتمل مجتمع البحث على جميع الطلبة في كلية التربية للعلوم الصرفة في جامعة ذي قار، للعام الدراسي: ٢٠١٤م/ ٢٠١٥م، وعددهم ٢٤٩ طالباً وطالبةً، وقد اختار الباحث عيّنة من الطلبة بلغ عددهم ٨٠ طالباً، حيث تشكّل ما نسبته ٣٢٪ من الفئة المستهدفة من مجتمع البحث.

ثالثاً: أداة البحث

يكثر استخدام الاستبيانات في البحوث التربوية ولا سيّما الوصفية منها، حيث يسعى الاستبيان إلى الحصول على معلومات وحقائق محددة عن المشكلة المعيّنة، ولتحقيق أهداف البحث، ولجمع المزيد من البيانات والمعلومات، والحقائق المتعلّقة بالبحث، ولبناء هذا الاستبيان قام الباحث بالإجراءات الآتية:

١ـ الاطلاع على سيرة الإمام الحسين عليه السلام.

٢ـ الاطلاع على الأدب التربوي المتصل بموضوع البحث.

---

(١) الزوبعي، عبد الجليل إبراهيم، ومحمد أحمد الغنام، مناهج البحث في التربية: ص١٥.

(٢) داوود، عزيز حنا، أنور حسين، مناهج البحث التربوي: ص١٦٠.

قد اعتمد الباحث في إعداد الأداة لاستخراج أقوال الإمام الحسين عليه السلام التي تتلاءم مع طبيعة بحثها، على ثلاثة مصادر، وهي:

١ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

٢ـ الكافي.

٣ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام.

وبعد بناء الاستبيان قام الباحث بإجراء الصدق والثبات للتحقق من صلاحية تطبيقه على أفراد العيّنة، وعلى النحو الآتي:

١ـ الصدق: «يُقصد بصدق الأداة أن تقيس ما وضعت، لأجل قياسه، وتحقق الأهداف التي وُضعت لها قبل إعدادها»[1].

أـ صدق المُحكّمين: قام الباحث بعرض الصورة الأولية للاستبيان على عدد من الخبراء والمختصين في المجال التربوي وعلوم القرآن، وذلك بهدف معرفة آرائهم وملاحظاتهم ومقترحاتهم حول فقرات الاستبيان ومدى تحقيقها لأهداف البحث، وبعد ذلك قام الباحث بتفريغ مجموعة الملاحظات التي أبداها المُحكّمون، وفي ضوئها قام الباحث بإعادة صياغة بعض الفقرات التي لم يتم الإجماع على ملاءمتها، حيث وصلت أداة البحث إلى صورتها النهائية ٣٠ قول من أقوال الإمام الحسين عليه السلام.

ب ـ صدق الاتساق الداخلي: قام الباحث بتطبيق أداة البحث على عينة استطلاعية من مجتمع البحث الأصلي مكونة من ٧٥ طالباً، بهدف حساب صدق وثبات الأداة للتحقق من إمكانية تطبيقها على عيّنة البحث الكلية. ولحساب صدق الاتساق الداخلي، فقد قام الباحث بحساب معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية.

٢ـ ثبات الأداة: «يعني الثبات أنّه إذا طُبّق مقياس على مجموعة من الأفراد ورصدت درجات كل فرد في هذا المقياس، ثمّ أُعيد إجراء نفس المقياس على نفس هذه المجموعة

(١) اللقاني، أحمد حسين، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس: ص١٥.

ورُصدت أيضاً درجات كل فرد، فإنّ الترتيب النسبي للأفراد في المرّة الأُولى يكون قريباً لترتيبهم النسبي في المرة الثانية»[1].

وقد قام الباحث بحساب ثبات الأداة بالطريقة الآتية:

تمّ حساب ثبات الاستبيان باستخدام طريقة التجزئة النصفية، وذلك من خلال إيجاد معامل الارتباط لبيرسون بين مجموع درجات الفقرات الفردية، ومجموع درجات الفقرات الزوجية، حيث تمّ حساب معامل الارتباط بين النصفين بمعادلة بيرسون، كما تمّ تعديل طول الأداة باستخدام معادلة سبيرمان براون للمجالات الزوجية الفقرات، النصفان متساويان، بمعادلة جتمان للمجالات الفردية عدد الفقرات النصفين غير متساويين.

ممّا سبق يتضح أنّ الأداة تتسم بدرجة عالية من الصدق والثبات، والذي يُعدّ إشارة إلى أنّ النتائج ستكون صادقة وعلى درجة عالية من الموثوقية.

رابعاً: تطبيق أداة البحث

بعد أن تمّ إعداد الاستبيان في صورته النهائية، قام الباحث بتوزيع الاستبيان على طلاب وطالبات كلية التربية للعلوم الصرفة في جامعة ذي قار، التي تمّ اختيارها لتطبيق الدراسة الميدانية، حيث بلغ عدد الاستبيانات التي تمّ توزيعها وجمعها ١٠٠ استبياناً، وبعد استثناء عدد ٢٠ استبياناً كعيّنة استطلاعية عشوائية؛ ليتمّ من خلالها التحقق من صدق وثبات الاستبيان، تمّ التعامل مع عيّنة الدراسة ٨٠، وهذا العدد يشكل نسبة حوالي ٣٢٪ من المجتمع الأصلي.

وبعد جمع البيانات ونظراً لصعوبة التحليل اليدوي للبيانات؛ لكثرة عدد الفقرات، وضخامة عدد برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (*SPSS*) أفراد العينة، لجأ الباحث لاستخدام برنامج لتفريغ وتحليل البيانات للتوصل لنتائج البحث.

---

(١) أبو ناهية، صلاح الدين، الطرق الإحصائية في البحث والتدريس: ص١٧٩.

خامساً: المعالجة الإحصائية

لقد تمت معالجة البيانات باستخدام الحاسوب، حسب برنامج SPSS برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية بهدف الإجابة عن أسئلة البحث، وقد استخدم الباحث من الأساليب الإحصائية: الوسط المرجح، والوزن المئوي.

عَرض النتائج وتفسيرها والاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

أوّلاً: عرض النتائج

سيتمّ في هذا الفصل عرض النتائج التي توصل إليها البحث، وهي كما يلي:

النتائج المتعلّقة بالسؤال الذي نصّ على الآتي: هل هناك دور لأقوال الإمام الحسين عليه السلام في تنمية القيم التربوية الإسلامية؟.

للإجابة عن السؤال: قام الباحث بحساب الوسط المرجح والوزن المئوي للفقرات، وتبيّن أنّ كلّ فقرات الاستبيان حصلت على موافقة عيّنة البحث وبنسب متفاوتة، والجدول رقم (١) يوضّح تلك النتائج مع الأخذ في الاعتبار أنّ درجة الموافقة النهائية من وجهة نظر عيّنة البحث تمت بناءً على قيمة الوسط المرجح والنسب المئوية، وهي على النحو الآتي:

١ـ كبيرة: إذا كان الوسط المرجح والوزن المئوي للفقرات ٣,٥٠ فأعلى، أو ٨٧,٥٠٪ فأعلى.

٢ـ متوسطة: إذا كان الوسط المرجح والوزن المئوي للفقرات تتراوح فيما بين أقل من ٣,٥٠ـ٢,٥٠، أو أقل من ٨٧,٥٠ـ٦٢,٥٠٪.

٣ـ ضعيفة: إذا كان الوسط المرجح والوزن المئوي للفقرات تتراوح فيما بين أقل من ٢,٥٠ـ١,٥٠، أو أقل من ٦٢,٥٠ـ٣٧,٥٠٪.

٤ـ منعدمة: إذا كان الوسط المرجح والوزن المئوي للفقرات أقل من ١,٥٠، أو أقل من ٣٧,٥٠٪.

الجدول رقم ١: يوضّح الوسط المرجح والوزن المئوي للفقرات

ت	الفقرات	الوسط المرجح	الوزن المئوي	مدى توافق الفقرة
١	«النـاس عبيـد الدنيا والدين لعـق على ألسـنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديانون».	٢,٧٧	٪٩٢,٣٣	كبيرة
٢	«ألا تـرون إلى الحـق لا يُعمل به وإلى الباطـل لا يُتناهى عنه؟ فليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً».	٢,٧٧	٪٩٢,٣٣	كبيرة
٣	«خُطّ الموت على وُلد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة».	٢,٧٧	٪٩٢,٣٣	كبيرة
٤	«إن لم يكـن لكـم دين وكنتم لا تخافون المعـاد فكونوا أحراراً في دنياكم».	٢,٧٥	٪٩٢	كبيرة
٥	«موت في عزّ خير من حياة في ذلّ».	٢,٧٥	٪٩٢	كبيرة
٦	«الموت أوْلى من ركوب العار، والعار أوْلى من دخول النار».	٢,٧٥	٪٩٢	كبيرة
٧	«صـبراً بني الكرام، فما الموت إلّا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم».	٢,٧٤	٪٩١,٣٣	كبيرة
٨	«فهل إلّا الموت، فمرحباً به».	٢,٧٤	٪٩١,٣٣	كبيرة
٩	«هيهات منّا الذلّة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون...».	٢,٧٤	٪٩١,٣٣	كبيرة
١٠	«لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد».	٢,٧٣	٪٩١,٢٤	كبيرة
١١	«إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي».	٢,٧٣	٪٩١,٢٤	كبيرة
١٢	«مَـن كان بـاذلاً فينـا مهجتـه، وموطّناً عـلى لقاء الله نفسـه، فليرحل معنا».	٢,٧٢	٪٩١,٢٢	كبيرة
١٣	«رضـا الله رضانا أهل البيـت، نصبر على بلائـه ويوفّينا أجر الصابرين».	٢,٧٢	٪٩١,٢٢	كبيرة
١٤	«سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً».	٢,٧٢	٪٩١,٢٢	كبيرة
١٥	«مـا الإمام إلّا العامـل بالكتاب، والآخذ بالقسـط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله».	٢,٧١	٪٩١,١١	كبيرة

ت	الفقرات	الوسط المرجح	الوزن المئوي	مدى توافق الفقرة
١٦	«مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله».	٢,٧١	٪٩١,١١	كبيرة
١٧	«على الإسلام السلام، إذ بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد».	٢,٧٠	٪٩١,٤	كبيرة
١٨	«هل من ناصر ينصرني؟».	٢,٧٠	٪٩١,٤	كبيرة
١٩	«هل من ذابّ يذبُّ عن حُرَمِ رسول الله».	٢,٧٠	٪٩١,٤	كبيرة
٢٠	«إنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً».	٢,٦٩	٪٩٠,٨٨	كبيرة
٢١	«مثلي لا يبايعُ سِراً، فإذا دعوتَ الناسُ إلى البيعةِ دعوتنا معهُم فكانَ أمراً واحداً».	٢,٦٩	٪٩٠,٨٨	كبيرة
٢٢	«إنّا أهلُ بيتُ النبوة ومعدنُ الرسالة ومُختلفُ الملائكة بِنا فتحَ الله، وبِنا يَختُمْ».	٢,٦٩	٪٩٠,٨٨	كبيرة
٢٣	«رضِا الله رضِانا أهل البيت».	٢,٦٨	٪٩٠,٧٦	كبيرة
٢٤	«لا بيعة ليزيد شارب الخمور وقاتل النفس المحرَّمة».	٢,٦٨	٪٩٠,٧٦	كبيرة
٢٥	«وَهَيْهاتَ مِنّا أَخْذُ الدَّنيَّةِ، أَبَى اللهُ ذلِكَ وَرَسُولُهُ، وَجُدُودٌ طابَتْ، وَحُجُورٌ طَهُرَتْ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ».	٢,٦٨	٪٩٠,٧٦	كبيرة
٢٦	«لا تُؤْثِرُ طاعَةَ اللِّئامِ عَلى مَصارِعِ الْكِرامِ».	٢,٦٧	٪٨٩,٦٥	كبيرة
٢٧	«أَلا إِنّي قَدْ أَعْذَرْتُ وَأَنْذَرْتُ».	٢,٦٧	٪٨٩,٦٥	كبيرة
٢٨	«أَلا إِنّي زاحِفٌ بِهذِهِ عَلى قِلَّةِ الْعَتادِ، وَخَذْلَةِ الأَصْحابِ».	٢,٦٧	٪٨٩,٦٥	كبيرة
٢٩	«كأني بأوصالي تُقطّعها عُسلان الفلاة بين النَّواويسِ وكربلا».	٢,٦٥	٪٨٨,٣٣	كبيرة
٣٠	«وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرعٌ أنا لاقيه».	٢,٦٥	٪٨٨,٣٣	كبيرة
	المعدل العام للفقرات	**٢,٤٥**	**٨٨,٢١**	**كبيرة**

ثانياً: تفسير النتائج

١ـ نتيجة السؤال: وفيما يأتي عرضاً تفصيلياً لنتائج هذا السؤال، وهي كالآتي: جاءت جميع الفقرات بدرجة كبيرة، ولكن بنسب متفاوتة.

وهذا يعني أنّ تقدير الطلبة لأقوال الإمام الحسين عليه السلام في تنمية القيم التربوية الإسلامية، كان بدرجة كبيرة.

ويرى الباحث أنّ نتيجة دراستها ترجع إلى مدى حاجة الطلبة لتلك الأقوال في حياتهم، وهذا يستدعي مضاعفة الجهود المبذولة لإعداد الأجيال في ضوء سيرة الأئمّة عليهم السلام، وأقوال الإمام الحسين عليه السلام، والتي تتناسب والأخلاق الحميدة المنبثقة من ديننا الحنيف.

كما يرجع الباحث نتيجة هذا السؤال إلى أنّ الشباب من طلبة التعليم الجامعي الذين طُبقت عليهم الدراسة يتمتعون بقدر متساوٍ من الأدوار لأقوال الإمام الحسين عليه السلام، التي تسعى لتنمية القيم لديهم، فالشباب في هذه المرحلة يسعون للحصول على القبول الاجتماعي، وهذا يلبي الحاجة السيكولوجية لديهم وهي تقبّل الذات.

ثالثاً: الاستنتاجات

١ـ أن يتمّ التركيز في المؤسسات التربوية والتعليمية على أقوال الإمام الحسين عليه السلام؛ لِما لها من أهمية وتأثير في اكتساب القيم التربوية الإسلامية.

٢ـ تساهم أقوال الإمام الحسين عليه السلام بدور فاعل في غرس القيم التربوية الإسلامية في نفوس الشباب الجامعي، ولها دور في البناء الذاتي للفرد.

٣ـ يرى الطلبة الجامعيون أنّ تطبيقهم لأقوال الإمام الحسين عليه السلام، تُسهم في زيادة خبراتهم، والمساعدة في خدمة المجتمع، والثقة بالنفس، وتنمية شخصياتهم الاجتماعية تأتي في مقدّمة الفوائد التي يجنونها من هذه الأقوال، ويرون أنّها ذات أهمية مرتفعة جداً.

٤ـ يرى الطلبة الجامعيون الذين شاركوا في البحث على أهمّية غرس القيم الإسلامية في السنوات المبكرة للنمو، وتفعيل متابعة سيّر الأئمّة عليهم السلام في تثقيف أفراد المجتمع.

رابعاً: التوصيات

في ضوء النتائج التي أسفر عنها البحث يقترح الباحث التوصيات الآتية:

١ـ ضرورة قيام المؤسسات التربوية والتعليمية والاجتماعية بواجبها في مواجهة الغزو الثقافي الأجنبي، والعودة للموروث الثقافي المستمد من القرآن الكريم بما يحويه من قيم أصيلة تتناسب وتقاليدنا الإسلامية، وواقعنا التربوي.

٢ـ إصدار نشرات للتعريف بالبرامج التربوية الدينية التي تنظمها المؤسسات الحكومية والأهلية.

٣ـ دعوة الجهات المسؤولة بتوفير التشريعات اللازمة لتنظيم برامج الشباب.

خامساً: المقترحات

١ـ إجراء دراسة تجريبية لمعرفة أثر أقوال الإمام الحسين عليه السلام على التحصيل الدراسي.

٢ـ إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية؛ لمعرفة الاتجاه والدافعية نحو البرامج التربوية الدينية.

٣ـ إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية لمعرفة فعالية ممارسة طلاب الجامعات للأنشطة الإعلامية الدينية.

أقوال الإمام الحسين عليه السلام التي أصبحت شعارات لكل الأحرار في العالم

١ـ «على الإسلام السلام، إذ بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد»[1].

قال هذا الإمام الحسين عليه السلام ردّاً على طلب مروان في المدينة عندما أراد منه مبايعة يزيد.

(١) الريشهري، محمد، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٨٤.

٢ـ «**والله، لو لم يكن ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية**»[١].

جاء هذا في ردّه على أخيه محمد بن الحنفية.

٣ـ «**إنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[٢].

قال هذا مخاطباً أنصاره في كربلاء.

٤ـ «**الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلَّ الديانون**»[٣]. قال هذا في منزل ذي حُسم أثناء مسيره إلى كربلاء.

٥ـ «**أَلا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه؟ فليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً**»[٤]. قاله في كربلاء مخاطباً أصحابه.

٦ـ «**خُطّ الموت على وِلد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة**»[٥].

قالها في مكة قبل الخروج إلى الكوفة أمام جمع من أنصاره وأهل بيته.

٧ـ «**مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده، مخالفا لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله**»[٦].

قاله مخاطباً جيش الحرّ في منزل البيضة على طريق الكوفة.

٨ـ «**ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله**»[٧].

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩. الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٥٨٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٨١.

(٣) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص٢٤٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥، ص١١٧.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص٦٨.

(٥) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٥٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٦.

(٦) الريشهري، محمد، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٦١.

(٧) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٣٤.

سطّر الحسين عليه السلام هذه الصفات الحقّة للإمام في الكتاب الذي بعثه مع مسلم بن عقيل إلى أهل الكوفة.

٩ـ «**سأمضي وما بالموت عار على الفتى * إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً**»[١].

هذا الشعر لشخص آخر تمثّل به الحسين عليه السلام رداً على تهديدات الحرّ على طريق الكوفة.

١٠ـ «**رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفّينا أجر الصابرين**»[٢].

قاله عليه السلام في خطاب لأصحابه عند خروجه من مكة.

١١ـ «**مَن كان باذلاً فينا مهجته، وموطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا**»[٣].

قاله عليه السلام عندما عزم على الخروج من مكة إلى الكوفة، مبيّناً طريق الشهادة الدامي الذي سيسلكه.

١٢ـ «**إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي**»[٤].

مقتطف من الوصية التي كتبها سيد الشهداء عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية قبل خروجه من المدينة.

١٣ـ «**لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد** [لا أفرّ فرار العبيد]»[٥].

ورد هذا القول في كلامه عليه السلام صبيحة يوم عاشوراء مخاطباً جيش الكوفة الذي أراد منه الاستسلام.

١٤ـ «**هيهات منّا الذلّة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون...**»[٦].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ص٣٦٦.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٥٣٩.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص٨٩.

(٥) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٨٠.

(٦) القمي، عباس، نفس المهموم: ص١٣١.

قال هذا الكلام عليه السلام مخاطباً جيش الكوفة، حين وجد نفسه مخيّراً بين طريقي الذلّة والشهادة.

١٥ـ «**فهل إلّا الموت؟ فمرحباً به**»[١].

جاء هذا في ردّه عليه السلام على كتاب عمر بن سعد الذي طلب فيه من الإمام أن يستسلم.

١٦ـ «**صبراً بني الكرام، فما الموت إلّا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم**»[٢].

خاطب بهذا الكلام عليه السلام أصحابه المستعدين للبذل، في صبيحة يوم عاشوراء بعد أن استُشهد عدد منهم.

١٧ـ «**الموت أوْلى من ركوب العار * والعار أوْلى من دخول النار**»[٣].

كان الحسين عليه السلام يرتجز بهذا الشعر يوم عاشوراء عند منازلة الأعداء، ويُعلن فيها استعداده للشهادة، وعدم تحمّل عار الخنوع.

١٨ـ «**موت في عزّ خير من حياة في ذلّ**»[٤].

١٩ـ «**إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم**»[٥].

خاطب عليه السلام أتباع آل أبي سفيان بهذا الخطاب قبل استشهاده بلحظات، حين تناهى إلى سمعه أنّهم عازمون على الإغارة على خيم حريمه وعياله.

٢٠ـ «**هل من ذابّ يذبُّ عن حرَمِ رسول الله**»[٦].

٢١ـ «**لا بيعة ليزيد شارب الخمور وقاتل النفس المحرَّمة**».

٢٢ـ «**مثلي لا يبايعُ سِراً فإذا دعوتَ الناسُ إلى البيعةِ دعوتنا معهُم فكانَ أمراً واحداً**».

---

(١) الريشهري، محمد، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٨٢.

(٢) القمي، عباس، نفس المهموم: ص١٣٥.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج١، ص٦٨.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٩٢.

(٥) المصدر السابق: ج٤٥، ص٥١.

(٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٤٦.

٢٣ـ «إنّا أهلُ بيتُ النبوةِ، ومعدنُ الرسـالةِ، ومُختلفُ الملائكةِ، بِنا فتحَ الله وبِنا يَختُمْ، ويزيد شارب الخمور، وقاتل النفس المحرّمة، مُعلن الفسوق، ومثلي لا يبايعُ مثله، ولكن نُصبِحْ وتُصبحِون، ونَنظُر وتَنظِرون، أيّنا أحقُّ بالخلافةِ».

٢٤ـ «الخلافة مُحرّمةٌ على آلِ أبي سُفيان».

٢٥ـ «أنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنّما خَرجتُ لطلبِ الإصلاحِ في أُمّةِ جدّي محمد صلى الله عليه وآله».

٢٦ـ «أيها النّاس.. أنّكم أن تتقوا الله وتعرفوا الحقَّ لأهلهِ يَكُن أرضى لله، ونحن أهلَ بيت محمد أوْلى بولايةِ هذا الأمر من هؤلاء المدّعين ما ليسَ لهم، والسائرين بالجور والعدوان»[1].

٢٧ـ خَطب الإمام الحسين عليه السلام يوم الطفّ، فقال: «أَلا وإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعيّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: بَيْنَ الْقَتَلَةِ وَالذِّلَّةِ، وَهَيْهاتَ مِنّا أَخْذُ الدَّنيَّةِ، أَبَى اللهُ ذلِكَ وَرَسُولُهُ، وَجُدودٌ طابَتْ، وَحُجُورٌ طَهُرَتْ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ، وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ، لا تُؤْثِرُ طاعَةَ اللِّئامِ عَلى مَصارِعِ الْكِرامِ، أَلا إِنّي قَدْ أَعْذَرْتُ وَأَنْذَرْتُ، أَلا إِنّي زاحِفٌ بِهذِهِ عَلى قِلَّةِ الْعَتادِ، وَخَذْلَةِ الأَصْحابِ»[2].

(١) http://www.alkafeel.net/forums/showthread.php?t=60455.

(٢) معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٩٢٤.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١ ـ الأدوار المتغيرة للمرأة، نبوية حلمي أبو باشا، رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٩م.

٢ ـ الأساليب الإحصائية الاستدلالية البارامترية واللابارامترية في تحليل بيانات البحوث النفسية والتربوية، صلاح الدين محمود علام، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م، القاهرة.

٣ ـ الاتجاه نحو التحديث لدى طالبات الجامعة الإسلامية بغزة في ضوء بعض القيم السائدة، حنان زقوت، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٠م، غزة.

٤ ـ اتجاهات الزوجة والأبناء نحو تقاعد الزوج وعلاقة ذلك بالتوافق الأسري، محمد نبيل عبد الحميد، أُطروحة دكتوراه، قسم علم النفس، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٦م.

٥ ـ برنامج مقترح لتنمية القيم الأخلاقية لدى أطفال الرياض بمحافظة غزة، عايدة شعبان ديب صالح، أُطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ٢٠٠١، مصر.

٦ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار عليهم السلام، محمد باقر المجلسي ت ١١١١هـ، مؤسسة الوفاء، ط٢، ١٩٨٣م، بيروت.

٧ ـ تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٨م، بيروت.

٨ ـ التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ١٩٩٢م، القاهرة.

٩ ـ تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، ١٣٧٢هـ،

القاهرة.

١٠ ـ تربية المراهق في المدرسة الإسلامية، محمد جمال الدين محفوظ، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، القاهرة.

١١ ـ سيرة الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، علي محمد علي دخيل، ط١، مؤسسة أحمد للمطبوعات، ٢٠٠٧م، بيروت ـ لبنان.

١٢ ـ الشباب العربي والتغير الاجتماعي، محمد علي محمد، دار النهضة العربية، ١٩٨٥م، بيروت.

١٣ ـ الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، السيد الشحات أحمد حسن، دار الفكر العربي، ١٩٨٨م، القاهرة.

١٤ ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني، مؤسسة أنصاريان، ١٩٩٦م، قم المقدّسة.

١٥ ـ العقيدة نبع التربية، حمد بن ناصر بن محمد الحمد، ط١، ١٤٠٩م، مكتبة التراث، مكة المكرمة.

١٦ ـ عمل المرأة وأثره على عدم الاستقرار الأسري، دراسة ميدانية، هادي رضا مختار، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، العدد ٢، ١٩٩٧م.

١٧ ـ الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، محمد سيد محمد، مجلة الأزهر، الجزء الخامس، ١٩٨٤م.

١٨ ـ الطرق الإحصائية في البحث والتدريس، أبو ناهية صلاح الدين، ط٢، ٢٠٠٠م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

١٩ ـ فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، أحمد رجب الأسمر، ط١، ١٩٧٩م، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن.

٢٠ ـ فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، عبد الجواد السيد بكر، دار الفكر

العربي، القاهرة، ١٩٨٣م.

٢١ ـ في أصول التربية الأصول الفلسفية في التربية، محمد الهادي عفيفي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٦م، القاهرة.

٢٢ ـ القيم الإسلامية والتربية، أبو العينين علي خليل، ط١، ١٩٨٨م، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة.

٢٣ ـ قاموس العلوم الاجتماعية، زكي بدوي، مكتبة لبنان، ١٩٧٥م، بيروت ـ لبنان.

٢٤ ـ القيم التربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي الشريف، قاسم محمد محمود خزعلي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ـ العدد الخامس والعشرون ١ ـ أيلول ٢٠١١.

٢٥ ـ القيم التربوية المتضمّنة في شعر علي بن أبي طالب، سامي محمد سمارة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٠ م، غزة.

٢٦ ـ القيم التربوية في القصص القرآني، سيد أحمد طهطاوي، ط١، ١٩٩٦م، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٧ ـ قضايا إعلامية معاصرة في الوطن العربي، عواطف عبد الرحمن، ط١، ١٩٩٧م، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٨ ـ الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ت٣٢٩هـ، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الأضواء، ١٩٨٥م، بيروت.

٢٩ ـ نحو تربية إسلامية، حسن الشرقاوي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٣م، مصر.

٣٠ ـ مناهج البحث التربوي، عزيز حنّا داوود، أنور حسين، جامعة بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٩٠م، بغداد.

٣١ ـ مناهج البحث في التربية، عبد الجليل إبراهيم الزوبعي، ومحمد أحمد الغنام، ط١،

مطبعة العاني، ١٩٨٤م، بغداد.

٣٢ـ منهاج العابدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تقديم: الشيخ محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي، ١٩٧٢م، القاهرة.

٣٣ـ من أروع ما قاله الإمام الحسن العسكري عليه السلام، سلسلة روائع أقوال المعصومين، محسن عقيل، دار الحجة البيضاء، ط١، ٢٠٠٩م، بيروت.

٣٤ـ معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس، أحمد حسين اللقاني، ط٢، عالم الكتب، ١٩٩٢م، القاهرة.

٣٥ـ *Alexis, S.T. Mass Comm., Theories And Research, London: Longman,1965.*

٣٦ـ *Liebert, Robert M. Effects Of Television On Children & Adult, 1986.*

٣٧ـ *Adolescents , Journal Of Developmental & Behavioral Pediatrics, Vol.7,1.*

٣٨ـ *Musa, Muhammad. Globalization, Mass Media And Muslim Unity*

٣٩ـ *InternationaL Journal Of Muslim Unity, Vol.1, No.1, Pp 21-40, 2003.*

٤٠ـ *Abelman, Robert.Religious Television Uses And Gratifications, Journal*

٤١ـ *OF Broadcasting & Electronic Media, Vol. 31, No.3Summer,. Pp293-307, 1987.*

مرويات الإمام الحسين عليه السلام في تفاسير العامّة

أ. م. د. عصام كاظم الغالبي*

المقدّمة

لم يُعنَ بإمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد الإمام عليّ عليه السلام بكثرة الدراسات والبحوث والمؤلّفات التي تناولته كما عُني بالإمام الحسين عليه السلام، إلّا أنّ الملاحظ في أغلب تلك الدراسات والبحوث والمؤلّفات أنّها ألقت ثقلها على بيان ثورة الإمام الحسين عليه السلام ضد الأُمويين، أسبابها ووقائعها ونتائجها، ولم يُعنَ أغلبها بإبراز الجانب العلمي من حياته عليه السلام على كثرة ما رُوي عنه من روايات وأحاديث تتعلّق بالجوانب التفسيرية والفقهية وغيرهما.

وقد زخرت تفاسير الإمامية قديماً وحديثاً بآلاف الأحاديث المروية عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، ومنهم الإمام الحسين عليه السلام في تفسير آيات القرآن وبيان معاني كلماته، كيف لا وهم عِدْل القرآن، وفي بيوتهم نزل؟! فهُم مع القرآن، والقرآن معهم، لا يفارقونه حتى يرِدوا على حوض رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وآله عن تقدّمهما قائلاً: «**ولا تقدموهما فتَهلكوا، ولا تُعلّموهما، فإنّهما أعلمُ منكم**»[1].

أمّا تفاسير العامّة فلم يخلُ أغلبُها من الرجوع إلى أقوال أهل البيت عليهم السلام والنهل من معينهم، ولكن استشهادها برواياتهم كان قليلاً جدّاً إذا ما قِيستْ بتفاسير الإمامية، وهي متفاوتة فيما بينها في الاستشهاد بذكر المرويات عن الإمام الحسين عليه السلام.

---

* جامعة الكوفة/ كليّة التربية الأساسية.

(١) السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور: ج٢، ص٦٠.

وهذا البحث محاولة لتسليط الضوء على ما روي عن الإمام الحسين عليه السلام في تفاسير العامّة، فيما يتعلّق بالقراءات القرآنية والمسائل التفسيرية وسواهما، مفيداً من أهم كتب التفسير لدى العامّة، لذا سمّيته (مرويات الإمام الحسين عليه السلام في تفاسير العامّة).

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم على ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول القراءات المروية عن الإمام الحسين عليه السلام، موجّهاً إياها، شارحاً أثرها في النصّ القرآني، وخصصتُ المبحث الثاني للروايات المتعلِّقة بالتفسير، مفصِّلاً لها بحسب أغراضها، وجعلت المبحث الثالث لما روي عن الإمام الحسين في سوى القراءات والتفسير، مفصلاً لها بما روي عنه مباشرة، وما روي عنه عن أبيه عن جدّه، وما روي عنه عن جدّه مباشرة، ثمّ ختمته بأهمّ ما توصّل إليه البحث من نتائج.

المبحث الأوّل: ما رُوِي عنه عليه السلام من القراءات القرآنية

القراءة في اللغة مصدر الفعل (قرأ)، يقال: «**قرأ الكتابة قراءة وقرآناً... وقرأ الشيء جمعه وضمّه**»[1]، أمّا في الاصطلاح فحدودها كثيرة، منها أنّها: «**علم بكيفيّة أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله**»[2]، ومنها أنّها: «**علم يُعلم منه اتّفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من السماع**»[3]، أو هي: «**وجوه مختلفة في الأداء من الناحية الصوتية أو التصريفية أو النحوية**»[4].

واختلف العلماء في حقيقة القراءات، فيرى الباقلاني (ت٤٠٣هـ) أنّها قرآن منزل من عنده تعالى[5]، ويرى الزركشي (ت٧٩٤هـ) أنّ القرآن والقراءات: «**حقيقتان**

(١) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج١، ص٢٢١، (قرأ).
(٢) البدري، محمد سمير، أثر القرآن والقراءات في النحو العربي: ص٣٠٩.
(٣) القضاة، محمد أحمد، مقدمات في علم القراءات: ص٤٧.
(٤) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن: ج١، ص٤٥.
(٥) أُنظر: الباقلاني، محمد بن الطيب، نكت الانتصار لنقل القرآن: ص٤١٥. الصغير، محمد حسين، تاريخ القرآن: ص١١٧.

متغايرتان، فالقرآن: هو الوحي المنزل على محمد (صلّى الله عليه وسلّم) للبيان والإعجاز، والقراءات: هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف، أو كيفيتها»[1]، وقد أدّى ذلك إلى جعل «**النظرة إلى هذه القراءات متأرجحة بين التقديس والمناقشة، فمَن يقدّسها يعتبرها قرآناً، ومَن يناقشها يعتبرها علماً بكيفيّة أداء كلمات القرآن، وفرق بين القرآن وأداء القرآن**»[2].

وممّن رأى أنّها ليست من القرآن وليست مسألة دينية الدكتور طه حسين، فقد رأى أنّ القراءات السبع ليست من الوحي في قليل ولا كثير، وليس مُنكِرها كافراً ولا فاسقاً، وللناس أن يجادلوا فيها، وأن ينكروا بعضها[3].

وكذلك اختلفوا في القراءات القرآنية أهي متواترة أم لا؟ فذهب قوم منهم إلى تواترها، ومن هؤلاء الزرقاني الذي يقول: «**والتحقيق الذي يؤيده الدليل هو أنّ القراءات العشر كلّها متواترة**»[4]، وغالى بعضهم فادّعى أنّ مَن زعم عدم تواتر القراءات السبع فقد كفر[5]، ولعل السبب فيما ذهب إليه هؤلاء هو ربطهم القرآن بالقراءات، وأنّ عدم تواتر القراءات يؤدّي في نظرهم إلى عدم تواتر القرآن[6].

وذهب آخرون إلى عدم تواترها عن النبي صلى الله عليه وآله، فيرى الزركشي أنّ القراءات السبع متواترة عن الأئمّة السبعة، أمّا تواترها عن النبي صلى الله عليه وآله ففيه نظر، فإنّ إسناد الأئمّة السبعة بهذه القراءات السبع موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد، ولم تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين[7].

---

(١) الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن: ج١، ص٣١٨.
(٢) الصغير، محمد حسين، تاريخ القرآن: ص١١٧.
(٣) أُنظر: طه حسين، في الأدب الجاهلي: ص٩٥.
(٤) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان: ج١، ص٤٣٩.
(٥) أُنظر: المصدر السابق: ج١، ص٤٣٤.
(٦) أُنظر: الأمين، إحسان، منهج النقد في التفسير: ص٢٣٨ ـ ٢٣٩.
(٧) أُنظر: الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن: ج١، ص٣١٩.

وقد رُوِي في كتب التفسير والقراءات عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام عددٌ كبير من القراءات القرآنية ونُسبت إليهم، وليس من السهل الجزم بصحّة نسبتها إليهم أو عدم الصحّة، وقد تناولها عدد من الباحثين جمعاً ودراسة وأثراً[1]، والملاحظ في هذه القراءات عدم التعارض أو التناقض فيما بينها، فالقراءة إمّا تُنسب لأحد أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وإمّا تُنسب إلى عدد منهم عليهم السلام، ولا تكاد تجد إماماً منهم عليهم السلام قرأ بقراءة معينة، وقرأ إمام آخر بقراءة أُخرى.

وذكر الآلوسي أنّ قراءة «﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾[2]، **أراد أباه (لمك بن متوشلخ)... وأُمّه شمخى (بالشين والخاء المعجمتين) بوزن سكرى بنت أُنُوش بالإعجام بوزن أُصول، وكانا مؤمنين، ولولا ذلك لم يجز الدعاء لهما بالمغفرة، وقيل أراد بهما آدم وحواء، وقرأ ابن جبير والجحدري (ولوالدِي) بكسر الدال وإسكان الياء، فإمّا أن يكون قد خصّ أباه الأقرب، أو أراد جميع مَن ولدوه إلى آدم عليه السلام، ولم يكفر ـ كما قال ابن عباس ـ لنوح أبٌ ما بينه وبين آدم عليه السلام، وقرأ الحسين بن علي (كرّم الله تعالى وجههما ورضي عنهما) وزيد بن علي بن الحسين (رضي الله تعالى عنهم) ويحيى بن يعمر والنخعي والزهري (ولولدَيّ) تثنية (وَلَد) يعني ساماً وحاماً على ما قيل**»[3].

وهنا تغيّر المعنى، فالدعاء في الآية لأبوي النبيّ نوح عليه السلام، وأبوه لمك بن متوشلخ، وأُمّه شمخى بنت أُنُوش، وكانا مؤمنين، وقيل: هما آدم وحواء، أمّا الدعاء في القراءة فهو لوَلدَي النبي نوح، وهما سام وحام[4].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا﴾[5]، ذكر

---

(١) أُنظر: مؤمل جواد، القراءات القرآنية المنسوبة لأهل البيت وآثارها، رسالة ماجستير، كلية الفقه/ جامعة الكوفة، ٢٠١٥.

(٢) نوح: آية٢٨.

(٣) الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني: ج٢١، ص٣٣٠.

(٤) أُنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف: ج٧، ص١٥٠.

(٥) عبس: آية٢٤ـ٢٥.

الزمخشري أنّ الإمام الحسين قرأ: «(أنّى صببنا) بالإمالة على معنى: (فلينظر الإنسان كيف صببنا الماء)»[1]، ويرى الزمخشري أنّ الله تعالى «لما عدد النعم في نفسه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه، فقال: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾، إلى مطعمه الذي يعيش به كيف دبرنا أمره ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ﴾ يعني الغيث، قرئ بالكسر على الاستئناف، وبالفتح على البدل من الطعام»[2].

وقال أبو حيان: «وقرأ الجمهور: (إنّا) بكسر الهمزة، والأعرج وابن وثاب والأعمش والكوفيون ورويس: (أنّا) بفتح الهمزة، والحسين بن عليّ (رضي الله تعالى عنهما): (أنّى) بفتح الهمزة مُمالاً؛ فالكسر على الاستئناف في ذكر تعداد الوصول إلى الطعام، والفتح قالوا: على البدل، وردّه قوم؛ لأنّ الثاني ليس الأول، قيل: وليس كما ردّوا؛ لأن المعنى: (فلينظر الإنسان إلى إنعامنا في طعامه)، فترتب البدل وصح، كأنّهم جعلوه بدل كلّ من كلّ، والذي يظهر أنّه بدل الاشتمال»[3].

وممّا نُسب إلى الإمام الحسين عليه السلام أيضاً قراءته قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[4]، قرأه (يُرَه) بضم الياء على البناء للمجهول بدلاً من فتحها، وهنا يكون الفاعل غير الرائي في حين أنّه الرائي نفسه في القراءة[5]، وقد فصّل أبو حيان القول في قراءات هذه الآية وقرّائها قائلاً: «وقرأ الحسين بن علي وابن عباس وعبد الله بن مسلم وزيد بن علي والكلبي وأبو حيوة وخليد بن نشيط وأبان، عن عاصم والكسائي في رواية حميد بن الربيع عنه: (بضمها)،

---

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف: ج٧، ص٢٣٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) التوحيدي، علي بن محمد، البحر المحيط: ج١٠، ص٤٣٧. وأُنظر: الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني: ج٢٢، ص١٩٠.

(٤) الزلزلة: آية٧ـ٨.

(٥) أُنظر: التوحيدي، علي بن محمد، البحر المحيط: ج١١، ص١٢. الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني: ج٢٣، ص٨٩.

وهشام وأبو بكر: (بسكون الهاء فيهما)، وأبو عمرو: (بضمهما مشبعتين)، وباقي السبعة: (بإشباع الأُولى وسكون الثانية)، والإسكان في الوصل لغة حكاها الأخفش، ولم يحكها سيبويه، وحكاها الكسائي أيضاً عن بني كلاب وبني عقيل، وهذه الرؤية رؤية بصر. وقال النقاش: ليست برؤية بصر، وإنّما المعنى يصيبه ويناله.

وقرأ عكرمة: (يراه) بالألف فيهما، وذلك على لغة مَن يرى الجزم بحذف الحركة المقدرة في حروف العلّة، حكاها الأخفش، أو على توهم أنّ (مَن) موصولة لا شرطية، كما قيل في (أنّه مَن يتّقي ويصبر) في قراءة مَن أثبت ياء (يتّقي) وجزم (يصبر)، توهم أنّ مَن شرطية لا موصولة، فجزم (ويصبر) عطفاً على التوهم»[1].

ومنها أيضاً قراءته قوله تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾[2]، إذ نُسب إليه عليه السلام أنّه قرأ: «(فلتفرحوا) بالتاء خطاباً للمؤمنين، يدلّ عليه قول النبي (صلّى الله عليه وسلّم) في بعض مغازيه: لتأخذوا مصافكم...»[3].

وقد رُويت هذه القراءة عن أُبي بن كعب أيضاً، قال الطبري: «حدّثنا ابن وكيع، قال: حدّثنا أبي، عن سفيان، عن أسلم المنقري، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزي، عن أبيه، عن أُبيّ بن كعب: أنّه كان يقرأ: (فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا هُوَ خُيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)، بالتاء»[4].

وقد فصّل ابن عطية القول فيها ذاكراً أنّ معنى الآية: «قل يا محمد لجميع الناس: ﴿بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾، فليقع الفرح منكم، لا بأُمور الدنيا وما جُمع من حطامها، فالمؤمنون يقال لهم: (فلتفرحوا)، وهم متلبسون بعلة الفرح وسببه، ومحصلون لفضل الله، منتظرون الرحمة، والكافرون يقال لهم: ﴿بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾ فلتفرحوا، على معنى أن لو اتّفق لكم، أو لو سعدتم بالهداية إلى تحصيل ذلك.

---

(١) التوحيدي، علي بن محمد، البحر المحيط: ج١١، ص١٢. وأُنظر: الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني: ج٢٣، ص٨٩.

(٢) يونس: آية٥٨.

(٣) الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان: ج٧، ص٣٨.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج١٥، ص١٠٩.

وقرأ أُبي بن كعب وابن القعقاع وابن عامر والحسن على ما زعم هارون ورويت عن النبي(صلّى الله عليه وسلّم) (فلتفرحوا)، و(تجمعون) بالتاء فيهما على المخاطبة، وهي قراءة جماعة من السلف كبيرة، وعن أكثرهم خلاف.

وقرأ السبعة سوى ابن عامر وأهل المدينة والأعرج ومجاهد وابن أبي إسحاق وقتادة وطلحة والأعمش: بالياء فيهما على ذكر الغائب. ورويت عن الحسن: بالتاء من فوقٍ فيهما، وقرأ أبو التياح وأبو جعفر وقتادة: بخلاف عنهم. وابن عامر بالياء في الأوْلى وبالتاء في الآخرة.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن وجماعة من السلف ورويت عن النبي(صلّى الله عليه وسلّم): بالياء في الأوْلى وفي الآخرة، ورويت عن أبي التياح. وإذا تأملت وجوه ذلك بانت على مهيع الفصيح من كلام العرب؛ ولذلك كثر الخلاف من كلّ قارئ.

وفي مصحف أُبي بن كعب: (فبذلك فافرحوا)، وأما مَن قرأ (فلتفرحوا)، فأدخل اللام في أمر المخاطب، فذلك على لغة قليلة، حكى ذلك أبو علي في الحجة، وقال أبو حاتم وغيره: الأصل في كلّ أمر إدخال اللام، إذا كان النهي بحرف فكذلك الأمر، وإذا كان أمراً لغائب بلام، قال أبو الفتح: إلّا أن العرب رفضت إدخال اللام في أمر المخاطب لكثرة ترداده.

وقرأ أبو الفتوح والحسن: بكسر اللام من (فلتفرحوا)، فإن قيل: كيف أمر الله بالفرح في هذه الآية؟ وقد ورد ذمه في قوله: ﴿لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[1]، وفي قوله: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[2]، قيل: إنّ الفرح إذا ورد مقيداً في خير فليس بمذموم، وكذلك هو في هذه الآية، وإذا ورد مقيداً في شرٍّ أو مطلقاً لحقه ذم؛ إذ ليس من أفعال الآخرة، بل ينبغي أن يغلب على الإنسان حزنه على ذنبه وخوفه لربِّه، وقوله: (مِمَّا يَجْمَعُونَ) يريد من مال الدنيا وحطامها الفاني المؤذي في الآخرة»[3].

---

(١) هود: آية١٠.

(٢) القصص: آية٧٦.

(٣) ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز: ج٣، ص١٢٦.

ولم يرتضِ هذه القراءة عددٌ من العلماء، قال الأخفش معلقاً عليها: «**وقال بعضهم: (فَلْتَفْرَحُوا)، وهي لغة العرب ردية؛ لأنّ هذه اللام إنّما تدخل في الموضع الذي لا يُقدر فيه على (أَفْعَل)، يقولون: (لِيَقُلْ زَيْدٌ)، لأنّك لا تقدر على (أَفْعَل)، ولا تدخل اللام إذا كلّمت الرجل فقلت: (قُلْ)، ولم تحتج إلى اللام**»[1].

ومن القراءات المنسوبة إليه عليه السلام قراءته قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[2]، حيث ذكروا أنّ الإمام الحسين بن عليّ قرأ على المنبر (أنّك) بفتح الهمزة، أسنده إليه الكسائي واتّبعه فيها، ورأوا أنّ المعنى واحد في المقصد، وإن اختلف المؤخذ إليه[3].

وروَوا عن قتادة في سبب نزول الآية: «**أنّ أبا جهل لما نزلت: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾**[4]، **قال: أيتهددني محمد وأنا ما بين جبليها أعزّ منّي وأكرم. فنزلت هذه الآيات، وفي آخرها: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾**[5]، **أي: على قولك، وهذا كما قال جرير:**

ألم يكن في وسوم قد وسمت بها ... من خان موعظة يا زهرة اليمنِ

يقولها للشاعر الذي سمّى نفسه به، وذلك في قوله:

أبلغ كليباً وأبلغ عنك شاعرها ... أنّي الأعزّ وأنّي زهرة اليمنِ

جاء بيت جرير على هذا الهزء»[6].

---

(١) الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة، معاني القرآن: ج١، ص٣٧٥.
(٢) الدخان: آية٤٩.
(٣) أُنظر: ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز: ج٦، ص٩٤.
(٤) الدخان: آية٤٣ـ٤٤.
(٥) الدخان: آية٤٩.
(٦) ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز: ج٦، ص٩٤.

المبحث الثاني: ما روي عنه عليه السلام في التفسير

أوّلاً: ما رُوِي عنه عليه السلام في تفسير ألفاظ القرآن

ومن ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[1]، فقد اختلف المفسرون في معنى (شاهد) على أقوال كثيرة، منها ما رووه عن الإمام الحسين عليه السلام من أنّ المقصود بالشاهد هو رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، فقد ورد في تفسير الطبري قوله: «**حدّثنا محمد بن بشار، قال، حدّثنا ابن أبي عدي، عن عوف، عن سليمان العلاف، عن الحسين بن علي في قوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، قال: الشاهد محمد(صلّى الله عليه وسلّم)**»[2].

وقال صاحب المحرر الوجيز: «**وكذلك اختلف في المراد بـ(الشاهد)، فقال ابن عباس وإبراهيم النخعي ومجاهد والضحاك وأبو صالح وعكرمة: هو جبريل. وقال الحسين بن علي: هو محمد(صلّى الله عليه وسلّم). وقال مجاهد أيضاً: هو ملك وكّله الله بحفظ القرآن. قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن يريد بهذه الألفاظ جبريل. وقال علي ابن أبي طالب والحسن وقتادة: هو لسان النبي(صلّى الله عليه وسلّم). وقالت فرقة: هو علي بن أبي طالب (رضي الله عنه). وروي ذلك عنه، وقالت فرقة: هو الإنجيل. وقالت فرقة: هو القرآن. وقالت فرقة: هو إعجاز القرآن**»[3].

وقال السيوطي: «**وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر، عن الحسين بن علي في قوله ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، قال: محمد هو الشاهد من الله**»[4].

---

(١) هود: آية١٧.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج١٥، ص٢٧١.

(٣) ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز: ج٣، ص٤٠٧.

(٤) السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور: ج٥، ص٢٨٥.

وقد جمع أغلب هذه الآراء صاحب تفسير زاد المسير قائلاً: «وفي المراد بـ(الشاهد) ثمانية أقوال:

أحدها: أنّه جبريل، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وإبراهيم في آخرين.

والثاني: أنه لسان رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم) الذي كان يتلو القرآن، قاله علي ابن أبي طالب، والحسن، وقتادة في آخرين.

والثالث: أنه علي بن أبي طالب، و(يتلوه): بمعنى يتّبعه، رواه جماعة عن عليّ بن أبي طالب، وبه قال محمد بن علي، وزيد بن علي.

والرابع: أنّه رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم) هو شاهد من الله تعالى، قاله الحسين ابن علي عليه السلام.

والخامس: أنه ملَك يحفظه ويسدده، قاله مجاهد.

والسادس: أنه الإنجيل يتلو القرآن بالتصديق، وإن كان قد أُنزل قبله؛ لأنّ النبي(صلّى الله عليه وسلّم) بشّرت به التوراة، قاله الفراء.

والسابع: أنّه القرآن ونظمه وإعجازه، قاله الحسين بن الفضل.

والثامن: أنّه صورة رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ووجهه ومخايله؛ لأنّ كلّ عاقل نظر إليه علم أنّه رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم)»[1].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ * وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[2]، روى المفسرون عن الإمام الحسين عليه السلام أنّ الشاهد (النبي محمد صلى الله عليه وآله) والمشهود (يوم القيامة)، «أخرج عبد بن حميد، والطبراني في الأوسط، والصغير، وابن مردويه، عن الحسين بن عليّ في الآية، قال: الشاهد جدّي رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم)، والمشهود

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير: ج٣، ص٣٢٨.
(٢) البروج: آية١ـ٣.

(يوم القيامة)، ثمّ تلا: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾[1]، ﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾[2]»[3].

وروى ابن أبي حاتم قائلاً: «حدّثنا أبو سعيد الأشَجّ، ثنا حفص المكْتِب، ثنا إدريس، عن شيخ مِن بني أسد، عن أبي الضُّحى، عن الحسن، والحسين بن عليّ، قال: المَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ. وروي عن مجاهد نَحْوُ ذلك»[4].

وممّا روي عن الإمام الحسين عليه السلام تفسيره (العذاب الأدنى) في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[5]، فقد اختُلف في تفسيره، «قال الحسن وأبو العالية والضحاك وأُبي بن كعب وإبراهيم النخعي: العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها ممّا يُبتلى به العبيد حتى يتوبوا. وقاله ابن عباس، وعنه أيضاً أنّه الحدود. وقال ابن مسعود والحسين بن علي وعبد الله بن الحارث: هو القتل بالسيف يوم بدر. وقال مقاتل: الجوع سبع سنين بمكّة حتى أكلوا الجِيَف. وقاله مجاهد، وعنه أيضاً: العذاب الأدنى عذاب القبر. وقاله البراء بن عازب، قالوا: والأكبر عذاب يوم القيامة. قال القشيري: وقيل: عذاب القبر. وفيه نظر لقوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾»[6].

وكذلك اختُلف في تفسير لفظة (الطاغوت) في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[7]، فمنهم مَن قال: إنّه الساحر، ومنهم مَن قال: إنّه الأصنام، ورووا عن الإمام الحسين عليه السلام أنّ معنى الطاغوت: (الشيطان)،

---

(١) الأحزاب: آية٤٥.

(٢) هود: آية١٠٣.

(٣) الشوكاني، محمد بن عبد الله، فتح القدير: ج٧، ص٤٦٢.

(٤) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم: ج٨، ص٢٦٢.

(٥) السجدة: آية٢١.

(٦) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج١٤، ص٩٨.

(٧) البقرة: آية٢٥٦.

قـال الآلوسي مُفـسِّراً هذه اللفظة: «أي: الشـيطان، وهو المروي عـن عمر بن الخطاب والحسـين ابن عـليّ (رضي الله تعالى عنهما)، وبه قال مجاهد وقتادة، وعن سـعيد بن جبير وعكرمة أنّه الكاهن، وعن أبي العالية: أنّه الساحر، وعن مالك بن أنس: كلّ ما عُبِد من دون الله تعالى، وعن بعضهم: الأصنام. والأَولى أن يُقال بعمومه: سائر ما يطغى، ويجعل الاقتصار على بعض في تلك الأقوال من باب التمثيل»[1].

وممّا روي عن الإمام الحسـين أيضاً ما ورد في تفسـير قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[2]، فقـد «أنبأ عبـد الرحمن، نـا إبراهيم، نا آدم، نا أبان العطار، عن أبي عمران الجوني، قال: قال جبريل للنبـي (صلّى الله عليه وسـلّم): إن سـألوك: أي الأجلين قضى موسـى؟ فقـل: أفضلهما وأكرمهـما. وإن سـألوك: أي الجاريتـين تزوّج موسـى؟ فقـل: أصغرهما. وكان اسـمها صفوريا.

أنا عبد الرحمن، ثنا إبراهيم، نا آدم، ثنا حبان، عن سعد بن طريف، عن مقسم أبي عبد الرحمن، قال: قلت للحسين بن علي: أي الأجلين قضى موسى؟ قال: أكثرهما، قلت: فما كان اسم امرأته؟ قال: بلاقيس»[3].

ثانياً: ما رُوِي عنه عليه السلام في تفسير آيات القرآن

وذكر صاحب تفسـير زاد المسـير في تفسـير قوله تعـالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[4]، أنّ في سبب قتلهم يحيى بن زكريا قولين: «أحدهما: أنّ ملِكهم أراد نكاح امرأة لا تحلُّ له، فنهاه عنها يحيى. ثمّ فيها أربعة أقوال:

(١) الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني: ج٢، ص٣٢٢.
(٢) القصص: آية٢٨.
(٣) المخزومي، مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد: ج٢، ص٤٨٤.
(٤) الإسراء: آية٤.

أحدها: أنها ابنة أخيه، قاله ابن عباس.

والثاني: ابنته، قاله عبد الله بن الزبير.

والثالث: أنّها امرأة أخيه، وكان ذلك لا يصلح عندهم، قاله الحسين بن علي عليهما السلام.

والرابع: ابنة امرأته، قاله السدي عن أشياخه، وذكر أنّ السبب في ذلك: أنّ ملك بني إسرائيل هويَ بنت امرأته، فسأل يحيى عن نكاحها، فنهاه، فحنقت أُمّها على يحيى حين نهاه أن يتزوّج ابنتها، وعمدت إلى ابنتها فزينتها، وأرسلتها إلى الملك حين جلس على شرابه، وأمرَتْها أن تسقيَه، وأن تعرض له، فإن أرادها على نفسها، أَبت حتى يؤتى برأس يحيى بن زكريا في طَسْت، ففعلت ذلك، فقال: ويحك سليني غير هذا. فقالت: ما أُريد إلّا هذا. فأمر، فأُتي برأسه، والرأس يتكلّم ويقول: لا تحلُّ لك، لا تحلُّ لك.

والقول الثاني: أنّ امرأة الملك رأت يحيى عليه السلام، وكان قد أُعطيَ حسناً وجمالاً، فأرادته على نفسه، فأبى، فقالت لابنتها: سلي أباك رأس يحيى، فأعطاها ما سألت. قاله الربيع ابن أنس. قال العلماء بالسِّير: ما زال دم يحيى يغلي حتى قُتِل عليه من بني إسرائيل سبعون ألفاً، فسكن. وقيل: لم يسكن حتى جاء قاتله، فقال: أنا قتلته. فقُتِل، فسكن»[1].

ثالثاً: ما رُوِي عنه عليه السلام في أسباب نزول الآيات القرآنية

عرّف الزرقاني سبب النزول فقال: «هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدّثة عنه، أو مبيّنة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى: أنّه حادثة وقعت في زمن النبي (صلّى الله عليه وسلّم)، أو سؤال وُجِّه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتّصل بتلك الحادثة، أو بجواب هذا السؤال»[2].

وتعد أسباب النزول «أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأوْلى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصّتها وبيان نزولها. ولا يحلّ القول في أسباب نزول الكتاب إلّا بالرواية والسماع ممّن شاهدوا التنزيل،

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير: ج٤، ص١٤٤.

(٢) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان: ج١، ص١٠٦.

ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها، وجدّوا في الطلاب، وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في هذا العلم بالنار»[1].

أمّا دواعي أسباب النزول فقد: «يكون الداعي لنزول الآيات الكريمات هي حادثة وقعت، أو واقعة حدثت، فنزلت الآيات المقدّسات بياناً لها، أو ردّاً عليها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[2]، فسبب نزول هذه الآيات أنّ امرأة من المشركين أقبلت على الرسول صلى الله عليه وآله «بعد أن أُرجئ عنه الوحي مدّة ليست بالقصيرة، فقالت له: يا محمّد، ما أرى شيطانك إلّا وقد قلاك، فنزلت هذه الآيات؛ تسلية لنفس الرسول؛ وتعضيداً له؛ وإشعاراً من الله إليه بأنّه سبحانه معه على الدوام، دون أن تكون هنالك لحظة انقطاع البتة»[3].

وممّا روي عن الإمام الحسين عليه السلام في أسباب نزول الآيات ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ﴾[4]، فقد ذكر صاحب تفسير فتح القدير أنّ سبب نزول الآية أنّ رسول الله رأى «وِلد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنّهم القردة، فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ﴾، يعني: الحكم ووِلده. وأخرج ابن أبي حاتم، عن يعلى بن مرّة، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): رأيت بني أُميّة على منابر الأرض، وسيملكونكم فتجدونهم أرباب سوء. واهتمّ رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) لذلك، فأنزل الله الآية. وأخرج ابن مردويه عن الحسين بن عليّ نحوه مرفوعاً وهو مرسل»[5].

---

(١) الواحدي، علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن: ج١، ص٨.

(٢) الضحى: آية١ ـ٣.

(٣) الجنابي، سيروان عبد الزهرة، تاريخ القرآن وعلومه: ص١٦٣. وأُنظر: السيوطي، جلال الدين، لباب النقول في أسباب النزول: ص٢٣٠. الواحدي، علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن: ج١، ص٣٠١.

(٤) الإسراء: آية٦٠.

(٥) الشوكاني، محمد بن عبد الله، فتح القدير: ج٤، ص٣٢٨.

المبحث الثالث: ما روي عنه عليه السلام في غير القراءات والتفسير

أولاً: الرواية عنه مباشرة

ذكر الآلوسي أنّه: «أخرج جميل بن دراج، عن الإمامية، عن أبي عبد الله الحسين (رضي الله تعالى عنه) قال: درهم ربا أعظم عند الله تعالى من سبعين زنية كلّها بذات محْرَم في بيت الله الحرام»[1]، ومثله ما ورد في جامع لطائف التفسير[2].

وروى السيوطي في سبب قتل نبي الله يحيى بن زكريا عن ابن عساكر من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي أنه قال: «كان ملك مات وترك امرأته وابنته، فورث مُلكَه أخوه، فأراد أن يتزوّج امرأة أخيه، فاستشار يحيى بن زكريا في ذلك، وكانت الملوك في ذلك الزمان يعملون بأمر الأنبياء، فقال له: لا تتزوّجها فإنها بغي. فبلغ المرأة ذلك، فقالت: ليقتلن يحيى أو ليخرجن من ملكه. فعمدت إلى ابنتها فصيغتها، ثمّ قالت: اذهبي إلى عمِّك عند الملأ، فإنّه إذا رآك سيدعوك، ويجلسك في حجره، ويقول: سليني ما شئت، فإنّك لن تسأليني شيئاً إلّا أعطيتك، فإذا قال لك: قولي. فقولي: لا أسألك شيئاً إلّا رأس يحيى! وكانت الملوك إذا تكلّم أحدهم بشيء على رؤوس الملأ، ثمّ لم يمضِ له، نُزِع من ملكه، ففعلت ذلك، فجعل يأتيه الموت من قتله يحيى، وجعل يأتيه الموت من خروجه من ملكه، فاختار ملكه، فقتله، فساخت بأُمّها الأرض. قال ابن جدعان: فحدّثت بهذا الحديث ابن المسيب، فقال: أما أخبرك كيف كان قتل زكريا؟ قلت: لا. قال: إنّ زكريا حيث قُتِل ابنه، انطلق هارباً منهم، واتّبعوه حتى أتى على شجرة ذات ساق، فدعته إليها فانطوت عليه، وبقيت من ثوبه هدبة تلعبها الريح، فانطلقوا إلى الشجرة، فلم يجدوا أثره عندها، فنظروا تلك الهدبة، فدعوا المنشار، فقطعوا الشجرة فقطعوه فيها»[3].

---

(١) أُنظر: الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني: ج٢، ص ٣٧٨.

(٢) أُنظر: القماش، عبد الرحمن بن محمد، جامع لطائف التفسير: ج٩، ص٣١٤.

(٣) السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور: ج٦، ص٤٤٦.

وروى الزمخشري عن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنّه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما: «**بِمَ حفظ الله الغلامين؟ قال: بصلاح أبيهما، قال: فأبي وجدّي خير منه. فقال: قد أنبأنا الله أنّكم قوم خصمون**»[1].

وذكر أبو حيان أنّ عصام بن المصطلق الشامي قد سبّ الإمام الحسين عليه السلام سبّاً مبالغاً وأباه؛ إذ كان مبغضاً لأبيه، فقال الحسين بن علي: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ...﴾. **إلى قوله:** ﴿... فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[2]، **ثمّ قال: خفض عليك أستغفر الله لي ولك، ودعا له في حكاية فيها طول، ظهر فيها من مكارم أخلاقه وسعة صدره، وحوالة الأشياء على القدر ما صيّر عصاماً أشدّ الناس حبّاً له ولأبيه وذلك باستعماله هذه الآية الكريمة وأخذ بها**»[3].

وذكر البغوي أنّه رُوي عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جدّه عن الحسين ابن عليّ قوله: «**إذا صاح النسر، قال: يا بن آدم، عش ما شئت آخره الموت. وإذا صاح العقاب، قال: في البعد من الناس أُنس. وإذا صاح القنبر، قال: إلهي العن مبغضي آل محمد. وإذا صاح الخطاف، قرأ: الحمد لله ربِّ العالمين. ويمدّ الضآلين كما يمدّ القارئ**»[4].

وذكر الرازي أنّه رُوي عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام أنّه قال: «**إذا عملت خيراً فحدِّث إخوانك؛ ليقتدوا بك**»[5].

وذكر صاحب تفسير الفتح القدير أنّ الديلمي أخرج عن الحسين بن علي مرفوعاً: «**لو علم الله شيئاً من العقوق أدنى من أفٍّ لحرّمه**»[6].

---

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف: ج٤، ص٤٥.
(٢) الأعراف: آية١٩٩ـ٢٠٠.
(٣) التوحيدي، علي بن محمد، البحر المحيط: ج٦، ص٢٢.
(٤) البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي: ج٦، ص١٤٩.
(٥) الرازي، عبد الرحمن بن محمد، القرآن العظيم: ج١٧، ص٨٦.
(٦) الشوكاني، محمد بن عبد الله، فتح القدير: ج٤، ص٢٩٩.

ثانياً: ما روي عن الإمام الحسين عن أبيه عن جدّه عليهم السلام

فقد ورد في الدرّ المنثور للسيوطي أنّه: «أخرج الطبراني وإسماعيل بن عبد الغافر الفارسي في الأربعين والبيهقي، عن الحسين بن علي، قال: كنّا على مائدة أنا وأخي محمد ابن الحنفية، وبني عمِّي عبد الله بن عباس، وقثم، والفضل، فوقعت جرادة، فأخذها عبد الله بن عباس، فقال للحسين: تعلم ما مكتوب على جناح الجرادة؟ فقال: سألت أبي فقال: سألت رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، فقال لي: على جناح الجرادة مكتوب: إنّي أنا الله، لا إله إلّا أنا ربُّ الجرادة ورازقها، إذا شئت بعثتها رزقاً لقوم، وإن شئت على قوم بلاء. فقال ابن عباس: هذا والله من مكنون العلم»[1].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾[2]. أورد الثعلبي: «عن الإمام الحسين ابن علي عن أبيه علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): عليكم بالعدس؛ فإنّه مبارك مقدّس، وإنّه يُرقق القلب ويُكثر الدمعة، وإنّه بارك فيه سبعون نبيّاً آخرهم عيسى»[3].

وذكر الثعلبي أنّه أخبره ابن السري النحوي في (درب حاجب) قال: «أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد العماني، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عامر، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثني علي بن موسى الرضا، قال: حدّثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدّثني أبي جعفر بن محمد، قال: حدّثني أبي محمد بن علي، قال: حدّثني أبي علي بن الحسين، قال: حدّثني أبي الحسين بن علي، قال: حدّثني أبي علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إنّ الله (عزّ وجل) قدّر المقادير ودبّر التدبّر قبل أن يخلق آدم بألفي عام»[4].

---

(١) السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور: ج٤، ص٢٩٢.

(٢) البقرة: آية٦١.

(٣) الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان: ج١، ص١٤٥.

(٤) المصدر السابق: ج١٣، ص٥٦.

وذكر أيضاً أنّه أخبره «أحمد بن السري العروضي في درب الحاجب، أخبرنا محمد بن عبد الله بن أحمد بن جعفر العماني، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي، حدّثني أبي، حدّثنا علي بن موسى الرضا، حدّثنا أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله: عليكم بحسن الخُلق، فإنّ حسن الخُلق في الجنّة لا محالة، وإيّاكم وسوء الخُلق، فإنّ سوء الخُلق في النار لا محالة»[1].

وقال أيضاً: «أخبرنا يعقوب بن أحمد بن السهمي العروضي في درب الحاجب، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله العثماني، قال: حدّثنا أبو القاسم الطائي، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني علي بن موسى الرضا، قال: حدّثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدّثني أبي جعفر ابن محمد، قال: حدّثني أبي محمد بن علي، قال: حدّثني أبي علي بن الحسين، قال: حدّثني أبي الحسين بن علي، قال: حدّثني أبي علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): مَن قرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾[2]. أربع مرّات كان كمَن قرأ القرآن كلّه»[3].

وقال أيضاً: «حدّثنا أبو الحسن محمد بن علي بن الحسين بن القيّم الحسني السُّني، قال: حدّثنا أحمد بن علي بن مهدي بن صدقة بالرملة، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثنا علي ابن موسى الرضا، قال: حدّثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدّثني أبي جعفر بن محمد، قال: حدّثني أبي محمد بن علي، قال حدّثني أبي علي بن الحسين، قال: حدّثني أبي الحسين ابن علي، قال: حدّثني أبي علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) في قول سبحانه: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[4]، قال: الرطب والماء البارد»[5].

(١) المصدر السابق: ج١٣، ص٣٣٢.
(٢) الزلزلة: آية١.
(٣) الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان: ج١٤، ص١٨٢.
(٤) التكاثر: آية٨.
(٥) الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان: ج١٤، ص١٩٩.

وروى البغوي قائلاً: «أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، أنبأنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أنبأنا علي بن الحسين: أنّ الحسين بن علي أخبره: أنّ عليّاً أخبره: أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) طرقه وفاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ليلة، فقال: ألا تصلِّيان؟ قلت: يا رسول الله، إنّ أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) حين قلت له ذلك، ولم يرجع إليّ شيئاً، ثمّ سمعته وهو مولٍّ يضرب فخذه، وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾[1]»[2].

ثالثاً: ما روي عنه عن جدّه صلى الله عليه وآله

وروى ابن كثير عن أحمد بن حنبل، أنّه قال: «حدّثنا عبد الملك بن عمرو وأبو سعيد [قالا]: حدّثنا سليمان بن بلال، عن عمارة بن غَزِيّة، عن عبد الله بن الحسين، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي: أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قال: البخيل مَن ذُكرت عنده، ثمّ لم يصلِّ عليّ. وقال أبو سعيد: فلم يصلِّ عليّ.

ورواه الترمذي من حديث سليمان بن بلال، ثمّ قال: هذا حديث حسن غريب صحيح، من الرواة مَنْ جعله من مسند (الحسين بن علي)، ومنهم مَن جعله من مسند (علي) نفسه»[3].

وذكر السيوطي: «أنّ أحمد وابن ماجة والبيهقي أخرجوا في شعب الإيمان عن الحسين بن علي، عن النبي (صلّى الله عليه وسلّم) قال: ما من مسلم يُصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها، فيحدث لذلك استرجاعاً إلّا حدد الله له عند ذلك، فأعطاه مثل أجرها يوم أُصيب»[4].

---

(١) الكهف: آية ٥٤.

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي: ج٥، ص١٨٢.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم: ج٦، ص٤٦٧.

(٤) السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور: ج١، ص٣١٢.

وذكـر أيضـاً: «أنّ أحمد وأبـا داوود وابن أبي حاتم أخرجوا عن الحسـين بن علي، أنّه قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): للسائل حقّ، وإن جاء على فرس»[1].

و«أخرج أبو يعلى والطبراني وابن السـنّي وابن عدي وأبو الشـيخ وابن مردويه، عن الحسـين بن علي، قال: قال رسـول الله (صلّى الله عليه وسـلّم): أمان لأُمّتي من الغرق إذا ركبوا في السـفن أن يقولوا: بسـم الله الملك الرحمـن، ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2]، ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾[3]، إلى آخر الآية»[4].

و«أخرج أحمد والترمذي عن الحسـين بن علي (رضي الله عنه): أنّ رسـول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، قال: البخيل مَن ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليّ»[5].

وذكر الثعلبي: «أنّ الإيمان لا يتمّ ولا يقوم إلّا بثلاثة أشـياء: تصديق بالقلب، وقول باللسـان، وعمل بالأبدان. يدلّ عليه ما روى جعفر بن محمد، عن أبيه علي بن الحسـين، عـن أبيه الحسـين بن عـلي بن أبي طالب، قـال: قال رسـول الله (صلّى الله عليه وسـلّم): الإيمان: تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالإيمان»[6].

وذكر ابن الأثير عن الطبراني أنّه قال: «حدّثنا مَسْعَدَة بن سَعْد العطار المكّي، حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزامي، حدّثنا إسـحاق بـن إبراهيم مولى جميع بن حارثة الأنصاري، حدّثنا عبد الله بن ماهان الأزدي، حدّثني فائد مولى عبيد الله بن أبي رافع، حدّثتني سُكينة بنت الحسين بن علي، عن أبيها، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): حملة القرآن عُرَفاء أهل الجنة يوم القيامة»[7].

---

(١) المصدر السابق: ج١، ص٣٤٥.
(٢) هود: آية٤١.
(٣) الزمر: آية٦٧.
(٤) السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور: ج٥، ص٣٠٦.
(٥) المصدر السابق: ج٨، ص٢٠٣.
(٦) الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان: ج٧، ص٣١٧.
(٧) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم: ج١، ص٩٦.

ونقل ابن كثير عن أحمد بن حنبل قوله: «حدّثنا يزيد، وعَبّاد بن عباد، قالا: حدّثنا هشام بن أبي هشام، حدّثنا عباد بن زياد، عن أُمّه، عن فاطمة ابنة الحسين، عن أبيها الحسين بن علي، عن النبي (صلّى الله عليه وسلّم) قال: ما من مسلم ولا مسلمة يُصاب بمصيبة فيذكرها، وإن طال عهدها ـ وقال عبّاد: قدم عهدها ـ فيحدث لذلك استرجاعاً، إلّا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أُصيب.

ورواه ابنُ ماجه في سُنَنه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وَكِيع، عن هشام بن زياد، عن أُمّه، عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها [الحسين].

وقد رواه إسماعيل بن عُلَية، ويزيد بن هارون، عن هشام بن زياد عن أبيه، كذا عن، فاطمة، عن أبيها»[1].

و«حدث ابن كثير، عن وَكِيع وعبد الرحمن، أنّهما قالا: حدّثنا سفيان، عن مصعب ابن محمد، عن يعلى بن أبي يحيى، عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها الحسين بن علي، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): للسائل حقّ وإن جاء على فرس»[2].

ومثله ما أورده الآلوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾[3]، قائلاً: «أي: الطالبين للطعام، سواء كانوا أغنياء إلّا أنّ ما عندهم لا يكفي لحاجتهم، أو فقراء، كما يدلّ عليه ظاهر ما أخرجه الإمام أحمد وأبو داوود وابن أبي حاتم، عن الحسين بن علي (رضي الله تعالى عنهما)، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): للسائل حقّ وإن جاء على فرس. فإن الجائي على فرس يكون في الغالب غنياً، وقيل: أراد المساكين الذين يسألون فتعرف حالهم بسؤالهم، والمساكين... الذين لا يسألون وتعرف حاجتهم بحالهم، وإن كان ظاهرهم الغنى؛ وعليه يكون التقييد في الحديث لتأكيد رعاية حقّ السائل، وتحقيق أنّ السؤال سبب للاستحقاق، وإن فرض وجوده من الغني كالقرابة واليتم»[4].

---

(١) المصدر السابق: ج١، ص٤٦٩.

(٢) المصدر السابق: ج٧، ص٤١٨.

(٣) البقرة: آية١٧٧.

(٤) الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني: ج٢، ص١٠٦.

وذكر القرطبي عن مروان بن سالم: «**أنّه روى عن طلحة بن عبيد الله بن كريز، عن الحسين بن علي عن النبي (صلّى الله عليه وسلّم) قال: أمان لأُمّتي من الغرق إذا ركبوا في الفلك: بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]»[3].

وروى أيضاً عن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنّه قال: «**سمعت جدّي رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) يقول: أدِّ الفرائض تكن من أعبد الناس، وعليك بالقنوع تكن من أغنى الناس، يا بني إنّ في الجنة شجرة يُقال لها: شجرة البلوى، يُؤتى بأهل البلاء فلا يُنصب لهم ميزان، ولا يُنشر لهم ديوان، يُصبّ عليهم الأجر صبّاً، ثمّ تلا النبي (صلّى الله عليه وسلّم)**: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4]»[5].

خاتمة البحث

تابع الباحث كتب التفسير عند العامّة، واستقرأ أغلب ما ورد فيها من مرويات عن الإمام الحسين عليه السلام في القراءات والتفسير وسواهما، مُصنِّفاً إيّاها بحسب موضوعاتها العامّة، ولعلّ أهم ما توصّل إليه البحث ما يأتي:

١ـ وجد الباحث أنّ عدداً لا يُستهان به من المرويّات عن الإمام الحسين عليه السلام قد رويت عنه عليه السلام بلا سند للرواية، لذا هي بحاجة إلى التحقيق فيها، والتثبّت منها؛ ليتيقن من ورودها عنه عليه السلام، ثمّ اعتمادها نصّاً معيّناً في تفسير القرآن.

٢ـ لم تخلُ أغلب التفاسير من ذكر القراءات القرآنية لألفاظ القرآن، ونسبتها إلى

(١) الزمر: آية٦٧.
(٢) هود: آية٤١.
(٣) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج٩، ص٣٣.
(٤) الزمر: آية١٠.
(٥) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج١٥، ص٢١١.

قرّائها، والتعليق عليها، وبيان المعاني التي تؤدّيها، ومنها القراءات المنسوبة إلى الإمام الحسين عليه السلام، فقد رووا عنه عدداً من القراءات القرآنية، مُعلِّقين عليها، ذاكرين المعنى الذي أدّته.

٣ـ تتعدّد الآراء التفسيرية في كتب التفسير باختلاف المفسّرين واختلاف مشاربهم، ويحاول أغلب المفسّرين أن يحيط بأغلب ما ذكره الأئمّة والصحابة والتابعون في تفسير لفظة أو عبارة قرآنيتين، وممّن روى عنهم المفسّرون الإمامُ الحسين عليه السلام؛ إذ استشهدوا بعدد من الروايات المروية عنه في بيان معنى كلمة أو عبارة قرآنية، أو سبب نزول آية، أو فيمَن نزلت الآية.

٤ـ لم يتعامل مفسّرو العامّة مع مرويات الإمام الحسين عليه السلام على أنّها ملزمة ومقدمة على غيرها في التفسير، وإنّما نظروا إليها على أنّها رأي من الآراء التي وردت في تفسير الألفاظ أو الآيات القرآنية، فتراهم يُقدِّمون عليه غيره في تسلسل ذكر الآراء، وقد يخالفونه الرأي في مواضع.

٥ـ وجد الباحث عدداً لا يُستهان به من الأحاديث المروية عن الإمام الحسين عليه السلام فيما لا يرتبط بالقراءات ولا بالتفسير، وإنّما هي أحاديث يُؤتى بها للاستئناس بقوله عليه السلام فيما يدعم آراء المفسّرين، أو زيادة في توضيحها، ومنها ما يتعلّق بمسائل تأريخية أو أخلاقية، وهذه الروايات منها ما هو مروي عن الإمام مباشرة، ومنها ما روي عنه عن أبيه عن جدّه (عليهم الصلاة والسلام)، ومنها ما روي عنه عن جدّه مباشرة.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١ ـ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (١٩٨٨م).

٢ ـ أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، الدكتور محمد سمير نجيب البدري، دار الكتب الثقافية، الكويت، ط١، (١٩٧٨م).

٣ ـ أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٤ ـ البحر المحيط، أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.

٥ ـ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط٢، (١٩٧٢م).

٦ ـ البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، إيران، (٢٠٠٣م).

٧ ـ تاج العروس عن جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر، (١٣٠٦هـ).

٨ ـ تاريخ القرآن، الدكتور محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، (١٩٩٩م).

٩ ـ تاريخ القرآن وعلومه، الدكتور سيروان عبد الزهرة الجنابي، دار الأمير، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، (٢٠١٥م).

١٠ ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمّ الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

١١ ـ تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، (ط٣، ١٤١٩هـ).

١٢ ـ تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

١٣ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

١٤ ـ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

١٥ ـ جامع لطائف التفسير، عبد الرحمن بن محمد القماش.

١٦ ـ الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٧ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٥هـ).

١٨ ـ زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، (١٤٢٢هـ).

١٩ ـ فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، ط١، (١٤١٤هـ).

٢٠ ـ في الأدب الجاهلي، الدكتور طه حسين، دار المعارف بمصر، القاهرة، (١٩٥٨م).

٢١ ـ القراءات القرآنية المنسوبة لأهل البيت وآثارها، رسالة ماجستير، مؤمل جواد، كلية الفقه/ جامعة الكوفة، (٢٠١٥م).

٢٢ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، (١٤٠٧هـ).

٢٣ ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأُستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

٢٤ ـ لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت، د.ت.

٢٥ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢٢هـ).

٢٦ ـ معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

٢٧ ـ مقدمات في علم القراءات، محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور، دار عمار، عمان ـ الأردن، ط١، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٢٨ ـ مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

٢٩ ـ منهج النقد في التفسير، الدكتور إحسان الأمين، دار الهادي، بيروت، ط١، (٢٠٠٧م).

٣٠ ـ نكت الانتصار، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني المالكي(ت٤٠٣هـ)، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، (١٩٧١م).

الترغيب والترهيب
منهجٌ تربوي للقرآن الكريم وللإمام الحسين عليه السلام

أ. د. فاطمة عبد الأمير الفتلاوي*

م. د. زهـراء رءوف المـوسـوي**

المبحث الأوّل: تعريفات

تعريف الترغيب لغة واصطلاحاً

يُقصد بالترغيب في اللّغة: طلب الشيء والحرص عليه والطمع فيه[1]. وكذلك يعني التشويق والحث على فعل الشيء والرغبة والسؤال والطمع، ورَغَّبَه، أي: أعطاه ما رغب[2].

وفي الاصطلاح: كلّ ما يشوّق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحقّ والثبات عليه[3].

وعرّف النحلاوي الترغيب: «**هو وعدٌ بصحبة تحبيب، وإغراء بمصلحة أو لذّة أو متعة آجلة مؤكّدة، خيرة خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذّة ضارّة، أو عمل شيءٍ ابتغاء مرضات الله، وذلك رحمة من الله لعباده**»[4].

---

* جامعة بغداد/ كلّية التربية للعلوم الصرفة (ابن الهيثم).

** الجامعة المستنصرية/ كلّية التربية الأساسية.

(١) أُنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللّغة: ج٢، ص٤١٥.

(٢) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٤٢٢.

(٣) أُنظر: زيدان، عبد الكريم، أُصول الدعوة: ص٤٣٧.

(٤) النحلاوي، أُصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع: ص٢٨٧.

تعريف الترهيب لغة واصطلاحاً

يقصد بالترهيب لغة: الخوف والفزع[1].

وأمّا في الاصطلاح: فكلّ ما يخيف المدعو ويحذّره من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[2].

وعرّفه النحلاوي: عبارة «**عن وعيد وتهديد بعقوبة، تترتّب على اقتراف إثم أو ذنب ممّا نهى الله عنه، أو التهاون في أداء فريضة ممّا أمر الله به**»[3].

تعريف المنهج لغة واصطلاحاً

ورد في قواميس اللّغة أنّ كلمة (منهج) تدلّ على الطريق الواضح المستقيم.

قال ابن فارس: «**النون والهاء والجيم أصلان متباينان، الأوّل: النهج، الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج والمنهج: الطريق أيضاً...**»[4].

وقال في الصحاح: «**النهج: الطريق الواضح، وكذا المنهج والمنهاج، وأنهج الطريق، أي: استبان، وصار نهجاً واضحاً بيّناً، ونهجت الطريق: إذا أبنته وأوضحته**»[5].

وأمّا اصطلاحاً: «**هو مجموعة الركائز والأُسس المهمّة التي توضّح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأُمّة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كلّ منهم**»[6].

تعريف التربية لغة واصطلاحاً

إذا رجعنا إلى معاجم اللّغة العربية وجدنا لكلمة التربية أُصولاً لغوية ثلاثة:

---

(١) أُنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللّغة: ج٢، ص٤٤٧.

(٢) أُنظر: زيدان، عبد الكريم، أُصول الدعوة: ص٤٣٧.

(٣) النحلاوي، أُصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع: ص٢٨٧.

(٤) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللّغة: كتاب النون.

(٥) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح: ص٦٨١.

(٦) عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأُصولي، مجلة البحوث الإسلامية: العدد٥٨، ص٣٠٠.

الأصل الأوّل: رَبا يربو بمعنى: زادَ ونما، فتكون التربية هنا بمعنى النمو والزيادة، كما في قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[1]، ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[2]، ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾[3].

الأصل الثاني: رَبى يربي على وزن خفى يخفي، وتكون التربية بمعنى: التنشئة والرعاية، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[4]، ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[5].

الأصل الثالث: ربّ يربّ بوزن مدّ يمدّ بمعنى: أصلح الشيء، وتولّى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه.

وأمّا تعريف التربية اصطلاحاً، فهي: العمل الذي يساعد الكائن الحي على أن ينمّي استعداداته الجسمية والفكرية، ومشاعره الاجتماعية والجمالية والأخلاقية؛ من أجل إنجاز مهمّته الإنسانية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً[6].

وكذلك تعني عملية التدريب والاكتساب التي ينمو الكائن البشري بفعاليتها، ليصل إلى درجة الكمال الممكن في جسمه وعقله وروحه وسلوكه الاجتماعي[7].

أي: إنّ التربية تعني المؤثّرات الموجّهة، التي يراد منها أن تصوغ الإنسان وتوجّه سلوكه نحو الأفضل في كلّ نواحي الحياة، فتشمل حينئذٍ كلّ العوامل والأساليب التي تدخل في نطاق الفعاليات التهذيبية، والتمارين التي يتمّ اكتساب فضائل الحياة

---

(١) البقرة: آية٢٧٦.
(٢) الحج: آية٥.
(٣) الروم: آية٣٩.
(٤) الشعراء: آية١٨.
(٥) الإسراء: آية٢٤.
(٦) أُنظر: توق، محيي الدين، وعدس، عبد الرحمن، أساسيات علم النفس التربوي: ص٦ـ١٤.
(٧) أُنظر: الرفيعي، عبد الرحمن، وصلاح مراد، مقدّمة في التربية وعلم النفس: ص١٢.

بموجبها، لذا فإنّ التربية هي النشاط الحياتي الذي يكسو الحياة الخير والصلاح[1].

وأمّا مفهوم التربية في كلام الأئمّة المعصومين عليهم السلام فهي لا تشتمل على تربية الأطفال فقط، بل تشمل تربية الأُمّة الإسلامية جمعاء في كلّ أشكالها، كتربية الأصحاب، وتربية الأزواج، وإنّ حياة أئمّة أهل البيت عليهم السلام حافلة بتربية وتعليم وتوجيه المسلمين إلى التقرّب إلى الله تعالى، والترغيب فيه، والحثّ على طاعته، فهم يتوسّلون لذلك بكلّ السبل، وشتّى الوسائل، ولم يقتصر برنامجهم التثقيفي على إلقاء الدروس فقط، بل تضمن السلوك العملي بالإضافة إلى الخطب، والوصايا، والكتب، كما حفظ لهم التاريخ بعض كلماتهم القصار، وهي لا تساويها مطوّلات غيرهم؛ لما اشتملت عليه من كنوز المعرفة، وعلاج الكثير من أمراضنا الاجتماعية، والدعوة إلى الحقّ والفضيلة، ففي أحاديث الإمام الحسين عليه السلام في التربية والأخلاق حين سُئل عن خير الدنيا والآخرة فكتب عليه السلام: «**بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعدُ، فإنّه مَنْ طلب رضا الله بسخط النّاس كفاه الله أُمور النّاس، ومَنْ طلب رضا النّاس بسخط الله وكله الله إلى النّاس، والسّلام**»[2]، وسُئل عن معنى الأدب فقال: «**هو أن تخرج من بيتك فلا تَلقى أحداً إلّا رأيت له الفضلَ عليك**»[3].

المبحث الثاني: الترغيب والترهيب

إنّ الدين الإسلامي يشتمل على أكمل المناهج للحياة الإنسانية، ويحتوي على ما يسوق البشرية إلى السعادة والرفاه، هذا الدين عُرفت أُسسه وتشريعاته عن طريق القرآن الكريم، وهو ينبوعه الأوّل، ومعينه الذي يترشّح منه، والقوانين الإسلامية التي تتضمّن سلسلة من المعارف الاعتقادية والأُصول الأخلاقية والعملية، نجد منابعها الأصيلة في آيات القرآن العظيم.

---

(١) أُنظر: الكرباسي، محمد صادق، الظواهر التربوية في أشعار دائرة المعارف الحسينية: ص٢٧.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص١٦٧.

(٣) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٨٩٥.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[2]، فالترغيب والترهيب يُكمّل أحدهما الآخر، فالترهيب يُستخدم في علاج السلوك المنحرف، وذلك أنّ النفس إن لم تؤدّب انقادت إلى الأهواء، ففسدت في طبعها، وأصبح الترهيب في هذه الحالة ضرورة ملحّة، وكذلك الترغيب فهو ضروري حتى تتوازن النفس؛ لأنّ الترغيب معناه الأمل والرجاء في وعد الله، وكلّما عملت النفس عملاً خيراً، كان لا بدّ من تبيان ثماره وعطاياه ومنحه[3].

ولهذين الأُسلوبين أُسسهما النفسية، فهما يعتمدان على إثارة الانفعالات، ومنها المحبّة والخشوع والرجاء والخوف، وفيهما أيضاً موازنة بين العواطف، فلا يطغى الخوف على الأمل، فيقنط المذنب من عفو الله ورحمته.

وهما أُسلوبان مناسبان لطبيعة النفس الإنسانية، فالإنسان يخاف ويرجو، ويحبّ ويكره، فضلاً عن ذلك، فإنّ هذين الأُسلوبين مناسبان للفروق الفردية، فمن الناس مَن يصلح معه الترغيب، والثواب، ومنهم مَن يصلح معه الترهيب والعقاب لتعديل سلوكه، وتعليمه، ومنهم مَن يحتاج إلى الأُسلوبين معاً[4].

وعليه، فإنّ أُسلوبي الترغيب والترهيب من الأساليب المؤثّرة نفسياً في مختلف الأفراد، ويكون ذلك عن طريق الإيحاء والتحفيز، وإثارة نوازع الخير في النفس البشرية، واستغلال ميولها الفطرية فيما يفيدها ويحقّق سعادتها وسرورها، ويجنّبها ما يؤذيها ويكون مصدر شقاقها وآلامها[5].

---

(١) الإسراء: آية٩.

(٢) النحل: آية٨٩.

(٣) أُنظر: الشرقاوي، حسن، الأخلاق الإسلامية: ص١٥٩، وص١٦٠

(٤) أُنظر: الهاشمي، عبد الرحمن عبد علي، الترغيب والترهيب أُسلوب إسلامي في التعليم خصائصه وأُسسه النفسية، (ملخّص بحث، جامعة بغداد/ كلية التربية ـ ابن رشد): ص٤٠.

(٥) أُنظر: عبد الله، عبد الرحمن صالح، المرجع في تدريس علوم الشريعة: ص٢٢٦.

كما أنّ طبيعة الترغيب والترهيب في المنهج الإسلامي تتّسم باللامحدودية، فنجد القرآن الكريم إذا وضع مشوّقاً للسلوك الحسن، فإنّ هذا المشوّق ليس مجرّد جائزة تقديرية يزول أثرها في الحياة الدنيا، وليس درجة فخرية يتلاشى سرورها فور استلام مرسومها، بل هو يسمو إلى أن يبلغ درجة أعظم من ذلك دائمة وثابتة، وفي المقابل حين يضع القرآن الكريم مثبّطاً عن السلوك السيّئ، سواء كان وقائياً أو علاجياً؛ فإنّه يجعل العقاب المادي حميماً وجحيماً، وكذلك العقاب المعنوي، فهو إعراض الله وسخطه، وهذا ممّا لا يطيق بشر أن يتحمّله[1].

وممّا يزيد فاعلية الترغيب والترهيب في التربية الإسلامية، كونهما يتعاملان مع جوانب عديدة في الإنسان، فلا يخاطبان عقله فقط، وإنّما يناشدان روحه، ويلمسان وجدانه؛ فيدخلان النفس الإنسانية من منافذها، كما أنّهما يستندان إلى رصيد من الإيمان، وكلّما كان هذا الرصيد أكبر زاد تأثيرهما وقوي[2].

منهج الترغيب والترهيب في القرآن

إنّ للقرآن الكريم أهدافاً أساسية إذا عرفناها عرفنا بعض جوانبه الغامضة علينا، ومن أهدافه الأساسية تربية الإنسان وتزكيته وتعليمه وإصلاحه، وقد أشار إلى هدفية التزكية والتعليم بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3]، فالآيات التي تُتلى على الأُميين تهدف إلى تزكيتهم، ثمّ تعليمهم الكتاب والحكمة، فالتزكية هي تنظيف النفس البشرية من رواسبها الجاهلية، سواء كانت من نوع الأفكار الباطلة، أو المعتقدات الفاسدة، أو الأخلاق السيّئة.

(١) أُنظر: كحالة، عمر: ج١، ص٦٢.
(٢) أُنظر: الأغا، ١٩٨٦: ص٦٢.
(٣) الجمعة: آية٢.

والتزكية مشتقّة من الزكاة وهي الطهارة، وأساس التزكية تقوية الإرادة والتحكّم في الأهـواء والشـهوات، بينما يهـدف التعليـم إلى إضافة المعارف الجديدة للإنسـان؛ لدفـع عجلـة البشر إلى الأمـام، وهذا يُشـبه إلى حدٍّ كبـير العلاقة بـين تنظيف أرض زراعية من الأدغال والحشـائش الضارّة، لتتسـنّى زراعتها بالبذور المفيدة والأشجار المثمرة، فالشجرة المثمرة هي العلم، ولكنّه لا ينفع من دون تنظيف الأرض الإنسانية وصفحة النفس من الأخلاق الفاسـدة والأفكار الباطلة، وهنا تكمل عملية التزكية والتعليـم، وتأتي الواحـدة متمّمة للأُخرى، وبهذا الجمع بـين التزكية والتعليم يوجّه القرآن الناس إلى الحقّ، وهذه وسيلة تربوية تدعونا إلى التدبّر في آيات الله تعالى؛ لأنّها حقائـق تربوية يتعرّض لهـا كتاب الله، لتثبيت المسـؤولية الشـخصية في نفوس الأُمّة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[1].

فهذا القانون الاجتماعي الذي تُشير إليه هذه الآية يربط بين الحضارة وبين تطوير الصفات النفسـية، ويقول: كلّما كان بناء قوم أكثر من هدمهم تقدّمت بهم الحضارة، ولا يكثر البناء على الهدم على صعيد الواقع إلّا بعد وجود نفسـيّة مناسـبة على صعيد الذات، وهذا أُسـلوب تربوي يتّبعه القرآن الكريم في تزكية النفس بما يتناسـب معها من الآثار العاطفية والتوجّه الفكري والزخم الإيماني، إنّه أُسـلوب يربط بين الفكرة الموظفة والهدف المنشود.

فهـذا الأُسـلوب التربوي وغيره من الأسـاليب التـي يتّبعها القـرآن الكريم تُعد مناهـج علميـة للتربية سـبق البشرية جميعاً في اسـتخدامها، ومنها أُسـلوب الترغيب والترهيب الذي يدفع بالإنسان إلى عالم الرقي والكمال المنشود، ومنهج القرآن قاعدة شـاملة ننطلـق منهـا إلى تربية النفـس والمجتمع، والتوصّـل إلى النظـام الكوني الأتمّ والأشمل، فالمهندس القدير مثلاً ينطلق من النظر إلى عمارة واحدة إلى معرفة القاعدة

(١) الرعد: آية١١.

الهندسية التي قامت وفقها هذه العمارة، والطبيب الحاذق يستشف من وصفة طبّية القاعدة العلمية التي استند إليها ذلك الذي كتبها، وهكذا.

وآيات القرآن الكريم حافلة بأُسلوب الترغيب والترهيب المباشر وغير المباشر، فمرّة يتحدّث القرآن عن آيات يذكر فيها الجزاء والثواب والعقاب، فيرغّب في الثواب ويرهّب من العقاب، ومرّة يذكر العاقبة الحسنة للذين يخافون من الله تعالى، ومرّة يذكر العاقبة السيّئة للذين لا يخافون، بل يتعدّون حدوده تعالى، ولا يرغبون فيما عنده، ويذكر طريقة عقابهم في الدنيا والآخرة نتيجة أعمالهم السيّئة، ومرّة يذكر الذين يخافون والذين يرغبون ذكراً مباشراً، كلّ ذلك هو اتّباع لمنهج تربوي لصقل روح الإنسان وبنائه، وبيان الآثار التربوية لهذا المنهج، يقول تعالى في سورة الأنبياء: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[1].

فظاهر السياق أنّ ضمير الجمع في الآية يعود إلى بيت زكريا، وكأنّه تعليل لمقدّر معلوم من سابق الكلام، والمعنى أنّنا أنعمنا عليهم؛ لأنّهم كانوا يسارعون في الخيرات من الأعمال، ويدعوننا رغبةً في رحمتنا أو ثوابنا، ورهبةً من غضبنا أو عقابنا، ويدعوننا راغبين راهبين، وكانوا لنا خاشعين بقلوبهم[2].

وقد أشار الله (سبحانه) إلى ثلاث صفات من الصفات البارزة لهذه الأُسرة، وهي الخشوع الذي هو الخضوع المقرون بالاحترام والأدب، وكذلك الخوف المشفوع بالإحساس بالمسؤولية ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[3]، فإنّ ذكر هذه الصفات الثلاث ربّما يكون إشارة إلى أنّ هؤلاء عندما يصلون إلى النعمة لا يبتلون بالغفلة والغرور كما في الأشخاص المادّيين من

(١) الأنبياء: آية ٩٠.

(٢) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان: ج١٤، ص٥١٨.

(٣) الأنبياء: آية ٩٠.

ضعفاء الإيمان، فهؤلاء لا ينسون الضعفاء والمحتاجين، بل يسارعون في الخيرات، ويتوجّهون إلى الله سبحانه في حال الفقر والغنى، والمرض والصحّة، فلا يبتلون بالكبر؛ لأنّهم كانوا خاضعين خاشعين أبداً[1].

فمن هذا المقطع من الآية نلاحظ المنهج التربوي للخوف والرهبة من الله تعالى، وكذلك الرغبة فيما عنده، وهما يدفعان بالإنسان إلى التحلّي بالأخلاق الحميدة وكسبها، ممّا يكون بناء يأخذ بيده إلى أعلى مراتب الرقي والسمو النفسي.

وقد ذكر القرآن الكريم في آية أُخرى من سورة البقرة منهجاً إلهياً للبشرية، يقول فيه موجّهاً الخطاب لبني إسرائيل: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[2]، فقد ذكر سبحانه أوامر ثلاثة في هذه الآية، وهي: تذكر النعم الإلهية، والوفاء بالعهد، والخوف من الله، فتَذَكُّر النعم الإلهية يحفّز الإنسان للاتّجاه نحو معرفة الله سبحانه، وهو المنعم، وشكره، واستشعار العهد الإلهي الذي يستتبع النعم الإلهية يدفع الكائن البشري إلى النهوض بمسؤولياته وواجباته، ثمّ الخوف من الله وحده ـ دون سواه ـ يمنح الإنسان العزم على تحدّي كلّ العقبات التي تقف بوجه تحقيق أهدافه، والالتزام بعهده؛ لأنّ التخوّف الموهوم من هذا وذاك من موانع الالتزام بالعهد الإلهي، فالرهبة من الله تكسر كلّ حواجز الخوف من غيره، وقد تقدّم ضمير النصب المنفصل (إياي) على جملة (فارهبون) للحصر، أي: حصر الخوف بالخوف من الله وحده دون سواه[3].

وقد ذكر القرآن الكريم في سورة الشرح خطاباً للنبي صلى الله عليه وآله في الترغيب، حيث قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾[4]، وهذا الخطاب متفرّع على تحميله صلى الله عليه وآله

(١) أُنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل: ج٨، ص٣٢٠.
(٢) البقرة: آية٤٠.
(٣) أُنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل: ج١، ص١٥٢.
(٤) الشرح: آية٨.

الرسالة والدعوة منه تعالى، بما منّ عليه من شرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، وكلّ ذلك من اليسر بعد العسر، وعليه فالمعنى: إذا كان العسر يأتي بعده اليسر، والأمر فيه إلى الله لا غير، فإذا فرغت ممّا فرض عليك فأتعب نفسك في الله بعبادته ودعائه، وارغب فيه؛ ليَمنّ عليك بما لهذا التعب من الراحة، ولهذا العسر من اليسر.

فهذه دعوة وترغيب من الله تعالى لنبيّه فيما عند الله تعالى؛ لكي يقاوم النبي صلى الله عليه وآله المصاعب التي كانت تواجهه في تبليغ الدعوة والنهوض بها، وهذا المنهج قد اتّبعه القرآن الكريم في أغلب آياته، سواء كان بصورة مباشرةً كما مرّ من آيات، أو غير مباشرة، وهو كثير في القرآن، ونراه مجسّداً في الآيات التي تتحدّث عن المؤمنين وجزائهم الدنيوي والأُخروي، والكافرين ونتيجة أعمالهم وعقابهم في الدنيا والآخرة، فتركيز الأُسلوب القرآني على شخصية المؤمن وجزائه ترغّب وتحفّز الآخرين على الاقتداء به، وجعله أُسوةً لهم؛ لينهض عملهم وتفكيرهم للأفضل والأكمل، وكذلك التركيز على شخصية الكافر أو المنافق وخاتمته، بل وكلّ طريقة عَيْشه؛ لينفر منه العقلاء، ويكون ذلك سبباً في اختيارهم للأفعال التي تسير بهم نحو الرقي، وفي سبيل الخير وأعمال المعروف.

نخلص من ذلك كلّه إلى تركيز القرآن الكريم على مسألة الجزاء، فهو يركّز على أنّ المعاصي تحبط الحسنات في الدنيا والآخرة كالارتداد، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، وكذلك الكفر والعناد يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[1]، ومن الطاعات يذكر ما يكفّر سيّئات الدنيا والآخرة، كالإسلام والتوبة يقول تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ

(١) آل عمران: آية٢٢

﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾[1]، ويذكر من الطاعات ما يكفّر بعض السيئات، ومن المعاصي ما يحبط بعض الحسنات، وما ينقلها من فاعلها إلى غيره كالقتل، قال تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾[2]، ويذكر القرآن الكريم من المعاصي ما ينقل مثل سيئات الغير إلى الإنسان، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3].

وغير ذلك كثيرٌ في القرآن الكريم، ممّا يبين عاقبة الذين كفروا وعاقبة الذين آمنوا، فالتأمّل والتدبّر في الآيات يُظهر أنّ في الأعمال من حيث المجازاة ـ أي: من حيث تأثيرها في السعادة والشقاء ـ نظاماً يخالف النظام الموجود بينها من حيث طبعها في هذا العالم، فعالم المجازاة ربما بدّل الفعل من غير نفسه، وربّما نقل الفعل وأسنده إلى غير فاعله، وربّما أعطى للفعل غير حكمه، إلى غير ذلك من الآثار المخالفة لنظم هذا العالم الجسماني، والقرآن يعلّل هذه الأحكام العجيبة الموجودة في الجزاء، كمجازاة الإنسان بفعل غيره، خيراً أو شرّاً، ويوضّحها بالقوانين العقلائية الموجودة في المجتمع، وفي سطح الأفهام للعامّة، وإن كانت بحسب الحقيقة ذات نظام غير نظام الحسن، فسينكشف للإنسان ما هو مستور عنه اليوم، يوم تُبلى السرائر، فالأُمّة الطالحة إذا غرقت في الرذائل والسيّئات أذاقها الله وبال أمرها، وآل ذلك إلى هلاكها وإبادتها، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾[4]، ويُشير إلى الأُمّة الصالحة كذلك بنفس الأُسلوب فيقول تعالى:

(١) الزمر: آية٥٥.
(٢) المائدة: آية٢٩.
(٣) النمل: آية٢٥.
(٤) غافر: آية٢١.

﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]، فالفرد والأُمّة يُؤخذ بالحسنة والسيّئة، وإنّ الفرد ربّما ينعم بنعمة أسلافه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[2]، كما أنّه يُؤخذ بمظالم غيره كآبائه وأجداده ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾[3].

وبالجملة، إذا أفاض الله على أُمّة نعمة أو على فرد من أفراد الإنسان، فإن كان المنعم عليه صالحاً كان ذلك نعمة أنعمها عليه، وامتحاناً يمتحنه بذلك، كما حكى الله تعالى عن سليمان؛ إذ يقول: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[4]، فالآية تدلّ على أنّ نفس الشكر من الأعمال الصالحة التي تستتبع النعم، فهذا يرغّب الإنسان في الاستزادة منه.

وإذا كان المنعم عليه طالحاً كانت النعمة مكراً في حقّه، واستدراجاً وإملاءً يُملَى عليه، يقول تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[5]، وهكذا في جميع جوانب القرآن الكريم الأُخرى.

المبحث الثالث: الترغيب والترهيب منهجٌ تربوي عند الإمام الحسين عليه السلام

يظلّ الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام يشغف القلوب، ويجذب النفوس، ويستهوي الأحرار، ويستقطب المؤمنين... لماذا؟ إنّه الحسين عليه السلام، وما أدراك ما الحسين عليه السلام! إنّه صاحب الفضائل والمناقب، صاحب المقامات والمعارج، الذي يتمنّى الإنسان لو تكون له واحدة منها لتكفيه شرفاً ورفعةً، وفخراً وعزّةً... ولكن ثمّة محور في حياة الإمام عليه السلام لا يمكن التغاضي عنه، وهو كربلاء؛ حيث إنّها كانت مجمع فضائل

(١) يوسف: آية ٩٠.
(٢) مريم: آية ٥٠.
(٣) النساء: آية ٩.
(٤) النمل: آية ٤٠.
(٥) القلم: آية ٤٥.

الإمام عليه السلام، وخلاصة معالم شخصيته، فمَن أراد أن يقرأ الإمام الحسين عليه السلام لا يمكنه ذلك من دون الوقوف على كربلاء.

إنّها ملحمة أهل بيت النبوة عليهم السلام في مقارعة الطغيان، ومواجهة الضلال، إنّها الفرقان بين الحقّ والباطل، إنّها الميزان في تشخيص الإيمان من الشرك والنفاق؛ من هنا كان الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام، من أي زاوية، لا بدّ أن يُقرن بكربلاء، ولهذا صارت كربلاء الوجه البارز لحياة الإمام عليه السلام، والباب الواسع الذي يدخله الناس إلى رحاب الحسين عليه السلام، وها نحن نقف على أعتاب باب الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، لنسلّط الضوء عبر سطور قليلة على منهج الإمام عليه السلام مع صحابته وأعدائه بالترغيب تارةً، والترهيب أُخرى؛ لنستلهم الدروس والعبر، فكلماته مدرسة لا يمكن الغياب عنها.

الحسين عليه السلام ومنهج الترهيب

في الأيّام التي التقى فيها الحسين عليه السلام الحر وهو يسايره، لم يترك الحسين عليه السلام إعلان منهجه الثوري، وكان عليه أن يعذر للقوم بما عنده من الحقائق، فخطب فيهم بصراحته المعهودة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة، وبتوعيتهم من جهةٍ أُخرى، فكشف لهم واقع النظام في الإثم والعدوان، وأعلن عن مكانته ودوره الرسالي، وشجب ظواهر الغدر والخيانة، واستنكر نقض العهد، وخلع البيعة، فقال: «**أيّها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَن رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعلٍ ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله.**

ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله. وأنا أحق مَن غيّر، وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليَّ رسلكم ببيعتكم، أنّكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم عليّ ببيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله

(صلّى الله عليه وسلّم) نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيّ أُسوة، وإن لم تفعلوا، ونقضتم عهدي، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري، ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي، والمغرور مَن اغترّ بكم، فحظّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم»[1].

وكان لهذا الخطاب دلالته الثورية القاطعة، وفيه التعبير عن مكنونات ضمير الحسين في اضطلاعه بمهمّة التغيير دون سواه، فقد أورد فيه رواية رسول الله صلى الله عليه وآله في ضرورة التغيير بالقول والعمل لمبتدعات السلطان الجائر، المستحلّ لحرام الله، والناكث لعهد الله، والمخالف لسنّة رسول الله، والعامل بالإثم والعدوان.

وشرح بالإشارة الموحية ما عليه الحكم الأُموي من التزامه طاعة الشيطان، وتركه طاعة الرحمن، مع ما عليه الحاكمون الجائرون، من إظهار الفساد وتعطيل الحدود، والاستئثار، وتحليل حرام الله وتحريم حلاله.

وصرّح لهم بقدره الرسالي، بصفته أحقّ مَن يجب عليه التغيير، باعتبار موقعه القيادي، وقد استجاب لأنّ كتبهم قدمت عليه بالبيعة على ألّا يسلّم ولا يُخذل.

وهو بعد أحدهم في المواساة، نفسه مع أنفسهم، وأهله مع أهاليهم، ووِلْده مع أولادهم، لا يميّز نفسه وآله عنهم في شيء، فكلّهم أُسرة واحدة[2].

هذا هو نهج حفيد رسول الله محمد صلى الله عليه وآله في الدعوة والإصلاح، وأمّا نهج الباطل فهو نهج الشرب والسكر، الذي كان في عهد الخلفاء في الخفاء، أمّا في عهد يزيد ابن معاوية فقد خرجت هذه الظاهرة من طور الكتمان إلى طور الإعلان والإجهار، وكان يزيد بن معاوية أوّل خليفة يعلن عن هذا المنكر، ويتحدّى بذلك مشاعر المسلمين[3].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٤.

(٢) أُنظر: جعفر، مهدي خليل، الموسوعة الكبرى لأهل البيت عليهم السلام (الإمام الحسين عليه السلام): ص١٣٦.

(٣) أُنظر: الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين: ج١، ص١٨٢، وأُنظر: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٧٨، نقلاً عن النهضة الحسينية ومأساة العطش: ص٧٨.

حينما أنهى الحسين عليه السلام صلاته، قال لبقية أنصاره: «**يا كرام، هذه الجنة فُتحت أبوابها، واتّصلت أنهارها، وأينعت ثمارها... وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله والشهداء الذين قُتلوا معه، وأبي عليه السلام يتوقّعون قدومكم، ويتباشرون بكم، وهم مشتاقون إليكم، فحاموا عن دين الله، وذُبّوا عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله**»[1].

فتناخى أنصار الحسين عليه السلام فتوةً، وتطاولوا بسالةً ورجولةً، وقالوا للحسين عليه السلام ولحرمه: «**نفوسنا لنفسك الفداء، ودماؤنا لدمك الوقاء، فوالله لا يصل إليك وإلى حرمك سوء وفينا عرق يضرب**»[2].

وكان استباق أنصار الحسين عليه السلام إلى القتال مبارزةً، فكلّ مَن أراد القتال يأتي إلى الحسين عليه السلام فيودّعه ويستأذنه في القتال، قائلاً: السلام عليك يا بن رسول الله، فيجيبه الحسين عليه السلام: وعليك السلام، ونحن خلفك، ويقرأ قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾[3].

أخذ أصحاب الحسين عليه السلام يسارعون إلى الميدان بحماس بالغ، فيقتلون ويقتلون واحداً تلو الآخر، على سبيل المبارزة تارةً وعلى سبيل الهجوم تارةً أُخرى، وبإزاء الدفاع بينهما، فكانت الملحمة الكبرى التي أتت عليهم جميعاً، وهم بين شاهرٍ سيفه، وطاعنٍ برمحه، ومسدّدٍ بسهمه في أفعالهم، وهم أيضاً ما بين تالٍ لقرآن، ومنذرٍ بالخطاب، ومرتجزٍ عند القتال في أقوالهم، وإذا اقترنت الأقوال بالأفعال، وتصافحت الضمائر والجوارح، وصدّق اللسان ما في الجنان، بلغ الهدف ذروته، وحقّق الرائد أُمنيته، وهكذا كان حالهم، فعمر بهم الميدان، حتى استؤصلوا بعد أن أبلوا في سبيل الله بلاءً حسناً، وعادوا مثلاً في المواساة والفداء.

---

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٥٣٦.

(٢) الشاكري، حسين، سيرة الإمام الحسين عليه السلام: ص١٢١.

(٣) الأحزاب: آية٢٣.

ولم يسلم من أنصار الحسين عليه السلام إلّا ثلاثة: الضحاك بن عبد الله المشرقي، وعقبة بن سمعان مولى الرباب، زوجة الإمام الحسين عليه السلام، والمرقع بن ثمامة الأسدي، كما ذكر ذلك الطبري، ووثّقه شمس الدين[1].

هذا هو النهج التربوي للإمام في تربية أهل بيته وصحابته، من هنا كان لزاماً علينا الاهتداء والاسترشاد بطريق الإمام الحسين عليه السلام؛ لتفعيل حركة الإصلاح في أنفسنا أوّلاً، وفي المجتمع ثانياً، وبثّ هذه الثقافة في شتّى ميادين الحياة العلمية والعملية، في البيت، في المدرسة، في الجامعة؛ ليتسنّى لنا التغيير والإصلاح في المجتمع.

ثورة كربلاء منهاجٌ للترغيب والترهيب

إنّ الحسين عليه السلام حينما استقرّ المقام به في كربلاء، توجّه إلى مَن معه من الهاشميين والأنصار بشرح ما يدور حوله من البلاء، وإيراد ما رأى عليه المناخ السياسي، وواقع المسلمين، وتكفّل بالرّد على هذا الانحطاط بما يضمن الكرامة، فالحق لا يُعمل به، والباطل لا يُتناهى عنه، ولقاء الله هو السبيل وحده، والموت هو السعادة، ولا حياة مع الظالمين.

قال الحسين عليه السلام بعد حمده لله والثناء عليه: «**أمّا بعدُ، فإنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها، واستمرّت جداً، فلم يبقَ منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيشٍ كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[2].

وكان هذا الخطاب بمثابة المحرّك للوعي الديني في ضمائر أصحابه، والباعث على استقبال مشاعرهم سلباً وإيجاباً، ففاضت ردود فعلهم الإيجابية بانبعاثٍ ثوري، فيه

(١) أُنظر: جعفر، مهدي خليل، الموسوعة الكبرى لأهل البيت عليهم السلام (الإمام الحسين عليه السلام): ص١٩٧.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٣٠٧.

الإصرار على الملحظ الفدائي، وفيه المواساة نيّةً وبصيرة، فيوالون مَن والاه، ويعادون مَـن عاداه، وما كان ذلـك إلّا نتيجة لتربية الإمام الحسـين عليه السلام لصحابته والموالين له، وسـنأخذ أحد الصحابة من أعيان أصحابه عليه السلام مثالاً لذلك، وهو الصحابي برير بن خضير الهمداني، وهو شـيخ القرّاء في الكوفة، فقد قال: «**والله، يا بن رسـول الله، لقد منَّ الله تعالى بك علينا أن نقاتل بين يديك، تقطّع فيك أعضاؤنا، ثمّ يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة**»[1].

فالإمـام الحسـين عليه السلام، كان يواجـه منكـرات كبـيرة لا يمكـن الوقـوف بوجهها والقضاء عليها إلّا بتضحيته بنفسه وأهله وأصحابه... وهكذا كان!

ولولا ثورة الإمام الحسـين عليه السلام ضدّ يزيد لما بقي من الإسـلام إلّا اسمه، و لانتشر الفسـاد والظلـم والانحـراف في كلّ شيء، وفي كلّ وقـت؛ لكـنّ استشـهاد الإمـام الحسين عليه السلام قد فضح فساد الحكم الأُموي، وأوضح التديّن المزيّف الذي كان يتظاهر به أمام الناس.

وعندما استُشـهد الإمام الحسـين عليه السلام وهو ابن رسـول الله صلى الله عليه وآله، وسيّد شباب أهل الجنة، وقدّم نفسه فداءً للإسلام، خلق ذلك تعاطفاً عارماً مع الحسين عليه السلام، وهو الأمر الذي أدّى إلى انتفاضات متتابعة بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام، للأخذ بثأره وثأر أهل بيته المظلومين.

وهكذا قدّم لنا الإمام الحسين عليه السلام درساً في التضحية والفداء بأغلى شيء، من أجل الدفـاع عن الإسـلام وثقافتـه وقيمه، ومحاربـة المنكرات بمختلف أشـكالها وألوانها وصورها.

منهج الترغيب للحسين عليه السلام ولادة شهداء للحرّية

إنّ محنـة الاسـتضعاف في ملحمـة الطف كانت محنة شـديدة؛ لأنّ احتـمال الظفر

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٤، ص٣٢٣.

والنصر كان ضئيلاً جداً، ولم تكن المحنة في أنفسهم فقط، بل مُحنوا في أولادهم ونسائهم وممتلكاتهم، فكان الجميع يعلم أنّ نساءهم سوف تُسبى وتُسجن كبقية حريم الحسين عليه السلام، وكذلك أولادهم، وشملهم سوف يُشتّت، ودُورهم سوف تُصادر وتُحرق، وهكذا كلّ ما يملكونه سوف يُنسف تماماً، فهم عاشوا أيّاماً عديدة لهذا الامتحان، وأمّا الباقون فهم منكفؤون على أنفسهم، فمَن لم يكونوا أعداء، ولم يشاركوا في معسكر بني أُميّة وعمر بن سعد وعبيد الله بن زياد، فهم متخاذلون، منكبّون على أنفسهم على أقل التقادير، وكان بعض هؤلاء من الصحابة والتابعين ومن الأسماء اللامعة، بينما أصحاب الحسين عليه السلام عاشوا همّ طلاق الدنيا، وليس للحظة من اللحظات، وإنّما لعدّة أيّام، فتارة يُستشهد الإنسان فجأة، فهو يرى الحدث لحظات، ثمّ يُقتل، أمّا هنا فالأمر مختلف تماماً، فهم عاشوا الشهادة لأيّام وأسابيع؛ لأنّ قائدهم بشّرهم ونبّأهم بكلّ ما يجري عليهم وعلى عيالاتهم، وتراهم يجيبون إمامهم بقولهم: «**والله، لا نخلّيك حتى يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله، لو علمت أنّي أُقتل ثمّ أُحيى ثمّ أُحرق حياً، ثمّ أُذرّ ويُفعل ذلك بي سبعين مرّة ما فارقتك**»[1]، ويقول الآخر: «**والله، لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا، فإذا قُتلنا كنّا قد وفينا وقضينا ما علينا**»[2].

لقد كان لديهم اندفاع ونشاط وحيوية، ولم يُصِبهم أيّ زلزال أو اضطراب أو تملّل نفسي، وهذا هو العلو في همّة النفس ونجابتها، بل حتى نساؤهم كانت لهنّ هذه الامتحانات التي بدأت قبل محرم إلى ما بعد عاشوراء التضحية والفداء، فإنّ دعم هذه النسوة يزيد في الهمّة والقوّة للرجال.

إذاً، سؤدد شهداء الطف سببه هذا الامتحان الطويل، وفي كلّ ميادين النفس، ولم

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٧. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٣٦.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٧.

تكن لهم شـهادة بأبدانهم ودمائهم فقط، بل شـهادات علو نفساني، وفي ميادين كثيرة مـن فضائل النفـس، فليس جهادهم كباقي الجهاد كما في شـهداء بـدر، فقد وعدهم الله بالنصر الدنيوي، ولكن شـهداء الطف عاشوا شـدّة الاستضعاف الذي يعبّر عنه بالقتـل التدريجـي، ونراهم يتمنّون القتل ألف مرّة، ليس فداءً لسـيّدهم الحسـين عليه السلام فحسـب، بل لمـا دونه، لأهل بيته عليهم السلام، كما يقول زهير بن القـين: «**والله، لو وددت أنّي قُتلـت، ثـمّ نُشرت، ثمّ قُتلت، حتـى أُقتل كذا ألف قتلـة، وأنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك**»[1].

نتائج البحث

أهمّ النتائج التي توصّلت إليها الباحثتان:

١ـ انتهج القرآن الكريم في سـبيل هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور وسائل وأساليب شتّى، كان من بينها الترغيب والترهيب، أحياناً الترغيب، وأُخرى الترهيب، وأحياناً الأُسلوبان معاً.

٢ـ إنّ الإمام الحسـين عليه السلام قد لخّص لنا ولكلّ الأجيال السـابقة واللاحقة فلسـفة نهضتـه المباركـة، من خلال قوله الشريـف: «**وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسـداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمة جدي** صلى الله عليه وآله **أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي**»[2]، فالإمام الحسين عليه السلام لم يخرج طلباً للسلطة، ولا حبّـاً بمنصب دنيوي أو كـرسي زائل، بل خرج طلباً لإعـادة النبض الدافق إلى وريد الرسـالة الإسـلامية، التـي أنهكتها الأهـواء والمطامع من قبل الحـكام الذين حاولوا جاهدين طمس معالم تلك الرسـالة السـماوية الخالدة من جهة، وتفريغها من محتواها الروحي والفكري من جهة ثانية.

---

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ص٣٣١.

(٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٥٤.

٣ـ الإصلاح الذي دعا إليه الإمام عليه السلام قد استخدم أساليب متعدّدة مع مَن تعامل معهم في نهضته، وكان من أبرزها الترغيب والترهيب.

٤ـ الترغيب والترهيب يحتاجان إلى داعية حكيم، وفي بحثنا المتواضع كان خير داعية من أهل بيت النبوة عليهم السلام، وهو الإمام الحسين عليه السلام؛ ليضع الأُمور في نصابها، فمَن لا يؤثّر فيه أُسلوب الترغيب وثوابه، يؤثّر فيه الترهيب وعقابه.

٥ـ لا بدّ من الالتزام بمنهج القرآن الكريم ومَن سار على نهجه، من الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله والأئمّة الميامين عليهم السلام، ومَن نحن بصدده هو سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

٦ـ لتفعيل حركة الإصلاح في المجتمع لا بدّ من التثقيف، ونشر الوعي بين التلامذة في المدارس وطلبة الجامعات بنهضة الإمام الحسين عليه السلام وحركته، وبيان أسباب نجاحها، وكيفية امتدادها عبر مئات السنين.

الخاتمة

إنّ فكر أهل البيت عليهم السلام الذين تربّوا أو نهلوا من فكر القرآن الكريم، قد ربّى أجيالاً، وسَيُربّي إلى يوم القيامة، فلقد كان أهل بيت الرحمة عليهم السلام وما زالوا أساتذةً وقادةً إلهيين، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام، وهو أوّل تلميذ تتلمذ على يد أعظم قائد وأُستاذ، وأكمل مربٍّ، فهو الذي كان يقول: «**أدّبني ربي فأحسن تأديبي**»[1]، وهو أيضاً بدوره مربٍّ لأمير المؤمنين عليه السلام، وَلَده وتلميذه وأخوه البار، بل هو نفسه وروحه التي بين جنبيه، فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يتعبّد مع الرسول صلى الله عليه وآله، وهو يراه يقف من المساء إلى طلوع الفجر على أطراف أصابعه لعبادة ربّه، وعندما يُسأل في ذلك كان يقول: أفلا أكون عبداً شكوراً؟! وكان هذا حاله إلى عشر سنوات، فأنزل الله تعالى عليه

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٦، ص٢١٠.

بعدها: ﴿طه * مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾[1].

وهكذا سار أمير المؤمنين عليه السلام على نهج سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله، وقد عبد الله لا رهبةً من ناره، بل رهبةً من جلال قدسه، ولا رغبةً في جنته، بل رغبة في رضى ربّه، ولقد سار الحسين بن علي عليهما السلام على نهج أبيه المرتضى وأخيه المجتبى عليهما السلام في جميع مراحل حياته ومواقفه العملية، مثالاً للإنسان الرسالي الكامل، وتجسيداً حيّاً للخلق النبويّ الرفيع في الصبر على الأذى في ذات الله، والسماحة والجود، والرحمة والشجاعة، وإباء الضيم، والعرفان والتعبّد، والخشية لله، والتواضع للحقّ، والثورة على الباطل، ورمزاً شامخاً للبطولة والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأُسوة مُثلى للإيثار والتضحية؛ لإحياء المُثل العليا التي هي شريعة جدّه سيّد المرسلين، حتّى قال عنه جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله: «**حسين منّي وأنا من حسين...**»[2]، معبّراً بذلك أبلغ التعبير عن سموّ هذه الشخصية العظيمة التي ربّاها بيديه الكريمتين صلى الله عليه وآله[3].

ومن الإمام الحسين عليه السلام ترشّحت رشحات للصحابة من أنوار سيّدهم ومربّيهم، ومغذّيهم بفكر الله تعالى وتهذيبه، فهذا زهير بن القين يقول للإمام الحسين عليه السلام ما نصّه: «**قد سمعنا يا بن رسول الله مقالتك، ولو كانت الدنيا لنا باقية، وكنّا فيها مخلّدين، لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها**»[4]. فأورثتهم المعرفة حبّاً ورغبةً، فكانوا مخلصين له، فاستخلصهم لنفسه، ولم يرضَوا عنه بدلاً، فلم يرضَ لهم إلّا جنّة الخلد التي أعدّها الله لعباده المقرّبين.

والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) طه: آية١ـ٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٣، ص٢٧١.

(٣) أُنظر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية (الإمام الحسين عليه السلام): ص١٨.

(٤) الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة: ج٢، ص٣١، نقلاً عن: جعفر، مهدي خليل، الموسوعة الكبرى لأهل البيت عليهم السلام (الإمام الحسين عليه السلام): ص١٤٤.

فهرست المصادر

١ ـ الأخلاق الإسلامية، حسن الشرقاوي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م، الإسكندرية.

٢ ـ أساسيات علم النفس التربوي، محي الدين توق وعبد الرحمن عدس، ، مؤسسة جون وايلي وأولاده، ط٦، ١٩٨٤م، إنجلترا.

٣ ـ أُصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، ط٢، ٢٠٠١م، دمشق.

٤ ـ أعلام الهداية (الإمام الحسين عليه السلام)، المجمّع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، النسخة الإلكترونية، قم.

٥ ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٧م، بيروت ـ لبنان.

٦ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء/ دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، بيروت ـ لبنان.

٧ ـ بحوث في القرآن الحكيم، محمد تقي المدرسي، ط٣، ٢٠٠٤م.

٨ ـ تاريخ الأُمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية.

٩ ـ التربية، كامل سليمان وعلي العبد الله، مطبعة صادر، ١٩٦٥م، بيروت.

١٠ ـ الترغيب والترهيب أُسلوب إسلامي في التعليم خصائصه وأُسسه النفسية، عبد الرحمن عبد علي الهاشمي، ملخّص بحث، ٢٠٠٣م، جامعة بغداد/ كلّية التربية ابن رشد.

١١ ـ الظواهر التربوية في أشعار دائرة المعارف الحسينية، محمد صادق الكرباسي، تقديم: د. عبد الحسين مهدي، بيت العلم، بيروت.
١٢ ـ عبدالرزاق عفيفي معالم منهجه الأُصولي، مجلّة البحوث الإسلامية، العدد٥٨.
١٣ ـ في رحاب القرآن، محمد مهدي الآصفي، المشرق للثقافة والنشر، ط١، ٢٠٠٨م.
١٤ ـ مقدّمة في التربية وعلم النفس، عبد الرحمن الرفيعي ود. صلاح مراد، ط٢، ١٩٨٩م، الرباط.
١٥ ـ المرجع في تدريس علوم الشريعة، عبد الرحمن صالح عبد الله، مؤسّسة الورّاق، ١٩٩٧م، الأردن.
١٦ ـ الموسوعة الكبرى لأهل البيت عليهم السلام الإمام الحسين عليه السلام، مهدي خليل جعفر، مركز الشرق الأوسط الثقافي، بيروت ـ لبنان.
١٧ ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٦م، بيروت ـ لبنان.
١٨ ـ النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي (ت١٤٣٣هـ).

الأبعاد السياقية في كلام الإمام الحسين عليه السلام

د. حامد بدر عبد الحسين*

م. م. حسن رحيم السلطاني**

التمهيد

تأخذ المعاني جانباً مهماً في حياة الأُمّة الفكرية والعلميّة على حدٍّ سواء، فبتحديد مفاهيم المعاني يتضح المنهج العلمي الذي تسير عليه أيّة جماعةٍ أرادت العلم طريقاً لها، ولا توجد أُمّة في الوجود وعت هذا الأمر وعياً يؤهّلها للقيادة العلميّة كما كان للأُمّة الإسلامية، فهي الأُمّة الرائدة في تبصير الناس بمعاني المفاهيم، والقرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، وتراث أهل البيت عليهم السلام، وبالأخص التراث الحسيني الحافل بالقيم الفكرية التي تحملها بلاغة ولغة هذا التراث. ولمّا كانت هذه الدراسة تبحث السياق وأثره في كلام الإمام الحسين عليه السلام؛ لزم بحث معنى السياق من الجانب اللغوي والاصطلاحي.

السياق لغة

لم يرد السياق بمعناه الواضح عند أصحاب المعاجم العربية، فكلّ ما ذكره هؤلاء عن هذه اللفظة هو المعنى اللغوي[1]، وحصروه في ثلاث دلالات، قال ابن دريد

---

* جامعة بابل/ كلّية التربية.

** جامعة بابل/ كلّية التربية.

(١) أُنظر: فوزي إبراهيم، السياق ودلالته في توجيه المعنى: ص٢١ـ٢٣.

(ت٣٢١هـ): «**السوق: مصدر سقت البعير وغيره أسوقه سوقاً**»[١]. وتناول ابن فارس (ت٣٩٥هـ) مادة (سوق)، فقال: «**السين والواو والقاف أصل واحد وهو: حدو الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوقاً، والسيقة ما استيق من الدواب، ويقال: سقتُ إلى امرأتي صداقها وأسقته**»[٢]، أي: أعطيتها المهر. أمّا الجوهري (ت٣٩٨هـ)، فعنده السياق: «**نزع الروح، يقال: رأيت فلاناً يسوق، أي: ينزع عند الموت**»[٣].

فالسياق في اللغة يدلّ على تتابع منتظم في الحركة توصلاً إلى غاية محمودة دون انقطاع أو انفصال.

السياق اصطلاحاً

«**هو ما يسبق العنصر اللّغوي، أو يليه في كلام أو نص، سواء كان صوتاً، أو كلمة، أو جملة**»[٤]. أو «**النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم**»[٥].

إنّ نظرية السياق واحدة من النظريات المهمّة في دراسة المعنى، فهو كلّ ما يصاحب اللفظ ممّا يساعد على توضيح المعنى؛ لذلك اشترط أصحاب هذه النظرية بأنّ معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة، أو الطريقة التي تُستعمل بها، أو الدور الذي تؤديه. وجعل فيرث (*Firth*) المعنى مرهوناً بتسييق الوحدة اللغوية، أي: وضعها في سياقات مختلفة[٦]، وهذا مرتبط بمفهوم المعنى عنده بأنّه عبارة عن علاقات سياقية[٧].

---

(١) ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة: ج٣، ص٤٣.

(٢) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٣، ص١١٧.

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج٤، ص١٥٠٠، مادة (سوق). أُنظر: الزمخشري، محمود ابن عمر، أساس البلاغة: ج١، ص٤٦٨ـ٤٦٩. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٠، ص١٦٦. الزبيدي، مرتضى، تاج العروس: ج٢٥، ص٤٧٠ـ٤٧٥.

(٤) البعلبكي، رمزي، معجم المصطلحات اللغوية: ص١٩٩.

(٥) أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة: ص٥٤ـ٥٥.

(٦) أُنظر: عمر، أحمد مختار، علم الدلالة: ص٦٩.

(٧) أُنظر: زوين، علي، منهج البحث اللغوي: ص١٧٤.

وقد توصّل العلماء إلى تمييز نوعين من السياق، هما: السياق اللُّغوي، وسياق الحال (الخارجي)، وهذان النوعان يكوّنان ما يُعرف ضمن نظريات تحليل المعنى بنظرية السياق.

أوّلاً: السياق اللّغوي

السياق اللُّغوي أو اللفظي يُشرف على تغيير دلالة الكلمة تبعاً لتغيير يمسّ التركيب، أي: ببيان مجموعة الكلمات التي تنتظم معها الكلمة المراد معرفة معناها، واهتمامها أيضاً ببيان الخصائص النحوية والصرفية، واستخدامهما في تحديد السياقات التي تقع فيها الكلمة[1]، وأطلق عليه (بالمر) (العلاقات التلازمية)، ويعني بها: علاقة العنصر اللّغوي مع العناصر الأُخرى في مجال اللغة الذي يقع فيه[2]، ويشمل السياق اللّغوي مكونات، هي:

السياق النحوي

تكوّنه مجموعة من العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النصّ، وفيها تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة، من خلال القرائن النحوية[3]، ويستمد هذا السياق من إقامة علاقات نحويّة بين الألفاظ في الجمل على وفق قوانين اللغة[4]، ذلك «**أنّ اللغة ليست إلاّ مجموعة من القوانين الوضعيّة سواء أكانت على مستوى المفردات (الألفاظ) أم على مستوى التركيب**»[5]، ولكلّ من هذه المفردات وظيفة نحويّة تتحدّد بانضمامها إلى غيرها من الألفاظ في نظام تركيبي معيّن، ويشمل السياق النحوي: سياق حروف المعاني، سياق المفرد،

(١) أُنظر: عمر، أحمد مختار، علم الدلالة: ص٧٧.
(٢) أُنظر: علم الدلالة (إطار جديد): ص١٤٣.
(٣) أُنظر: عبد الجليل، عبد القادر، علم اللسانيات الحديثة: ص٥٤٦.
(٤) عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغويّة عند العرب: ص١٩٤.
(٥) أبو زيد، نصر، مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني: ص١٤.

سياق الجملة، سياق الأساليب.

ونجد هذا السياق في خطبة الإمام الحسين عليه السلام: «**الحمد لله، وما شاء الله، ولا قوة إلّا بالله، وصلّى على رسوله وسلّم، خُطّ الموت على وِلد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف...**»[1].

ابتدأ الإمام عليه السلام بالاسم، بقوله: (الحمد الله) الدال على الثبوت والتجدد. وكذلك ما نجده من المطابقة النوعية بالتذكير والتأنيث بين (خُطّ) و(وِلد)، ويستمرّ السياق النحوي بخلق الدلالات، ومن ذلك المصدر (اشتياق يوسف ليعقوب) الدال على التجدد والاستمرارية كونه حاصل بعد فترة زمنية على أمل اللقاء، فهنا شبّه الإمام الحسين عليه السلام اشتياقه لأسلافهِ باشتياق يوسف ليعقوب.

السياق الصرفي

نتمكّن بالإفادة من علم الصرف من معرفة دلالات أبنية الألفاظ، وما تحمله من معانٍ مختلفة، بحسب الزيادات التي تطرأ عليها، فعلى سبيل المثال، نجد أنّ للفظة (كتب) صوراً اشتقاقية كثيرة، منها: (كاتب، مكتوب، كتابة، يكتب، يكتبان، تكتبون) وهكذا، فلكلٍّ من هذه الزيادات معنى وظيفي، وقد أطلق عليها المحدثون[2] مصطلح (المورفيمات)، «**وتتمثّل المورفيمات في معاني الصيغ الصرفية، مثل: الإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير، والعدول، والسوابق مثل: الياء في (يكتب)، والتاء في (تكتبون)، واللواحق مثل: ياء المخاطبة في (اكتبي)، والتاء في (كتبت)، والأحشاء كما في الألف في (كاتب)، والواو في (مكتوب)، فضلاً عن الأدوات والحركات**»[3]. فالمورفيمات الصوتية سواء كانت حرة، أو مقيدة، أو محايدة، لا قيمة لها إلّا إذا كانت ضمن سياق تركيبي معيّن، فهي تُعدّ أصغر وحدة صرفيّة،

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٤١.
(٢) أُنظر: ماري، أُسس علم اللغة: ص٥٣. الضامن، حاتم صالح، علم اللغة: ص٥٨ـ٥٩.
(٣) حسّان، تمّام، اللغة العربية معناها ومبناها: ص٨٢ وما بعدها.

ولها معنى نحويّ أو وظيفة نحويّة في بنية الكلمة[1]، ومن هذا التغيّر الحاصل في الصيغ الصرفية بحسب ما تلحقها من مورفيمات ـ أو كما سمّاها آخَرون[2] (وحدات صرفيّة) ـ تستمدّ الدلالة الصرفية للألفاظ من أسماء وأفعال[3]، ومن ذلك قوله عليه السلام: (والاستكبار صلفٌ)، يكشف السياق الصرفي عن صيغة المبالغة في دلالة أحرف الزيادة، التي يفهم منها زيادة في الاستكبار لهؤلاء القوم.

السياق الصوتي

«**يهتم السياق بدراسة الصوت داخل النصّ، ولا سيّما تلك الخاصّة بالربط بين الأصوات ودلالاتها، ويستمدُّ هذا السياق دلالته من طبيعة الأصوات، نغمها وجرسها**»[4]، وقد أشار إليها اللغويّون القدماء، ولا سيّما ابن جني الذي امتاز عن غيره في بحوثه الصوتية الدلالية الّتي وضعها تحت عنوان (الدلالة اللفظية)[5].

إذاً؛ الفونيم يُعدّ المكوّن اللغوي في السياق الصوتي، فهو أصغر وحدة صوتية قادرة على التمييز بين كلمتين مختلفتين في المعنى، وهذه الوحدة الصوتية تخلق «**اختلافات صرفيّة ونحويّة ومفهوميّة ودلاليّة**»[6]، كالاستبدال الحاصل بين (الذال) و(الراء) في لفظتي (نفذ) و(نفر) أدّى إلى تغيير في معنى اللفظتين بصورة آليّة، ويعتمد هذا السياق على الملامح الصوتية التي تؤدّي وظيفة دلالية كالنبر والتنغيم.

ونجد الاستبدال الصوتي بين الصوامت في قول الإمام عليه السلام: «**ألا وإنّ الدعي ابن**

---

(١) أُنظر: حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة: ص٦٤. أبو معلي، سميح، فقه اللغة وقضايا العربية: ص٧٩. نحلة، محمود أحمد، لغة القرآن في جزء عمّ: ص٣٨.

(٢) أُنظر: حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة: ص٦٤. الضامن، حاتم صالح، علم اللغة: ص٥٨ـ٥٩. زوين، علي، منهج البحث اللغوي: ص١٨٦.

(٣) أُنظر: أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ: ص٤٧.

(٤) المصدر السابق: ص٤٦.

(٥) أُنظر: ابن جني، عثمان، الخصائص: ص٣، ص١٠٠.

(٦) طحّان، ريمون، الألسنيّة العربية (مقدّمة، الأصوات، المعجم، الصرف): ج١، ص٦٢.

الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلة»[1].

وكذلك يتّضح السياق الصوتي في موضعٍ آخر من كلام الإمام عليه السلام: «**أُثني على الله أحسن الثناء، وأحمده على السرّاء والضرّاء**»[2]. لفظتي (السّراء ـ الضّراء)، الأُولى تدلّ على النعمة والرخاء والمسرّة، والثانية تدلّ على الشدّة والضيق والنقص في الأموال والأنفس.

السياق الأُسلوبي

يظهر هذا السياق في النصوص غير العادية، كالنصوص المقدّسة والشعرية والنثرية؛ لما تمتلك من قوة في النسيج، وجدارة في البناء، وقوة التولّد الدلالي، وخلق إنتاجية جديدة من المعاني، ومن ذلك خطبة الإمام عليه السلام: «**إنّ الحلم زينةٌ، والوقار مروةٌ، والصلة نعمة، والاستكبار صلفٌ، والعجلة سفه، والسفه ضعفٌ، والعلو ورطةٌ، ومجالسة الدناةِ شينٌ، ومجالسة أهل الفسق ريبةٌ**»[3]. تتضح في هذه الخطبة الأُمور الآتية:

١ـ ابتدأت الخطبة بـ(إنّ) وهي حرف من حروف المعاني، ومعناها التوكيد، وفي اللغة تعني القوة والرسوخ في المعنى، ممّا يؤكّد رسوخ الحكمة في قصار المفردات، إذ قال: «**إنّ الحلم زينةٌ**»، وربط دلالة الحلم بمفهوم دلالة الزينة.

٢ـ استعمل أداة الربط (الواو) بين جملتين، مثلاً «**والوقار مروةٌ**»؛ لِما للواو ـ بالإضافة إلى الربط والعطف والسبق ـ من دور في تجلّي المعنى، وهو كون الوقار حاصل المروة.

٣ـ المعاني المعجمية الواردة في الخطبة كانت لها الأثر المهم في السياق اللّغوي؛ كونها تشدّ انتباه المتلقّي، ومن هذه المعاني (صلف) و(سفه)، فالأُولى تعني التكبر والعجرفة، والثانية الوقاحة.

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٥٦.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٥.

(٣) الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص٥٨.

٤ـ الإيقاع الموسيقي في ضوء اختيار المفردات ومعانيها، فكانت نهاية الجمل ذات إيقاع موسيقي يجذب المتلقي لها.

ثانياً: السياق الخارجي

إنّ اللغة ظاهرة اجتماعية يُعبِّر بها الناس عن أفكارهم وحاجاتهم؛ ولذلك فهي متأثرة بالمحيط الخارجي لها، فهي تُستخدم كوسيلة تعبيرية تأثيرية وليست شيئاً مجرّداً عن الواقع الذي توجد فيه، بل إنّ وظيفتها التفاعل مع هذا الواقع[1]، وعليه لا يمكن عزل عملية الكلام عن المحيط الخارجي للّغة؛ إذ يعتمد إفهام السامع على عملية التواصل بين المتكلّم والمتلقّي، وما ترسّب في ذهن كليهما من خبرة مشتركة حول معاني المفردات المستعملة ترشد إلى المعنى الكامل للجملة.

فسياق الحال يهتمّ بدراسة المحيط الذي يقع فيه الكلام، ويشمل الظروف المحيطة بالحدث الكلامي لسياق الموقف. وأوّل مَن استعمل مصطلح (الظروف الخارجية للنصّ) من المحدثين هو عالم اللغة (مالينوفسكي)، وخلاصة آرائه إزاء هذا الموضوع تكمن في أنّ (معنى الجملة يتحدد في السياق المعيّن الذي ترد فيه والبيئة الطبيعية، أو الواقع الثقافي للمجتمع). وجاء (فيرث) من بعده ليتبنّى فكرة (سياق الحال)، إذ فضَّل الأخير أن ينظر إلى سياق الحال بوصفه جزءاً من أدوات عالم اللغة، مثله مثل الفصائل النحوية التي يستخدمها[2].

ثم إنّ معنى الجملة لا يمكن تحليله على وفق مقتضيات سياق الحال، إلّا إذا أخذنا بنظر الاعتبار العناصر الأساسية لهذا السياق على المستوى الاجتماعي، وهذه العناصر هي:

١ـ الحقائق المتعلقة بالمشاركين في الحدث اللّغوي، كأن نذكر ـ مثلاً ـ ما إذا كان

---

(١) أُنظر: رمضان عبد التوّاب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ص١٢٦ـ١٢٧.

(٢) علم الدلالة (إطار جديد): ص٧٧. أُنظر: أف. آر. بالمر، علم الدلالة: ص٦٣ـ٦٤.

المشـارك طفلاً، أو رجلاً ناضجاً، ذا مكانةٍ اجتماعيةٍ مرموقة، أو امرأة. ويندرج تحت هذا العنوان الخلفية الثقافية للمتكلّمين.

٢ـ الأحداث اللّغوية نفسـها، أي: العبارات المنطوقة بالفعل، وكيفية نطق الجملة أو الجمـل من حيث التنغيـم والنبر الخلافي، وما يصاحب هذه الأحداث اللّغوية من مظاهر لُغوية غير منطوقة، كحركة اليدين، وتعابير الوجه.

٣ـ الأُمور المادية التي لها صلة مباشرة بالحدث اللغوي (*Relevant Object*).

٤ـ أثر العبارات اللغوية المنطوقة فعلاً (أي: ما يسـتتبع النطق من سـلوك اعتماداً على العبارة المنطوقة، فقد تؤثر جملة ما على أحد السامعين، ولكن لا تترك نفس الأثر في سامع آخر؛ لاختلاف العادات والتقاليد)[١].

ونـرى أنّ دور السـياق الخارجـي أوسـع مجـالاً مـن السـياق اللّغـوي في تحديـد الدلالـة؛ إذ يفرض على السـياق اللّغوي نوع الأُسـلوب والألفـاظ المختارة لصياغة الـكلام، أي: ضرورة مطابقـة اللغة للمواقف، فسـياق الحال يقتـضي مراعاة المتكلّم لحال السـامعين وثقافاتهم، وأن يوازن بين ما يقوله وبين ثقافة السـامع أو المخاطب، وكذلك يتطلّب سياق الحال موازنة بين الموقع الاجتماعي للمتحدّث وأثره في اختيار اللغة أو الأُسـلوب، فمن المسـلّم بـه «**أنّ اللغة تتغيّر تبعاً للطبقة التـي نتحدّث بها**»[٢]، كـما يقتضي سـياق الحـال اختلافـات في مقامـات الـكلام وتفاوتها حسـب المواقف والمواضـع التي تُقال فيها، ولكلّ موقف أُسـلوبه الخاص ولغته الخاصة، وهو ما عبَّر عنـه علماؤنا القدامى بقولهم: «**لـكلّ مقام مقال**»[٣]، ولكن يبقـى فهم المعنى المقصود

(١) أُنظر: أف. آر. بالمر، علم الدلالة: ص٦٢ـ٦٤. علم الدلالة (إطار جديد): ص٧٧. مجاهد، عبد الكريم، الدلالة عند ابن جني: ص١٦٣ـ ١٦٤. مجموعة من المؤلفين، علم الدلالة والمعجم العربي: ص٥٣.

(٢) باي، ماريو، لغات البشر أُصولها، طبيعتها، تطورها: ص٨٣.

(٣) الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة: ص١٢.

من لدن السامع متطلباً لمعرفته بالمعنى الحرفي للجملة أو الكلام، ثمّ يفسّره تفسيراً جديداً في ضوء سياق الحال[1]، ويُشير (فيرث) إلى هذا التظافر فيما يراه من أنّ المعنى هو المحصلة النهائية لتحليل الحدث اللّغوي تدريجياً على مستويات اللغة كافة، الاجتماعية والصوتية والصرفية والنحوية والدلالية[2]، فيقول: «**ولمعرفة المعنى يمكن أن نتقبل الحدث اللّغوي بشكل كامل، وبعد ذلك نختبره على مستويات مختلفة بالترتيب التنازلي، مبتدئين بالسياق الاجتماعي**»[3].

وكذلك فإنّ مفهوم السياق عند (أولمان) لا يقتصر على الكلمات والجمل الحقيقية فحسب، بل يشمل أيضاً القطعة كلّها، والكتاب كلّه، كما يشمل بوجه من الوجوه كلّ ما يتّصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللّغوية المتعلّقة بالمقام الذي تنطق فيه، ويرى أنّ نظرية السياق قد قادت إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في علم المعنى؛ إذ يؤدّي السياق دوراً بارزاً في جلاء المعنى[4].

السياق العاطفي (الانفعالي)

يقوم بتحديد دلالة الصيغة أو التركيب من معيار قوة أو ضعف الانفعال، فعلى الرغم من اشتراك وحدتين لغويتين في أصل المعنى، إلّا أنّ دلالتها تختلف، فكلمة يكره لا تدل على ما تعنيه كلمة يبغض، مع أنّهما يدلان على أصل واحد من المعنى، لقد جعل (أولمان) المعنى العاطفي قسيماً للمعنى الموضوعي، وليس أمامنا غير السياق ليُحدّد لنا هل كانت الكلمة المستعملة يراد بها إثارة العاطفة أو معناها القياسي الدقيق[5]، وأنّ تأدية اللّغة وظيفة عاطفية فضلاً عن وظيفتها بنقل الأفكار والتعبير

(١) أُنظر: عبدة، داوود، دراسات في علم اللغة النفسي: ص١٢ـ١٣.
(٢) أُنظر: مصطفى، عواطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين: ص١٦٨ـ١٦٩.
(٣) نقلاً عن المصدر السابق: ص١٦٩.
(٤) أُنظر: أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة: ص٥٥.
(٥) أُنظر: المصدر السابق: ص٦٣.

عن الحقائق والقضايا الموضوعية، تتأتى من استثمار طاقات السياق، فالكلمات هي نفسها تُستعمل في تأدية الوظيفتين، ولكن السياق المختلف هو الذي يجعل المعنى هنا عاطفياً وهناك قياسياً، وقد علّق ابن جني على بعض الكلمات بأنّ أهل النسيب والرقّة وذوي الأهواء يفيدون من هذه الألفاظ ما يفيده منها غيرهم، وبيّن كيف تكون الكلمة في موضع ما عاطفية وفي غيره ليست كذلك[1].

ومن ذلك خطبة الإمام عليه السلام: «**إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها، واستمرت جداً، فلم يبقَ منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، أَلا ترون أنّ الحق لا يُعمل به وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه؟!**»[2]. هذه من خطبه عليه السلام في كربلاء بعد أن عزم القوم على قتله، فهنا تظهر أهّمية السياق العاطفي؛ كون الإمام عليه السلام عرَّفهم بنسبه الشريف، وهو ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله، إلّا أنّ تعلّقهم بالدنيا أدّى إلى أن يقتلوه، ويتجاهلوا معرفتهم بنسبهِ الشريف؛ فلذلك استعمل الإمام عليه السلام في هذه الخطبة ألفاظاً ملائمة لهذه التغيّرات، فقال: (تغيّرت، تنكّرت، أدبر معروفها، استمرت).

السياق الاجتماعي

وله تسميات كثيرة، فقد ترجمه الباحثون العرب المعاصرون بـ(المقام)، و(الموقف)، و(السياق الاجتماعي)[3]، ويُراد به «**كلُّ ما يحُيط باللفظة من ظروفٍ تتصلُ بالمكان أو المتكلّم أو المخاطب، في أثناء التفوّه، فتعطيها هذه الظروف دلالتها التي يولّدها هذا النوع من السياق**»[4]، فما يحُيط بالنصِّ من ظروفٍ وملابساتٍ تُعدُّ وسيلةً

(١) أُنظر: ابن جني، عثمان، الخصائص: ج١، ص٢١٨ـ٢٢٠. أحمد سليمان ياقوت، الدرس الدلالي في خصائص ابن جني: ص٢١.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٠٣ـ٤٠٤.
(٣) أُنظر: السعران، محمود، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): ص٣٣٩.
(٤) منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية: ص١٦٢ـ١٦٣.

مهمةً إلى جانب الوسائل اللّغوية؛ لفهم النصِّ فهماً كاملاً، وقد عرف العلماء العرب هذا النوع من السياق وإن لم يصرّحوا بالمصطلح الذي يُعرف اليوم في الدراسات الدلالية بـ(السياق الحالي)، إلّا أنّ ما جاءت به مؤلّفاتهم يدلُّ على أنّهم قد تنبّهوا له، ويتضح ذلك في مقولة البلاغيين المشهورة: (لكل مقامٍ مقال، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام)[1]، وعقد الجاحظ مبحثاً عن (سياق المقام)[2].

ولقد كان اعتراف علماء العربية بفكرتي (المقام) و (المقال)، باعتبارهما من أُسس تحليل المعنى، متقدّمين ألف سنة على زمانهم، وذلك أنّ الاعتراف بالمقام والمقال، يُعدُّ الآن في العالم الغربي من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة[3]، فثمّة عناصر غير لُغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى، وتكون جزءاً من معنى الكلام، وذلك مثل شخصية المتكلّم والمخاطب، والعلاقات التي تربطهما، وما يُحيط بالكلام من ظروف وملابسات[4]، ومن ذلك خطبته عليه السلام: «**تبّاً لكم أيّتها الجماعة وترحاً، وبؤساً لكم! حين استصرختمونا ولهين، فأصرخناكم موجفين، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا، وحمشتم علينا ناراً أضرمناها على عدوّكم وعدوّنا**»[5]. مكان هذه الخطبة: كربلاء، والمتكلّم: الإمام الحسين عليه السلام، والرسالة: خطبة موجّهة من قائدٍ صاحب حق إلى متلقّين، وهم فئة ضَالةٌ كافرةٌ، فهناك دعوة من الإمام الحسين عليه السلام لمقارعة الظلم الذي حلّ بهم؛ لذلك استعمل مجموعة من الألفاظ الدلة على ذلك الظلم والجور، ثمّ استعمل ألفاظاً دالة على خيانة أُولئك القوم.

---

(١) أُنظر: الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة: ص١٢. فوزي إبراهيم، السياق ودلالته في توجيه المعنى: ص٣٤.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين: ج١، ص١٣٦. أُنظر: منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية: ص١٧١.

(٣) أُنظر: حسّان، تمّام، اللغة العربية معناها ومبناها: ص٣٣٧.

(٤) أُنظر: السعران، محمود، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): ص٣٣٨. الدلالة في البنية العربية: ص١٢٥ـ١٢٦.

(٥) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٤.

السياق الثقافي

القيـم الثقافية والاجتماعية التـي تُحيط بالكلمة، وتأخذ ضمنـه دلالة معيّنة. وقد أشـار علماء اللغـة إلى ضرورة وجود هذه المرجعية الثقافية عنـد أهل اللغة الواحدة؛ لكـي يتمّ التواصل والإبـلاغ، وتخضع القيم الثقافية للطابع الخـاص الذي يلوّن كلّ نظـام لُغـوي بسـمة ثقافية معيّنـة، وهو ما يكـون أحـد العوائق الموضوعيـة في تعلّم اللغات، ويتّضح هذا السياق في خطبة له عليه السلام: «**فلم يبقَ منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسـيس عيـش كالمرعـى الوبيل، أَلا ترون أنّ الحـق لا يُعمل بـه وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن...**».

المتتبـع لأحـداث ومفردات هـذه الخطبة يرى أنّهـا ذات دلالة عقليـة، ووحدات متداخلـة في الإطـار الثقـافي الواحـد، فكلمة الصبابة تعنـي: القلّة القليلـة في الإناء، وكذلـك في قوله: (خسـيس عيـش). أيضاً في معنـى القليل من العيـش، أي: تقادم السـنوات لعمر الإنسـان. ثـمّ تنتقل هـذه الصورة الحسـيّة إلى صـورة واقعية كانت مألوفـة لدى العرب وهو المرعى، كونه من مفـردات حياتهم اليومية لتكون الصورة والتشبيه لهم واضحان.

السياق التاريخي

للنصّ جوانب تاريخية تُحيط به يكشفها السياق، فهو مجمل الظروف التي حددت حدوثهـا وصورتهـا، وأنّ مجموعها يدفع المتكلّـم إلى التكلّم في زمن معيّن، وعلى هذا المعنى تُشكّل التراكيب اللغوية للنصّ.

إنّ السـياق يكـون في المواقـف الفعليـة للـكلام، أي: أنّ الكلـمات حينـما تكـون مخزونـة في أذهان المتكلّمين لا يكون لهـا أن تحظى بالقدر الكافي من الدقّة والتحديد، وحينما تخرج الكلمات من القوّة إلى الفعل عند ممارسـة عملية الكلام الفعلي، فتوضع المفردات في (سـياقات) يتحدد معناها الدقيق، ولا يعني هذا أبداً أنّ الكلمات المفردة

خارج السياق لا معنى لها أصلاً، كما يغالي بعض السياقيين، «**إنّنا لا ننكر أنّ كثيراً من الكلمات يعتريها الغموض الشديد، وأنّ ألوانها المعنوية غالباً ما تكون مائعة وغير محددة تحديداً دقيقاً، ولكن هذه الكلمات مع ذلك لا بدّ أن يكون لها معنىً أو عدَة معانٍ مركزية ثابتة**»[1].

ويتضح هذا السياق في قول الإمام عليه السلام: «**أيّها الناس... فانسبوني فانظروا مَن أنا، ثمّ راجعوا أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟! ألستُ ابن نبيّكم، وابن وصيّه، وابن عمه؟!... أولم يبلغكم ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنة؟! فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحق... وإن كذّبتموني فإنّ فيكم مَن إن سألتموه عن ذلك أخبركم، اسألوا جابر ابن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري...**»[2].

ذكر الإمام الحسين عليه السلام الوقائع التاريخية التي لا خلاف فيها، وهو كونه ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله، وابن علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عمّ النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ ذكر حديثاً شريفاً دعماً لما يقول؛ لأنّ الرسول صلى الله عليه وآله قال ذلك الحديث على مسامع المنكرين، وأكّد قوله الحق بذكر مجموعة من الأصحاب الثقاة.

الخاتمة

النصّ العربي أصيل، وتتأكّد أصالته كونه صالحاً للدراسات، ولعلّ كلام أهل البيت عليهم السلام لم يأخذ نصيبه الكافي من الدرس اللّغوي؛ لأسباب عدّة عبر المراحل التاريخية المتعاقبة، ويطيب لي في ضوء هذا البحث إظهار تجلّيات هذه النصّ الموروث لأهل البيت عليهم السلام؛ فالدارس لهذه النصوص يرى السبك والصورة الفنّية والبلاغة والأُسلوب؛ لذا فهو مؤثر غاية التأثير، ومَن يقرأه مرّة يُعيد قراءته مراراً وتكراراً،

(١) أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة: ص٦٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٧.

ونصل بالبحث إلى النتائج الآتية:

١ـ السياق في هذا الكلام هو الرابط في بنية النصّ، فهو مساير للغة العربية ومستوياتها المعروفة (الصوتي، الصرفي، النحوي، الأُسلوبي).

٢ـ الباحث في كلام الإمام الحسين عليه السلام تتجلّى له رؤية واضحة، وهي أنّ المعنى في هذا الكلام له تأثيره في نفوس السامعين، وهذا يتناسب مع ما قاله صاحب نظرية السياق (فيرث)، فهو يرى المعنى مرهوناً بنسق الوحدة اللّغوية، أي: وضعها في سياقات مختلفة.

٣ـ أخذ السياق التاريخي دوراً مهماً في وحدة وبلاغة الكلام عند الإمام الحسين عليه السلام، فالكلام عنده مجمل الظروف التي حدّدت حدوثها وصورتها، فتكلّم الإمام عليه السلام في زمن معيّن، وتميّز هذا الكلام بكونه صالحاً للأزمنة اللاحقة؛ لتشابه الأحداث والمؤثرات والبيئة الاجتماعية.

٤ـ تتجلّى صور السياق بأنواعه في كلام الإمام الحسين عليه السلام، وكأنّه أخذ على عاتقه تحديد مفهوم السياق اللّغوي وغير اللّغوي.

٥ـ كلام الإمام الحسين عليه السلام يُمثّل أُنموذجاً للنصّ الذي تتمثّل فيه النظم اللّغوية، إذ كان الإمام عليه السلام شخصية مؤثرة في النصّ، ويُعتبر ذلك عند علماء اللغة من المحدثين جزءاً مكمّلاً للنصّ.

فهرست المصادر

١ ـ الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي، الطبرسي، تعليقات محمد باقر الموسوي، ط١، ١٤٢٦هـ، مشورات ذوي القربى، الظهور، قم ـ إيران.

٢ ـ أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٣ ـ أُسس علم اللغة، ماري، ترجمة: أحمد مختار عمر، ط٨، ١٩٩٨م، عالم الكتب.

٤ ـ الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ط٤، ١٩٧١م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٥ ـ الألسنية العربية (مقدّمة، الأصوات، المعجم، الصرف)، ريمون طحّان.

٦ ـ الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت٧٣٩هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).

٧ ـ الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم الخفاجي، ط٣، دار الجيل، بيروت.

٨ ـ البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ، بيروت.

٩ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، محمد باقر المجلسي (١١١٠هـ)، ط٢، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، بيروت ـ لبنان.

١٠ ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١١ ـ تاريخ الأُمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٧٤م، مصر.
١٢ ـ جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.
١٣ ـ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٤ ـ دراسات في علم اللغة النفسي، د. داوود عبده، ط١، ١٩٨٤م، مطبوعات جامعة الكويت.
١٥ ـ دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، ط٣، ١٩٧٢م، مكتبة الأنجلو المصرية، مطابع سجل العرب، مصر.
١٦ ـ الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش مصطفى عيسى، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة.
١٧ ـ الدلالة عند ابن جني، بحوث لغوية، عبد الكريم مجاهد، بحوث كتب الألكتروني.
١٨ ـ دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة: د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ١٩٧٣م، مصر.
١٩ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.
٢٠ ـ علم الدلالة العربي، د. فايز الدايه، دار الفكر للطباعة، ١٩٨٥م، دمشق.
٢١ ـ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط٥، ١٩٩٨م، عالم الكتب.
٢٢ ـ علم اللسانيات الحديثة، عبد القادر عبد الجليل، ط١، ٢٠٠٢م، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.

٢٣ ـ علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، د. محمود السعران، دار الفكر العربي، ١٩٦٢م، القاهرة.
٢٤ ـ علم اللغة الاجتماعي عند العرب، د. هادي نهر، ساعدت الجامعة المستنصرية على طبعه، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٢٥ ـ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.
٢٦ ـ لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت٧١١هـ)، ط٣، ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت.
٢٧ ـ لغات البشر (أُصولها، طبيعتها، تطورها)، ماريو باي، ترجمة: د. صلاح العربي، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، ١٩٧٠م.
٢٨ ـ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دارالثقافة، ١٩٩٤م.
٢٩ ـ اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د. حسن محمد محمود شرف، ط١، ١٩٧٩م.
٣٠ ـ اللهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين علي بن موسى بن طاووس (٦٦٤هـ)، دار الأسوة.
٣١ ـ معجم المصطلحات اللغوية، رمزي البعلبكي، ط١، ١٩٩١م، دار العلم للملايين، بيروت.
٣٢ ـ مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣٣ ـ مـن أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ط٧، ١٩٨٥م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٣٤ ـ منهج البحث اللغوي، د. علي زوين، ط١، ١٩٨٦م، دائرة الشؤون والثقافة العامة، بغداد.

٣٥ ـ نزهـة الناظـر وتنبيـه الخاطر، الحسـين بن نصر الحلـواني (من أعـلام القرن الخامس الهجري)، مؤسسة الإمام المهدي، ٤٠٨١هـ، قم.

الإحالة الضدّية في خُطَب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

أ. د. شاكر سبع الأسدي*

م. د. نوال جاسم محمد المنصور**

مقدّمة

هـذا بحث علمـي صِرْف تقوم فكرته على دراسـة الإحـالات الضدّية في خُطَب الإمـام الحسـين عليه السلام، وهـو إطلالـة على مـا وراء النـصّ الحسـيني، فما لم يقلـه الإمام الحسـين عليه السلام في خطبه يوم عاشوراء اسـتشرفته الإحالات الضدّية التي يمكن النفوذ منهـا إلى صفـات مَـن ذكرهـم الله (جـلّ وعـلا) بقولـه: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾[1]، وهمـا محمـد وآلـه الطيبون الطاهـرون وآل أُميّـة المشركون، متّخـذاً حيثيّة من حيثيات المنهج اللسـاني الحديث المسـمّى بعلم اللغة النصّي (نحو النصّ) وسـيلة لدراسة نصّ الإمام الحسين عليه السلام.

تمهيد

يتّخـذ علـم اللغة النـصّي (نحو النصّ) مـن معايير (ديبوكراند) وسـيلة للتحليل النـصّي، وهـذه المعايـير هـي: «**السـبك، والحبـك، والقصديـة، والمقبوليـة، والموقفية، والإعلامية، والتناص**»[2]، ويختصّ السـبك بالمسـتوى التركيبـي (النحوي)، والحبك بالمستوى الدلالي، وتُعنى المعايير الأُخر بالمستوى التداولي.

---

* جامعة ذي قار/ كلّية الآداب.

** جامعة ذي قار/ كلّية الآداب.

(١) الحج: آية١٩.

(٢) أُنظر: بحيري، سعيد حسن، علم لغة النصّ المفاهيم والاتّجاهات: ص١٢٨.

آليات الإحالة

ولمّا كانت الإحالة من أبرز عناصر السبك وجب بيان عناصره (آلياته)، ومنها:

١ـ الربط: وأشهر أدواته حروف العطف، فضلاً عن تعابير أُخر تسهم في عملية الربط، مثل: (على العكس، على الرغم، على نحو تالٍ)[١]، و(أن) التفسيرية، و(اللام) في نحو: ليفعل كذا، و(كي) في نحو: كي يفعل، و(لكي)، وأدوات الشرط والاستدراك والإضراب[٢].

٢ـ الاستبدال: من مقومات عناصر سبك النصّ، ويتم داخله، وهو التعبير عن معنى ما بلفظ، وذكر المعنى مرّة ثانية بلفظ آخر، فيحيل اللفظ الثاني إلى الأوّل تعويضاً واقتصاداً في اللغة؛ لتقوية السبك، وتجنّب التكرار المخلّ، مع غرس المعنى في ذاكرة القارئ[٣]. وبه يتحقّق بها التماسك الدلالي والسبك النحوي[٤].

٣ـ الحذف: ترتبط اللغة بالسياق الذي قد يكون مغنياً عن ذكر كثير من العبارات، والاستغناء عن عناصر لغوية يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن، فيفهمها

---

(١) أُنظر: عزة شبل محمد، علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ص١١٠. نادية رمضان، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية أُنموذجاً)، مجلة علوم اللغة: مج٩، ع٢، ص٢٣.

(٢) أُنظر: عزة شبل محمد، علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ص١١٠، ص١٦٢، ص١٦٥. نادية رمضان، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبويّة أُنموذجاً)، مجلة علوم اللّغة: مج٩، ع٢، ص٢٣. محمد خطابي، لسانيات النصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب): ص٢٣ـ٢٤. روبرت دي بوكراند، ترجمة: تمام حسان، النصّ والخطاب والإجراء: ص٣٤٦ وما بعدها. أبو عفرة، محمد سالم، السبك في العربية المعاصرة: ص١٣٦. مدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقيه: ص٩٥. نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ص٩٥. الأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٤٨٧. عزة شبل محمد، علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ص١٦٦.

(٣) أُنظر: محمد خطابي، لسانيات النصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب): ص١٩. علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ص١١٣، ص١٢١. أبو عفرة، محمد سالم، السبك في العربية المعاصرة: ص٩٦. أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة: ص١٣٠.

(٤) أُنظر: الشاووش، محمد، أُصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص): ج١، ص٣٢.

المخاطب بقرائن لغوية أو سياقية، ويكون في النصوص أكثر من الجمل[1].

٤ـ الإحالـة: وهي أُولى عناصر السـبك وأبرزهـا، فـ «**العنـاصر اللغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفّر كلّ لغـة على عناصر تمتلك خاصيـة الإحالة**»[2]، وفيها يتمّ إرجـاع عنصر إحالي إلى عنصر إشـاري مذكور قبله (إحالة على السـابق، أو إحالة بالعودة، أو إحالة بالكناية)[3]، أو سيذكر لاحقاً (إحالة على عنصر بعدها، لاحق)[4]، وبدلاً من ذكر العنصر الإشاري وتكراره يُحال إليه بالعنصر الإحالي، فيغني عن ذكره مع الحفاظ على أبعاد المحال إليه ومواصفاته[5]، فتسـهم في ربط بُنى النصّ وتشكيل وحدته وانتظامه[6]، وهي قسمان إحالة لما في داخل النص على السـابق واللاحق، وهي إحالة عناصر لغوية إلى عناصر لغوية أُخر، وإحالة لما في خارجه[7]، وهي إحالة عناصر لغوية إلى عناصر إشارية غير لغوية مؤولة بواسـطة المقام والايحاءات والسـياق والإشارات الدالّة عليها[8]، وفيها

---

(١) أُنظر: عزة شبل محمد، علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ص١١٥. أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة: ص١٣٠. روبرت دي بوكراند، النصّ والخطاب والإجراء: ص١٠٦، ترجمة: تمام حسان. أبو خرمة، عمر، نحو النص نقد نظرية وبناء أُخرى: ص١٦٧. حمودة، طاهر سليمان، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ص٤. الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق تطبيق على السور المكية: ج٢، ص٢٠٨. صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة والنحو: ص٢٥٣.

(٢) محمد خطابي، لسانيات النصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب): ص١٦.

(٣) أُنظر: عفيفي، أحمد، الإحالة في نحو النص: ص٤١.

(٤) أُنظر: الأزهر الزناد، نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً): ص١١٩.

(٥) أُنظر: محمد خليفة محمود، التوحيد الإبداعي في نحو النص قصيدة زحلة لأمير الشعراء أُنموذجاً، مجلة الدراسات العربية: ج١٠، ع١٩، (٢٠٠٩م)، ص٢٠.

(٦) أُنظر: أبو زنيد، عثمان، نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية: ص١٠٦.

(٧) أُنظر: الأزهر الزناد، نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً): ص١١٨. أبو راس، سليمان، القرائن العلائقية وأثرها في الاتّساق سورة الأنعام أُنموذجاً (دراسة وصفية إحصائية تحليلية) (رسالة ماجستير): ص١٨.

(٨) أُنظر: بحيري، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ص١٠٥.

يتمّ الإحالة إلى شخص أو موقف أو حدث إجمالاً أو تفصيلاً[1].

وسائل الإحالة

١ـ الضمير يحقق النيابة (الكناية)، ويمكن من الخفة والاختصار[2].

٢ـ الإحالة الإشارية (أسماء الإشارة): تكون بديلاً من لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة أو نصّ بكامله، تسهم في سبك النصّ وانسجامه، وتُستعمل للإشارة إلى شيء موجود في النصّ[3]، أو خارجه.

٣ـ الإحالة الموصولية (الاسم الموصول): تكون بديلاً من لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة أو نص بكامله.

٤ـ الإحالة المقارنة: تحيل إلى عنصر داخل النصّ أو خارجه تعدّ المقارنة من عناصر الإحالة النحوية، وتسهم في السبك[4]، وتقسم إلى عامّة وخاصة، وتضم العامّة: التطابق بألفاظ، نحو: (يطابق، والشيء نفسه، وعينه)، والتشابه بألفاظ، نحو: (مثل، ومثيل، ويماثل، وشبيه، ويشابه، ويقارب)، وتضمّ الخاصّة ما يشير إلى الكمية، مثل: (أكثر، بدرجة أكبر من، أقل)، وما يشير إلى الكيفية، نحو: (أجمل من)[5]، والإحالة كالاستبدال تسهم في التماسك الدلالي والسبك النحوي.

---

(١) أُنظر: الأزهر الزناد، نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً): ص١١٩، عفيفي، أحمد، الإحالة في نحو النص: ص٤١.

(٢) أُنظر: بحيري، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ص١٠٥.

(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص١٤٩، ص١٥٠، ص١٦٠. أبو زنيد، عثمان، نحو النصّ إطار نظري ودراسات تطبيقية: ص١١٩، ص١٢٠.

(٤) أُنظر: الأزهر الزناد، نسيج النصّ (بحث فيما يكون به الملفوظ نصّاً): ص١١٨. نادية رمضان، علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية أُنموذجاً)، مجلة علوم اللّغة: مج٩، ع٢، (٢٠٠٦م): ص١٨.

(٥) أُنظر: محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب): ص١٩. عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق: ص١٢٤. نادية رمضان، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبويّة أُنموذجاً: ص١٧ـ١٨.

الإحالة الضدّية في خُطَب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

هـي إحالة لما في خارج النصّ، لكنّها تجمع منحيين: منحى نحوي دلالي، ومنحى تداولي، فهي من ناحية تشبه الإحالة الخارجية إلى (الله) في نحو قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[1]، ذات المنحى النحوي الدلالي، وتختلف عنها في أنّها ترتبط بسياق القول أو المقام، وبقضايا اجتماعية ومرجعيات تأريخية وفكرية، وترتبط بالوعي الثقافي للمخاطب، وهذا هو المنحى التداولي، وهي إحالة خفيّة تتعلّق بالمعنى الخفي المتضاد مع المعنى الظاهر، تجري على لسان البلغاء والفصحاء تأدّباً أو حياءً، متّخذة التلميح والتلويح أُسلوباً لها، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾[2]، فإقرار عيسى عليه السلام بالعبودية في أوّل قول له فيه إحالة ضدّية إلى أنّكم ستقولون بالباطل أنّني ابن الله، أو إله، وهذا ممّا يحتمله السياق أو الموقف، فقد وُلِد من غير أب، وهو طفل يتكلّم، ممّا يدفعهم إلى القول: إنّه ابن الله، أو الله نفسه، وقد فعلوا بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾[3].

ومنه قول الإمام السجاد عليه السلام بعد استشهاد والده، وهو أسير في مجلس يزيد: «**أنا ابن عديمات العيوب، أنا ابن نقيات الجيوب، أنا ابن مَن كسا وجهها الحياء، أنا ابن فاطمة الزهراء، وسيّدة النّساء، وابن خديجة الكبرى**»[4]، فهذا النصّ يحمل إحالة ضدّية واضحة، وهي أنّ يزيد هذا الذي فعل بنا ـ أهل البيت عليهم السلام ـ ما فعل هو ابن الزانيات الباغيات ذوات الرايات، وعجباً أن يكون مثل هذا أميراً ومثلي أسيراً. وقد

(١) الإسراء: آية١.
(٢) مريم: آية٣٠.
(٣) المائدة: آية١١٦.
(٤) أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطف: ص٢١٤

أكّـدت هذا المعنى السـيدة زينب عليها السلام تصريحاً بقولهـا: «**ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء!**»[1].

خاطـب الإمـام الحسـين عليه السلام جمع يزيد (لعنـه الله) يوم عاشـوراء بـ (أيُّهـا الناس، وأيّتها الجماعة)، قال: «**أيُّها الناس، اسـمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم**»[2]، وقال: «**أيُّهـا النـاس، إذا كرهتموني فدعـوني أنصرف عنكم إلى مأمني مـن الأرض**»[3]، وقال: «**تبـاً لكم أيّتهـا الجماعة وترحاً**»[4]، فلـم يخاطبهم عليهم السلام بكلمة تدلّ على أنهّم مسـلمون، فضـلاً عـن كونهم مؤمنـين، والإحالة الضدّية لخطابـه هذا هي: (أيُّهـا الظالمون، أيُّها الكافرون، أيُّها الفاسـقون، أيُّها الضالـون)، بدليل قوله عليه السلام مخاطباً جيش يزيد وعبيد الله بـن زيـاد (لعنه الله): «**وأراكـم قد اجتمعتم على أمر أرى أنّكم قد أسـخطتم الله فيه عليكـم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنّبكم رحمته، فنعمَ الربّ ربّنا، وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله، ثمّ إنّكم زحفتم إلى ذرّيته وعترته تريدون قتلهم، لقد اسـتحوذ عليكم الشـيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبّاً لكم ولما تريدون، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبُعداً للقوم الظالمـين**»[5]، وقوله عليه السلام: «**فقبحاً لكم، فإنّما أنتم من طواغيت الأُمّة، وشُـذّاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرّفي الكتاب، ومطفئي السنن**»[6].

إنّ سـياق خطـاب الإمام الحسـين عليه السلام يقودنـا إلى القول بهـذه الإحالـة الضدّية، فالقوم خرجوا لقتال سـيِّد شـباب أهل الجنّة، فلا شـكّ أنّهم كافرون ظالمون، وهي

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٠٧.

(٢) الشيرازي، حسن، كلمة الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٧٣. أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطف: ص٢١٢.

(٣) أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطف: ص٢١٥.

(٤) الشيرازي، حسن، كلمة الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٧٥.

(٥) المصدر السابق: ٢٧٥

(٦) المصدر السابق: ص٢٧٦.

إحالة خارجية تُستشف من النص وسياقه.

وممّا لا شك فيه أنّه لا يوجد أحد يدّعي أنّ الإمام الحسين عليه السلام خاطبهم بـ (عباد الله)؛ لأنّ الخطاب الوارد في قوله عليه السلام: «**عباد الله، إنّي عذت بربّي وربّكم أن تُرجمون، أعوذ بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب**»[1]، ليس موجّهاً لقوم يزيد (لعنه الله)، بدليل أنّه جاء بعد قول الحسين عليه السلام: «**لا والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد**»[2]، أي: إنّ الحسين عليه السلام انتقل من خطاب قوم يزيد (لعنه الله) إلى خطاب جيشه وأنصاره، بدليل ضمير الغائب في (لا أعطيهم)، ولو كان الخطاب موجّهاً إلى قوم يزيد (لعنه الله) لكان الضمير ضمير متكلِّم، فيكون الكلام (لا أعطيكم)، وعليه فإنّ قوله عليه السلام: (يا عباد الله) موجّه إلى أصحابه وأنصاره.

وقوله عليه السلام: «**أمّا بعد، فانسبوني فأُنظروا مَن أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فأُنظروا هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟! ألست ابن بنت نبيّكم، وابن وصيه، وابن عمّه، وأوّل المؤمنين، المصدِّق لرسول الله صلى الله عليه وآله بما جاء من عند ربّه؟! أوَ ليس حمزة سيِّد الشهداء عمّ أبي؟! أوَ ليس جعفر الطيار في الجنّة بجناحين عمّي؟ أوَ لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيِّدا شباب أهل الجنّة؟ فإن صدقتموني بما أقول، وهو الحقّ، والله ما تعمّدت الكذب منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضرّ به مَن اختلقه**»[3]، فيه إحالات ضدّية متعدّدة، يوحي بها سياق القول والموقف الذي يمرّ به الإمام الحسين عليه السلام، ففي قوله: (انسبوني مَن أنا) إحالة ضدّية إلى نسب يزيد (لعنه الله) ونسب عبيد الله بن زياد (لعنه الله)، أي: وانسبوا أُمراءكم الذين تقاتلون معهم، فعبيد الله بن زياد بن عبيد، هو المعروف بابن زياد بن أبي سفيان، وهو من الأدعياء المشهورين، ويقال له: ابن زياد بن أبيه، وابن سميّة، وكان عبداً مملوكاً لرجل من

(١) المصدر السابق: ص٢٧٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ص٢٧٣ـ٢٧٤.

ثقيف، فتزوج سميّة، وكانت أَمة للحارث بن كلدة، فأعتقها، وعبيد الله أمير العراق بعد أبيه زياد، ويقال له: عبيد الله بن مرجانة، وهي أُمُّه، وكانت مجوسيّة[١].

وقد وصف ابن عباس عبيد الله بن زياد قائلاً: «**الدّعي ابن الدّعي، ابن العاهرة الفاجرة، البعيد رحماً، اللئيم أباً وأُمّاً**»[٢].

وذكر المؤرِّخون: أنّ معاوية استلحق زياد بن أبيه من زنية[٣]، وسمّاه زياد بن أبي سفيان[٤]! خلافاً للحديث: الولد للفراش وللعاهر الحَجَر[٥]؛ وذلك أنّ رجلاً شهد على إقرار أبي سفيان أنّه عاهر بسميّة أُمِّ زياد في الجاهليّة[٦]، وأُمّه من فاحشات الجاهلية[٧]، وأنّ معاوية أوّل مَن ادّعى إلى غير أبيه، فادّعى زياداً أخاً لما رأى من جَلده ونفاذه، وقد قال الحسن والشعبي: إن سرّك أن لا تكذب فقل: زياد بن أبيه.

وكان غشوماً ظلوماً هصوماً[٨]، وفي ظلِّ هذه الأجواء تربّى عبيد الله بن زياد (لعنه الله)، وقال الخوارزمي عن عبيد الله بن زياد (لعنه الله):

نكت الدعيّ ابن الدعيّ ضواحكاً ... هي للنبيّ الخير خير مقبل[٩].

أمّا يزيد بن معاوية فهو دعيّ أيضاً، فأُمّه ميسون الكلابية النصرانية قد زنت به مع عبدٍ لوالدها يُقال له: سفاح، وحملت إلى معاوية، ووجدها ثيباً وطلقها، وهي حامل، وعلى عادة معاوية ووالده أبي سفيان في نسبة الأدعياء لهم لم يتورّع عن نسبة

---

(١) أُنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص٣١٢. الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ج١، ص٢١٩.

(٢) أخبار الدولة العباسية: ص٨٦. اليعقوبي، أحمد، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٤٩.

(٣) أُنظر: المقريزي، أحمد بن علي، النزاع والتخاصم: ص٥١.

(٤) أُنظر: الكلبي، هشام بن محمد، مثالب العرب: ص١٢ (مقدمة المحقّق: نجاح الطائي).

(٥) أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٩، ص٧٢ـ٨٠.

(٦) أُنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص٣١.

(٧) أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٩، ص٧٢ـ٨٠.

(٨) أُنظر: المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ: ج٦، ص٢.

(٩) أُنظر: الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص١٤١.

ابن ميسون له، وسمّاه يزيداً تيمّناً بأخية يزيد بن أبي سفيان، تربّى مع أخواله النصارى وتطبّع بطباعهم[1].

وقد وصفته المصادر وصفاً يدلّ على أنّه ابن عبد وليس ابن حر[2]، قال المدائني: «**وكان يزيد آدم جعداً معصوباً، أحور العينين طوالاً، بوجهه أثر جدري**»[3]، وهذا يعني أنّه شديد الأدمة، أي: إنّه داكن اللون، شديد السمرة، أقرب للسواد، وهو أوّل مَن أظهر شرب الشراب، والاستهتار بالغناء، وكان ينادم على الشراب سرجون مولى معاوية، وأولع بالصيد واتّخاذ القيان والغلمان، والتفكّه بما يضحك منه المترفون من القرود والمعاقرة بالكلاب والديكة[4]، وله «**قرد يجعله بين يديه، ويكنّيه أبا قيس، ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمُسِخ. وكان يسقيه النبيذ، ويضحك ممّا يصنع، وكان يحمله على أتان وحشية، ويرسلها مع الخيل فيسبقها**»[5].

إنّ الإحالات الضدّية تخضع للسياق والموقف والمقام؛ لذا كان الإمام الحسين عليه السلام في موقف الحرب يوم عاشوراء يستبطن هذه الإحالات ولا يبديها، لكنّه لمّا كان المقام والسياق يسمح له بإبدائها وإظهارها يوم طلبوا منه البيعة، صرّح بها معلناً مخاطباً والي المدينة الذي أراد منه أخذ البيعة ليزيد، قائلاً: «**إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومُختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيدُ رجلٌ فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، مُعْلِنٌ بالفِسق، ومثلي لا يُبايع مثْلَه**»[6]. وفي قوله عليه السلام: «**هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟**»[7]، إحالة ضدّية إلى أنّ الذي يحلّ قتله وانتهاك حرمته

(١) أُنظر: الكلبي، هشام بن محمد، مثالب العرب: ص٥٠.

(٢) أُنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٤، ص٣٥. المسعودي، علي بن الحسين، التنبيه والإشراف: ص٢٦٤، وجاء فيه: «كان آدم شديد الأدمة، عظيم الهامة، بوجهه أثر جدري».

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٥، ص٢٨٩.

(٤) أُنظر: المصدر السابق: ج٥، ص٢٨٦، وج٥، ص٢٨٨.

(٥) المصدر السابق: ج٥، ص٢٨٧.

(٦) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٧.

(٧) أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٧٠، ص١٣٤.

هـو يزيد (لعنـه الله) وعبيد الله بن زياد (لعنه الله)، فهـما أولاد العهر والفجور، ومن صفاتهما ما مرّ ذكره أعلاه ممّا يغني عن إعادته هنا.

وفي قولـه عليه السلام: (ألسـت ابن بنت نبيّكـم) فيه إحالة ضدّيـة إلى أميرهم (يزيد) ابن ميسـون (لعنه الله)، وقد كانت ميسـون بنـت بحدل امرأة نصرانية مـن بني كلب في الشـام، كانت قبل زواجها من معاوية متزوجة من ابن عمّها، واسـمه زامل بن عبد الأعـلى، ثـمّ مات زامـل مقتولاً بيد أخيه الـذي كان طامعاً في الزواج بميسـون، بعد زواجها بمعاوية حنّت ميسون إلى بيئتها البدوية، ولها أشعار في ذلك، تقول فيها:

وخـرق مـن بنـي عمّـي نحيـف أحـبّ إليّ مـن علـج عليـف[1].

تصريحـاً بعشـقها لابن عمّهـا، متمنّية إيـاه على زوجهـا الخليفة معاويـة، وقولها: (علج عليف) تعني به معاوية كثير الأكل، فوصفته بوصف الحيوان الذي لا يفتأ عن علف الطعام، ولمّا سمع معاوية أشعار ميسون قال: جعلتني علجاً! فطلّقها، وألحقها بأهلها وهي حامل بيزيد[2].

وفي قولـه عليه السلام: (وابـن وصيه) فيه إحالة ضدّية إلى معاوية الملعون ابن الملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد لعن معاوية في عدّة مواضع:

١ـ نُقل عن البراء بن عازب قوله: «**أقبل أبو سـفيان ومعه معاوية، فقال رسـول الله (صـلّى الله عليه وسـلّم): اللّهم العـن التابع والمتبوع، اللّهم عليـك بالأقيعس. فقال ابن البراء لأبيه: مَن الأقيعس؟ قال: معاوية**»[3].

٢ـ نقـل عـن عبد الله بـن عمر قوله: «**فنظر رسـول الله إلى أبي سـفيان وهو راكب، ومعاويـة وأخـوه أحدهما قائد والآخر سـائق، فلمّا نظر إليهم رسـول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قال: (اللّهم العن القائد والسائق والراكب، قلنا: أنت سمعت رسول الله (صلّى**

(١) أُنظر: المصدر السابق.

(٢) أُنظر: المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفّين: ص٢١.

(٣) المصدر السابق: ص٢١٨.

الله عليه وسلّم)؟ قال: نعم، وإلّا فصُمّتا أُذناي كما عُميتا عيناي»[1].

وذكر ابن أبي الحديد سبعة مواضع لعن فيها رسولُ الله صلى الله عليه وآله أبا سفيان (لعنه الله):

«أوّلها: يوم لقى رسول الله صلى الله عليه وآله خارجاً من مكّة إلى الطائف، يدعو ثقيفاً إلى الدين، فوقع به وسبّه وسفهه وشتمه وكذّبه وتوعّده، وهم أن يبطش به، فلعنه الله ورسوله وصرف عنه.

والثانية: يوم العير، إذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي جائية من الشام، فطردها أبو سفيان، وساحل بها، فلم يظفر المسلمون بها، ولعنه رسول الله صلى الله عليه وآله، ودعا عليه، فكانت وقعة بدر لأجلها.

والثالثة: يوم أحد، حيث وقف تحت الجبل، ورسول الله صلى الله عليه وآله في أعلاه، وهو ينادي: اعلُ هبل! مراراً، فلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مرات، ولعنه المسلمون.

والرابعة: يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود، فلعنه رسول الله، وابتهل.

والخامسة: يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدّوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسجد الحرام، والهدي معكوفاً أن يبلغ محلّه، ذلك يوم الحديبية، فلعن رسول الله صلى الله عليه وآله أبا سفيان، ولعن القادة والأتباع، وقال: ملعونون كلّهم، وليس فيهم مَن يؤمن. فقيل: يا رسول الله، أفما يُرجى الإسلام لأحد منهم؟ فكيف باللعنة؟ فقال: لا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع، وأمّا القادة فلا يفلح منهم أحد.

والسادسة: يوم الجمل الأحمر.

والسابعة: يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة ليستنفروا ناقته، وكانوا اثني عشر رجلاً، منهم أبو سفيان»[2].

وصرّح أبو سفيان بكفره في أواخر حياته قائلاً: «وتداولوها يا بني أُميّة تداول الولدان الكرة، فو الله ما من جنّة ولا نار»[3].

---

(١) المصدر السابق: ص٢٢٠.

(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٦، ص٢٩٠ـ٢٩١.

(٣) المصدر السابق: ج٢، ص٤٥. وأُنظر: المقريزي، أحمد بن علي، النزاع والتخاصم: ص٥٦. أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج٦، ص٣٥١ـ٣٥٦.

وفي قوله عليه السلام: (وابن عمّه) فيه إحالة ضدّية إلى أنّ آل أُميّة ليسوا من أقارب الرسول صلى الله عليه وآله، وليسوا أولاد عمومتهم، لما عُرف من أنّ أُميّة كان عبداً «**لعبد شمس، وصل إلى مكّة عِبْر تجارة الرقيق، فتبنّاه عبد شمس، لذا لم يكن عثمان ومعاوية ويزيد ومروان وعبد الملك بن مروان أبناء عمومة النبي صلى الله عليه وآله**»[1].

وكتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لمعاوية بن أبي سفيان في بعض كتبه إليه أثناء الصراع بينهما يعرِّض بنسبه غير القرشي: «**ليس أُميّة كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل. ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنّم**»[2].

«**وممّا يصدِّق قول مَن روى أنّ أُميّة بن عبد شمس استعبده عبد المطلب شعرُ أبي طالب ابن عبد المطلب حين تظاهرت عبد شمس ونوفل عليه وعلى رسول صلى الله عليه وآله وحصروهما في الشِّعب، فقال أبو طالب:**

توالى علينا موليانا كلاهما ... إذا سُئلا قالا إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمر ولكن تراجما ... كما ارتجمت من رأس ذي القلع الصخر
أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً ... هما نبذانا مثلما تنبذ الخمر
هما أغمضا للقوم في أخويهما ... فقد أصبحت أيديهما وهما صفر
قديماً أبوهم كان عبداً لجدِّنا ... بني أمْة شهلاء جاش بها البحر
لقد سفهوا أحلامهم في محمد ... فكانوا كجعر بئسما ضفطت جعر»[3].

---

(١) الكلبي، هشام بن محمد، مثالب العرب: ص١٢. مقدمة المحقق: نجاح الطائي.
(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١٥، ص١١٧.
(٣) المصدر السابق: ج١٥، ص٢٣٣ـ٢٣٤. والقصيدة في: المهزمي، أبو هفان، والبصري، علي بن حمزة، ديوان أبي طالب: ص١٠٧، وفيها اختلاف في بعض الألفاظ عمّا نقلته من نهج البلاغة.

«فهنا صرّح أبو طالب بأنّ أُميّة قذف به البحر إلى الحجاز بواسطة التجارة أو غيرها ضمن تجارة الرقيق والإماء. وكلمة شهلاء تخصّ الروم، فالشهل زرقة يُشاب بها سواد العين، وهي صفة عُرفت بها العين الرومية»[1].

أمّا ذكوان (أبو عمرو) فقد كان خادماً لأُميّة، ولكن بني أُميّة سمّوه بابن أُميّة، ولمّا كان أبو عمرو (ذكوان) ليس بابنه فقد تنازل أُميّة عن زوجته له، وزوّجه إياها في حياته[2]، وكان يهودياً من الشام، وقال النبي صلى الله عليه وآله لعقبة بن أبي معيط بن ذكوان: إنّما أنت يهودي من أهل صفورية[3].

وقال عقيل بن أبي طالب للوليد بن عقبة بن أبي معيط بن ذكوان: كأنّك لا تدري مَن أنت. وأنت علج من أهل صفورية. وهي قرية بين عكا واللجون من أعمال الأردن من بلاد طبرية.

ومما ثبت ـ إضافة إلى ذلك ـ أنّ ذكوان دعيّ، وأُميّة دعيّ أيضاً[4].

وفي قوله عليه السلام: (وأوّل المؤمنين بالله) إحالة إلى أنّ معاوية ظلّ مشركاً ـ هو وأبوه أبو سفيان أيضاً ـ حتى يوم الفتح، وأسلم من تحت السيف لمّا رأى جيوش المسلمين تملأ الأرض من حوله، أجاره العباس بن عبد المطلب، وأدخله على رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة، وأعلن إسلامه، وكان معاوية ابن أبي سفيان وأبوه أبو سفيان من الطلقاء، جاء في الخبر: **«ولمّا أمكن الله رسوله من رقاب قريش عنوة، قال لهم: ما تروني فاعلاً بكم؟ قالوا له: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء»**[5].

---

(١) الكلبي، هشام بن محمد، مثالب العرب: ص٢٨، مقدمة المحقق: نجاح الطائي.

(٢) أُنظر: المقريزي، أحمد بن علي، النزاع والتخاصم: ص٢٢. ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٣، ص٤٥٦.

(٣) أُنظر: دحلان، أحمد زيني، السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون بهامشه السيرة النبوية والآثار المحمدية): ج٢، ص١٨٦. والمسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج١، ص٣٣٦.

(٤) أُنظر: الكلبي، هشام بن محمد، مثالب العرب: ص٢٧. مقدمة المحقق: نجاح الطائي.

(٥) أبو الفداء، إسماعيل بن علي، المختصر في أخبار البشر: ج١، ص١٤٤. وأُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٢، ص١٢٥.

وفي قولـه عليه السلام: (والمصـدِّق برسـوله بما جاء من عنـد ربّه) إحالة ضدّيـة إلى أنّ أبا سـفيان وابنه معاوية كذّبا رسول الله صلى الله عليه وآله دهراً طويلاً، وقاد أبو سفيان حملات الشرك والكفر الحربية والإعلامية ضدّ رسـول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ إنّهما أسـلما يوم الفتح قسراً، وأنّ أبا سـفيان شـاكّ في الرسول صلى الله عليه وآله حتى في يوم إسـلامه وبعده، جاء في الخبر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّـا رآه قـال: «**ويحك! يا أبا سـفيان، ألم يأنِ لك أن تعلم أنّـه لا إله إلا الله؟ فقال: بأبي وأُمّي ما أوصلك وأكرمك، والله ظننتُ أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً بعد. فقال: ويحك! أو لم يأنِ أن تعلم أنّي رسول الله؟ قال: بأبي وأُمّي ما أوصلك وأكرمك، أمّا هذه فإنّ في النّفس منها شيئاً. فقال العبّاس: فقلت: ويلك تشهّد شهادة الحقّ قَبْل ـ والله ـ أن تُضرَبَ عنقك. فتشهّد، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) حين تشهّد: انصرف به يا عبّاس، فاحبسه عند حطم الجبل بمضيق الوادي، حتّى تمرّ عليه جنود الله**»[1].

حتى بعد أن أعلن إسـلامه قهراً لم يؤمن بالنبوّة فـ «**قال للعبّاس: يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، فقال له: ويحك! إنّها النبوّة. قال: نعم إذن**»[2].

«**قـال الشـعبي: فلمّا دخل عثمان رحله دخل إليه بنو أُميّـة حتى امتلأت بهم الدار، ثمّ أغلقوها عليهم، فقال أبو سفيان بن حرب: أعندكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا. قال: يا بني أُميّة، تلقّفوها تلقّف الكرة، فو الذي يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب ولا حساب، ولا جنّة ولا نار، ولا بعث ولا قيامة!**»[3].

«**ثـمّ أُخذ إلى أُحد وهو أعمى، ووقف على قبر سـيّد الشـهداء حمزة بن عبد المطلب، وقال شامتا بعد أن ركل قبره برجله: ذق عقق. قالها ثلاثاً، ثمّ قال: يا أبا عمارة، إنّ الذي نازعناكم عليه بالأمس صار بيد صبياننا**»[4].

---

(١) أبو الفرج (ابن العبري)، غريغوريوس، تاريخ مختصر الدول: ص٩٥. وأُنظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج٣، ص٣٢٦.

(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٩، ص٥٣. وأُنظر: المصدر نفسه: ج١٥، ص١٧٥.

(٣) المصدر السابق: ج٩، ص٥٣.

(٤) الشاكري، حسين، شيخ البطحاء: ص٩٣ـ٩٤.

وواصل معاوية سيرة أبيه، فكان من حقده على رسول الله أنّه سمع المؤذّن يؤذّن: «**أشهد أنّ محمداً رسول الله. فقال: لله أبوك يابن عبد الله! لقد كنت عالي الهمّة، ما رضيت لنفسك إلّا أن يقرن اسمك باسم ربّ العالمين**»(١).

وقد كان معاوية يسعى إلى دفن ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله، من ذلك ما رواه المطَرِّفُ ابن المغِيرَةِ بن شُعْبَةَ عن أبيه أنّه حثّ معاوية على العدل، وبسط الخير، ووصل بني هاشم، وأنّ ذلك ممّا يبقى له ذكره وثوابه، فقال معاوية: «**هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! أَيُّ ذِكْرٍ أَرْجُو بَقَاءَهُ! مَلَكَ أَخُو تَيْمٍ فَعَدَلَ، وَفَعَلَ مَا فَعَلَ، فَمَا عَدَا أَنْ هَلَكَ، حَتَّى هَلَكَ ذِكْرُهُ، إِلّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: أَبو بَكْر. ثُمَّ مَلَكَ أَخُو عَدِيٍّ، فَاجْتَهَدَ وَشَمَّرَ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا عَدَا أَنْ هَلَكَ حَتَّى هَلَكَ ذِكْرُهُ، إِلّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: عُمَرُ. وَإِنَّ ابْنَ أَبِي كَبْشَةَ لَيُصَاحُ بِهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله. فَأَيُّ عَمَلٍ يَبْقَى؟ وَأَيُّ ذِكْرٍ يَدُومُ بَعْدَ هَذَا لا أَبَاً لَكَ؟ لا وَالله، إِلّا دَفْناً دَفْناً**»(٢).

وفي قوله عليه السلام: (أوَ ليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟) إحالة ضدّية إلى ما فعله أبو سفيان وهند يوم استُشهد حمزة عليه السلام، فأبو سفيان (لعنه الله) ضرب شدق حمزة وهو مقتول بزج الرمح، قالوا: «**كَانَ الحُلَيْسُ بْنُ زَبَانٍ، أَخُو بَنِي الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الأَحَابِيشِ، قَدْ مَرَّ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَهُوَ يَضْرِبُ فِي شِدْقِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بِزُجِّ الرُّمْحِ، وَيَقُولُ: ذُقْ عُقَقُ. فَقَالَ الحُلَيْسُ: يَا بَنِي عَبْدِ كِنَانَةَ، هَذَا سَيِّدُ قُرَيْشٍ يَصْنَعُ بِابْنِ عَمِّهِ كَمَا تَرَوْنَ. فَقَالَ: وَيْحَكَ! اكْتُمْهَا عَلَيَّ، فَإِنَّهَا زَلَّةٌ كَانَتْ**»(٣).

وهند جدّة يزيد (لعنه الله) هي التي بقرت بطن سيّد الشهداء حمزة (رض) ولاكت كبده، فقد جاء في الخبر: «**وَوَقَعَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ... وَالنِّسْوَةُ اللّاتِي مَعَهَا، يُمَثِّلْنَ بِالْقَتْلَى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ) يُجَدِّعْنَ الْآذَانَ وَالْأُنُفَ حَتّى**

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١٠، ص١٠.
(٢) القرشي، الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات: ص٤٦٢.
(٣) النيسابوري، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن النيسابوري: ج٢، ص٤٣٤.

اتّخَذَتْ هِنْدُ مِنْ آذَانِ الرّجَالِ وَأُنُفِهِمْ خَدَماً وَقَلَائِدَ، وَأَعْطَتْ خَدَمَهَا وَقَلَائِدَهَا وَقِرَطَتَهَا وَحْشِيّاً، غُلَامَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، وَبَقَرَتْ عَنْ كَبِدِ حَمْزَةَ فَلَاكَتْهَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُسِيغَهَا، فَلَفَظَتْهَا، ثُمّ عَلَتْ عَلَى صَخْرَةٍ مُشْرِفَةٍ، فَصَرَخَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا فَقَالَتْ:

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرِ ... وَالحَرْبُ بَعْدَ الحَرْبِ ذَاتُ سُعْرِ
مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرِ ... وَلَا أَخِي وَعَمِّهِ وَبَكْرِي
شَفَيْت نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي ... شَفَيْتُ وَحْشِيُّ غَلِيلَ صَدْرِي
فَشُكْرُ وَحْشِيٍّ عَلَيَّ عُمْرِي ... حَتّى تُرَمَّ أَعْظُمِي فِي قَبْرِي»[1].

وفي قوله عليه السلام: (أوَ ليس جعفر الطيار عمّي؟) إحالة ضدّية إلى عمّ يزيد عتبة بن أبي سفيان (لعنه الله)، وإلى أنّه لا يوجد في أُسرة يزيد (لعنه الله) مَن هو بمرتبة جعفر الطيار الذي أبدل الله يديه بجناحين يطير بهما في الجنّة، فقد كان بطل مؤتة، وهو أوّل مَن عقر فرسه في الإسلام، وقاتل حتى قُطعت يمينه، وأخذ الراية بشماله حتى قُطعت، فضمّها بعضديه إلى أن ضربه رومي على رأسه فاستُشهد عليه السلام[2].

أمّا عمّ يزيد (عتبة بن أبي سفيان) فهو ابن زنا، وهو ليس من أبي سفيان، وإنّما من الصباح كما كان معاوية من الصباح أيضاً، وقالوا: إنّ هنداً كرهت أن تضعه في منزلها، فخرجت إلى أجياد، فوضعته هناك، وفي هذا المعنى يقول حسان:

لمَن الصبي بجانب البطحاء ... في التُرب ملقى غير ذي مهدِ
نجلت به بيضاء آنسة ... من عبد شمس صلتة الخدِّ[3].

وقوله عليه السلام: (أوَ لم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟) إحالة ضدّية إلى مكانة يزيد وعبيد الله بن زياد الدّعيين الملعونين في الإسلام.

(١) الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ج٢، ص٢٠٥.
(٢) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٣٦.
(٣) الكلبي، هشام بن محمد، مثالب العرب: ص٧٤، هامش المحقق: نجاح الطائي، والبيتان في شرح ديوان الفرزدق: ص١٥٧.

وفي قولـه عليه السلام: «**ألا وإنّ الدّعـي بـن الدّعـي قدْ ركز بـين اثنتين، بين السـلّة والذلّة، وهيهـات منّـا الذلّـة، يأبـى الله لنا ذلك ورسـوله والمؤمنـون، وجدود طابـت، وحجور طهرت، وأُنوف حمية، ونفوس أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإنّي زاحـف بهذه الأُسرة على قلّة العدد، وخذلان النـاصر**»[1]، فيه إحالات ضدّية متعدّدة، ففـي قولـه عليه السلام: (وجدود طابـت) إحالة ضدّيـة إلى أُميّة وذكوان وأبي سـفيان، وهم جدود يزيد الذين سـاءت أخلاقهم، وسـفل نسـبهم، فكان أُميّة عبداً لعبد شـمس، وصل إلى مكّة عبر تجارة الرقيق، فتبنّاه عبد شمس، وكان أُمية عاهراً ضعيف النفس، وقال وهب بن عبد مناف بن زهرة جدّ النبي صلى الله عليه وآله لأُميّة:

مهلاً (أُمـيّ) فإنّ البغي مهلكة ... لا يـكسـبنّك يـوم شـرّه ذكر
تبدو كواكبه والشـمـس طالعـة ... يصبّ في الكأس منه الصبر والمقر[2].

وقال نفيل بن عدي لحرب بن أُميّة في عداوته لعبد المطلب بن هاشم:

أبـــوك مـعـاهـرٌ وأبـــوه عـفٌّ ... وذاد الفيل عـن بلد حـــرام[3].

وكان ممّن شُهِر بالزنا[4].

وكانـت أفعال أُميّة قريبة من أفعال العبيـد، وبعيدة عن أعمال وصفات الأحرار، ذكـر ابـن أبي الحديد: «**فإنّ عبد المطلب راهن أُميّة بن عبد شـمس على فرسـين، وجعل الخطر ممّن سـبقت فرسـه مائة من الأبل وعشرة أعبد وعشر إماء واسـتعباد سـنة، وجز الناصية، فسـبق فـرس عبد المطلب، فأخذ الخطر فقسـمه في قريـش، وأراد جز ناصيته، فقال: أوَ أفتدي منك باسـتعباد عشر سـنين! ففعل، فكان أُميّة بعد في حشم عبد المطلب**

(١) الشيرازي، حسن، كلمة الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٧٦.
(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١٥، ص٢٠٧.
(٣) المصدر السابق.
(٤) أُنظر: الكلبي، هشام بن محمد، مثالب العرب: ص٢٨، مقدمة المحقق: نجاح الطائي.

وعضاريطه[1] **عشر سنين»**[2].

وكان أبو سفيان بن حرب ممّن شُهر بالزنا والخنا[3]، زنى بصفية بنت الحضرمي كانت لها راية، فاستبضعت بأبي سفيان، فوقع عليها أبو سفيان، وتزوّجها عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، فجاءت بطلحة بن عبد الله لستّة أشهر، فاختصم أبو سفيان وعبد الله في طلحة، فجعلوا أمره إلى صفية، فألحقته بعبد الله، فقيل لها: تركتِ أبا سفيان؟ فقالت: يد عبد الله طلقة، ويد أبي سفيان كره.

وزنى بالنابغة أُمّ عمرو بن العاص بن وائل السهمي، فهو من الأدعياء، وأُمّه حبشية، واختارت أُمّه عبيد الله وفضّلته على أبي سفيان، وقضية عمرو بن العاص حيث فضّلت أُمّه النابغة العاصَ بن وائل على أبي سفيان، رغم اشتراك الكثير من الرجال في النزو عليها[4].

وزنى أبو سفيان بسمية أُمّ زياد بن أبيه، وأُمّه من فاحشات الجاهلية، وقد ادّعاه أبو سفيان، وأعلن ذلك معاوية، فسمّي زياد بن أبي سفيان، خلافاً للحديث: الولد للفراش وللعاهر الحجر[5].

وكان أبو سفيان ديوثاً، وتزوّج من هند، وهي حامل من مسافر، وذكروا في كيفية زواج هند بأبي سفيان: أنّ المسافر بن عمرو بن أُميّة عشق هنداً، فاتُّهم بها، وحملت منه، فلمّا بان حملها أو كاد، خرج مسافر إلى النعمان بن المنذر يستعينه على أمره، فتزوّجها أبو سفيان بعده[6].

---

(١) الخدم.

(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١٥، ص٢٣١.

(٣) أُنظر: الكلبي، هشام بن محمد، مثالب العرب: ص٥٦.

(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص٥٦.

(٥) أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٩، ص٧٢ـ٨٠. والكلبي، هشام بن محمد، مثالب العرب: ص٥٦.

(٦) أُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج٩، ص٥٠ـ٥٣.

وكان معاويـة يُعـزى إلى أربعة: إلى مسـافر بن أبي عمرو، وإلى عـمارة ابن الوليد، وإلى العبـاس بـن عبد المطلـب، وإلى الصباح مغـنٍّ لعمارة بن الوليد، قـال: وقد كان أبو سـفيان دميماً قصيراً، وكان الصباح عسـيفاً لأبي سـفيان شـاباً، فدعته هند إليها، فغشيها[1].

وفي قولـه عليه السلام: (وحجـور طابت) فيه إحالة ضدّية إلى حمامة وهند وسـمية ذوات الحجور الدنيئة الخسيسة.

فحمامـة هي إحدى جدّات أبي سـفيان بن حرب من طرف أُمّـه، فأُمّه صفية بنت حزن بن بجير الهلالي، وأُمّها نملة بنت عجرة السـلمي، وأُمّها حمامة، وكانت لها راية بالأبطح، أمَة سوداء تُنسب إلى غفار[2].

وهنـد بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شـمس، وهـي أُمّ معاوية، وكانت هند تُذكر في مكّـة بفجور وعهر[3]، اتهّمها زوجهـا الأوّل الفاكه بن المغيرة المخزومي بالزنا فبانت منه[4]، وكانت هند من المغيلمات، وكانت تميل إلى السـودان من الرجال، فكانت إذا ولدت ولداً أسود قتلته[5].

«وأمّـا النابغـة ذات الرايـة أُمّ عمرو بن العـاص، فإنّها كانت بغياً مـن طوائف مكّة، فقدمت مكّة ومعها بنات لها، فوقع عليها العاص بن وائل في الجاهلية في عدّة من قريش، منهـم أبو لهب وأُمية بن خلف وهشـام بن المغيرة وأبو سـفيان بـن حرب في طهر واحد،

---

(١) أُنظر: الزمخشـري، جار الله، ربيع الأبرار: ج٤، ص٢٧٦.

(٢) أُنظر: الكلبي، هشام بن محمد، مثالب العرب: ص٤٤. وأُنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٢، ص١٢٥.

(٣) أُنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١، ص٣٣٦.

(٤) أُنظر: ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد: العقد: ج٦، ص٨٦ـ٨٧. أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج٩، ص٥٣.

(٥) أُنظر: الكلبي، هشام بن محمد، مثالب العرب: ص٣٦.

فولدت عمراً. فاختصم القوم جميعاً فيه كلّ يزعم أنّه ابنه، ثمّ إنّه أضرب عنه ثلثه، وأكب عليه اثنان، العاص بن وائل وأبو سفيان بن حرب، فقال أبو سفيان: أنا والله وضعته في رحم أُمّه، فقال العاص: ليس هو كما تقول، هو ابني. فحكّما أُمّه فيه، فقالت: للعاص، فقيل لها بعد ذلك: ما حملك على ما صنعت وأبو سفيان أشرف من العاص؟ فقالت: إنّ العاص كان ينفق على بناتي، ولو ألحقته بأبي سفيان لم ينفق عليّ العاص شيئاً، وخفت الضيعة»[1].

وقال عقيل بن أبي طالب عن عمرو: «**هذا الذي اختصم فيه ستّة نفر، فغلب عليه جزّار قريش**»[2]، وأسلفت القول في سمية.

وربّما يعترض معترض فيقول: إنّ الإحالات الضدّية التي استنتجتها من أقوال الإمام الحسين عليه السلام هي نتاج ظنٍّ وترجيح لا دليل عليه؟ ولي أن أقول: إنّ الإمام الحسين عليه السلام أشار بما لا يقبل الشك إلى هذه الإحالات الضدّية عندما «**سألهم عمّا أقدمهم على قتله؟ قالوا: طاعة للأمير عبيد الله بن زياد، فقال عليه السلام: ويحكم! أهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون؟!**»فما معنى (أهؤلاء تعضدون)؟ أليس معناه: إنّكم تعضدون يزيد وعبيد الله (لعنه الله) ذوي النسب الخسيس والفجور والعهر والمثالب المعروفة؟

والإمام الحسين عليه السلام في كلّ خطبه لم يصرّح بمثالب يزيد وعبيد الله بن زياد (لعنه الله) ونسبهما تصريحاً، وإنّما أحال إلى مثالبهما بالإحالات الضدّية، وكان الموقف والسياق يتطلّب ذلك، ولكن الإمام الحسين عليه السلام لمّا يئس من القوم أن يرعووا ويعودوا إلى رشدهم، ويميلوا إلى معدن الدر وجوهر الصفاء، صرّح الإمام الحسين عليه السلام بما كان يريده في الإحالات الضدّية، فقال: «**ألا وإنّ الدّعي بن الدّعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة**»[3].

---

(١) المصدر السابق: ص٢٤.

(٢) أُنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٢، ص١٢٥.

(٣) الشيرازي، حسن، كلمة الامام الحسين عليه السلام: ص٢٧٦.

الخاتمة

الحمد لله ربّ العالمين على حسن توفيقه، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين، أمّا بعد:

ظهر من البحث أنّ الإمام الحسين عليه السلام اتّخذ الإحالة الضدّية للتعبير عن معانٍ لم يرد قولها علناً، والإحالة الضدّية هي إحالة لما في خارج النصّ لكنّها تجمع منحيين، منحىً نحوي دلالي ومنحىً تداولي، فهي من ناحية تشبه الإحالة الخارجية، وتختلف عنها في أنّها ترتبط بسياق القول أو المقام، وبقضايا اجتماعية ومرجعيات تأريخية وفكرية، وترتبط بالوعي الثقافي للمخاطب، وهذا هو المنحى التداولي، وهي إحالة خفية تتعلّق بالمعنى الخفي المتضاد مع المعنى الظاهر، تجري على لسان البلغاء والفصحاء تأدّباً أو حياءً، متّخذة التلميح والتلويح أُسلوباً لها.

وشكّلت الإحالات الضدّية في خطاب الإمام الحسين عليه السلام ثنائيات من المعاني الخفية، يطلبها السياق والموقف الذي مرّ به الإمام الحسين عليه السلام، فاتّخذ التلويح وابتعد عن التصريح في بيان المعاني التي أراد قولها، وهي معانٍ تستنبط من القول وتفهم من بين طياته، وقد حاول الإمام الحسين عليه السلام بالإشارة إلى هذه المعاني الخفية ثني أهل الكوفة عن قتاله، وانتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله، غير أنّهم أبوا إلّا أن يكونوا بجانب الأدعياء، ولم تفلح الإحالات الضدّية إلى تأريخ بني أُميّة الأسود بتغيير موقف الجيش الأُمويّ، وقد ركزوا بين اثنتين بين السلّة والذلّة، وهيهات الذلّة من بيت الرسول صلى الله عليه وآله، ففضّلوا مصارع الكرام على طاعة اللئام.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١ ـ الإحالة في نحو النص: د. أحمد عفيفي، كلية العلوم، القاهرة.

٢ ـ أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، المؤلف مجهول (ت ق٣هـ)، تحقيق: عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، نشر دار الطليعة، بيروت.

٣ ـ الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت٢٨٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، ط١، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠م.

٤ ـ الأخبار الموفقيات، أبو عبد الله الزبير بن بكار القرشي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. سامي مكي العاني، ط٢، عالم الكتب، ١٤١٦هـ.

٥ ـ الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمود أحمد الصغير، ط١، دار الفكر، دمشق، سورية، ٢٠٠٩م.

٦ ـ أُصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النصّ)، محمد الشاووش، ط١، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠١م.

٧ ـ الأغاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأُموي القرشي، أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥هـ.

٨ ـ أنظمة الربط في العربية دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التحويلية، حسام البهنساوي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٩ ـ أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، دار الفكر، بيروت،

١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
١٠ ـ البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمّ الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١١ ـ البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأُسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، ط٢، عالم الكتب القاهرة ـ مصر، ٢٠٠٠م.
١٢ ـ البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
١٣ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، نشر: المكتبة التوفيقيّة.
١٤ ـ تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
١٥ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ.
١٦ ـ تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس (واسمه في الولادة يوحنا) ابن أهرون (أو هارون) بن توما الملطي، أبو الفرج المعروف بابن العبري (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط٣، دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢م.
١٧ ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٩٢هـ)، دار النشر دار صادر، بيروت.
١٨ ـ تفسير القرآن، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت٣١٩هـ)، قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلّق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، دار النشر: دار

المآثر، المدينة النبوية.
١٩ ـ التنبيه والإشراف، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ)، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، نشر دار الصاوي، القاهرة.
٢٠ ـ التوحد الإبداعي في نحو النص قصيدة (زحلة) لأمير الشعراء أُنموذجاً، محمد خليفة محمود، مجلة الدراسات العربية، ج١٠، ع١٩، ٢٠٠٩م.
٢١ ـ جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة.
٢٢ ـ دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البُنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٢٣ ـ الدلالة والنحو، صلاح الدين صالح حسنين، ط١، توزيع مكتبة الآداب.
٢٤ ـ ديوان أبي طالب بن عبد المطلب، أبو هفان المهزمي البصري (ت٢٥٧هـ) وعلي بن حمزة البصري التميمي (ت٣٥٧هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط١، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٢٥ ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري (ت٥٨٣هـ)، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٢هـ.
٢٦ ـ السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب، محمد سالم أبو عفرة، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م.
٢٧ ـ سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، أشرف على التحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط١١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٢٨ ـ السيرة الحلبية المسماة إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون بهامشه السيرة النبوية والآثار المحمدية، أحمد زيني دحلان، المطبعة الأزهرية، ١٣٥١هـ.

٢٩ ـ شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة الرحمانية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م.
٣٠ ـ شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ مصر.
٣١ ـ شيخ البطحاء، الحاج حسين الشاكري، المطبعة: ستارة، الطباعة الكومبيوترية والإخراج الفني: حكمت ـ قم.
٣٢ ـ ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٨م.
٣٣ ـ العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربّه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربّه الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ.
٣٤ ـ علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٣٥ ـ علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، صبحي إبراهيم الفقي، ط١، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٣٦ ـ علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبويّة أُنموذجاً)، نادية رمضان، مجلة علوم اللغة، مج٩، ع٢، ٢٠٠٦م.
٣٧ ـ علم لغة النصّ (المفاهيم والاتّجاهات)، سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٣٨ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ.

٣٩ ـ القرائن العلائقية وأثرها في السياق سورة الأنعام أُنموذجاً (دراسة وصفية إحصائية تحليلية)، سليمان أبو راس، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج الخضر باتنة، ٢٠٠٩م.
٤٠ ـ لسانيات النصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابي، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م.
٤١ ـ مثالب العرب، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور نجاح الطائي، ط١، دار الهدى لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
٤٢ ـ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت٧٣٢هـ)، ط١، المطبعة الحسينية المصرية.
٤٣ ـ مدخل إلى علم لغة النصّ ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٨م.
٤٤ ـ مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان، ط١، عالم الكتب، مصر، ٢٠٠٦م.
٤٥ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن بن علي المسعودي، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٥م.
٤٦ ـ مقتل الإمام الحسين المسمى باللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى ابن جعفر (ت٦٦٤هـ)، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م.
٤٧ ـ مقتل الحسين، أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد المكي أخطب خوارزم، (ت٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمد السّماوي، ط١، دار أنوار الهدى، قم المقدّسة.
٤٨ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي

ابن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤٩ ـ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٥٠ ـ كلمة الإمام الحسين عليه السلام، السيد حسن الشيرازي قدس سره، ط٢، دار العلوم، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٥١ ـ نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عثمان أبو زنيد، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد، ٢٠١٠م.

٥٢ ـ نحو النص بين الأصالة والحداثة، أحمد محمد عبد الراضي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٥٣ ـ نحو النص (نقد نظرية وبناء أُخرى)، عمر أبو خرمة، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد ـ الأردن، ٢٠٠٤م.

٥٤ ـ النزاع والتخاصم فيما بين بني أُمية وبني هاشم، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: د. حسين مؤنس، دار المعارف، مصر.

٥٥ ـ نسيج النص ـ بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

٥٦ ـ النصّ والخطاب والإجراء، روبرت دي بوكراند، ترجمة: تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٥٧ ـ نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النصّ النثري، حسام أحمد فرج، ط١، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٧م.

٥٨ ـ وقعة صفّين، نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٥٩ ـ وقعة الطف، أبو مخنف لوط بن يحيى أبو سعيد، تحقيق: الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، ط١، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرّفة، ١٣٦٧هـ.ش.

التضادّ في الخطاب الحسيني ودوره في انسجام النصّ

م. م. زينب هاشم حسين*

م. م. فاطمة الأسـدي**

المقدّمة

يُعدُّ الخطاب الحسيني في مختلف محطات حياة الإمام عليه السلام إرثاً ثقافياً ثرّاً، ومعلماً حضارياً لا يمكن التغافل عنه، فالخطاب الحسيني ليس وعظياً فقط، بل هو خطاب ذو بُعد اجتماعي وثقافي وعلمي وفلسفي وعقائدي، فهو منجم للكثير من المضامين الهادفة لتعميق الحق والحقيقة، ومواجهة الباطل والضلال.

إنّ الخطاب الحسيني صنوٌ للإنسان، يُعنى به ويهتم بما يحفظ كرامته، ويرفع شأنه، ويعلي قدره، من خلال الذات الإنسانية في أضعف تجلياتها، وانطلاقاً للعالم بنظرة شاملة عميقة تربط وتنسق علاقة الإنسان بمثيله وعلاقته بربّه.

إنّ هذا التجلّي الإنساني، وهذه العناية بالإنسان، شابهت أو قاربت اللطف الإلهي المتمثل بآي القرآن الكريم، والعناية النبوية الشريفة المتمثلة بأحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فالخطاب الديني للقرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، والمقتفي لأثرهما من كلمات أئمّة أهل البيت عليهم السلام وخطبهم، وغيرها من الكتابات والنتاجات الإسلامية ذات الطابع الديني، التي تُصنّف ضمن ما يُعرف بالأدب الديني الذي ترجع أُصوله إلى أوليات التعبّد الإغريقي والكنيسة المسيحية، مروراً بما أنتجته

---

* جامعة بغداد/ كلية التربية ـ ابن رشد/ قسم اللغة العربية.

** جامعة وايومنغ/ كلية التربية/ قسم المناهج والتدريس.

العربية من أدبيات تصبّ في خدمة القرآن الكريم والمعاني الإسلامية العالية، والتي تمكّن الخطاب الحسيني من عرضها بأرقى تجلياتها التي لا نظير لها، فضلاً عن مسارات أدبية أُخرى جاءت تحمل في طياتها الطابع الديني، كأدب الخوارج، وزهديات أبو العتاهية، والأدب الصوفي، والمدائح النبوية البوصيرية، وأدب الدعاء المتجلي بأروع صوره في زبور آل محمدﷺ، وكلّها جاءت لتحرر الذات الإنسانية من أسر الجسد، وتحلّق به إلى عوالم الذات الإلهية، وتهيم في الملكوت الأعلى؛ طلباً للكمال والرقي.

إنّ هذا الأدب نشأ بفعل رؤية ضدّية بين الديني والدنيوي، وفناء الجسد وأزلية الروح، وقامت هذه الرؤية على ضدّية الحق والباطل، وتجلّى في مضامينها صراع القيم النبيلة والرذائل المذمومة.

إنّ هذه الضدّية المتناقضة المؤتلفة بإبداع حقيقي داخل النصّ الديني، جعلت هذا النصّ ساحة مفتوحة للثنائيات المتضادّة التي عمّقت الخطاب، وكونته بطريقة منسجمة مع غرض النصّ وتطلعاته، وأُصوله واهتماماته.

لذلك تُعدّ المتضادّات الواردة في الخطاب الحسيني بكثرة، والموظفة في النصّ بأجمل وأحبك أُسلوب، ركناً أساسياً لا يمكن إغفاله والتجاوز عن دراسته، فقد منحت النصّ وحدة موضوعية وحيوية، تجلّت بلغة طيّعة ومفردات تلامس الوجدان قبل أن تطرق الآذان.

المبحث الأوّل: العلاقة التضادّية وانسجام النصّ

التضادّ، الطباق، التقابل

رصد علماء العربية ـ ولا سيّما علماء البلاغة ـ مصطلحات عديدة متقاربة المعاني، وهي: التطبيق والطباق والمطابقة، والتكافؤ والتخالف، والمقابلة، والعكس، والنقيض. وجميعها مصطلحات تتداخل مع مصطلح التضادّ[1]، الذي هو موضوع

(١) أُنظر: حافظ، عبد الكريم محمد، ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية: ص٥١.

البحث[1]، والبحث ليس بصدد تعريف وحصر جميع هذه المصطلحات، بل سنعرض لمصطلحات ثلاثة نرى أنّ الدراسة التطبيقية للتضادّ في الخطاب الحسيني تُفيد منها.

وهي: التضادّ، الطباق (المطابقة)، التقابل (المقابلة).

التضادّ لغةً: التضادّ من (الضدّ)، والضدّ المخالف، وضدّ الشيء: نقيضه وخلافه، كالسواد ضدّ البياض، والموت ضدّ الحياة، والليل ضدّ النهار، إذا جاء هذا ذهب ذلك، يتعاقبان ويستحيل اجتماعهما[2]، و«**الضدّان: الشيئان اللذان تحت جنسٍ واحدٍ، ويُنافي كلُّ واحدٍ منهما الآخر في أوصافه الخاصّة، وبينهما أبعد البعد، كالبياض والسواد والشرّ والخير. وما لم يكونا تحت جنسٍ واحدٍ لا يقال: لهما ضدّان، كالحلاوة والحركة... والضدّ هو أحد المتقابلات، فإنّ المتقابلين هما الشيئان المختلفان للذات، وكلّ واحدٍ قبالة الآخر، ولا يجتمعان في شيءٍ واحدٍ في وقتٍ واحدٍ، وذلك أربعة أشياء: الضدّان كالبياض والسواد، والمتناقضان كالضِّعف والنصف، والوجود والعدم كالبصر والعمى، والموجبة والسالبة في الأخبار... والضدّ هو أن يتعقب الشيئان المتنافيان على جنسٍ واحدٍ**»[3].

الطباق لغةً: تعني «**الموافقة، والتطابق، يعني: الاتفاق**»[4].

التقابل لغةً: الأصل من: «**قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالاً: إذا عارضه. فإذا ضممت شيئاً إلى شيء قلت: قابلته به. والمقابلة: المواجهة والتقابل**»[5]. والمعارضة: المخالفة.

---

(١) لا يُراد بالتضادّ المفهوم القديم الذي اعتنى به اللغويون الأوائل، والتي يُراد به إطلاق اللفظ الواحد على معنين متضادّين، كالجون على الأبيض والأسود، ولكن المراد: وجود لفظين مختلفين نطقاً ويتضادان معنى. أُنظر: عمر، أحمد مختار، علم الدلالة: ص١٩١. ابن الأنباري، محمد بن القاسم، الأضداد في اللغة: ص٩٩.

(٢) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٣، ص٢٦٣. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات: ص١٤٠.

(٣) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص٣٠٤.

(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٠، ص٢٠٩.

(٥) أُنظر: المصدر السابق: ج١١، ص٢١.

نلاحـظ من المعنى اللغوي لهذه المصطلحـات الثلاث أنّ التضادّ والتقابل يلتقيان في موضع، ويختلف كلاهما عن الاتفاق.

التضادّ والطباق والتقابل اصطلاحاً

الطباق: «**هي الجمع بين المتضادّين، أي: معنيين متقابلين في الجملة**»[1].

أمّا المقابلة: فهي «**إذا جاوز الطباق ضدّين كان مقابلة**»[2].

نلاحظ من التعريفين أنّ علماء البلاغة قد فرّقوا بين الطباق والمقابلة، فهما متقاربان، لكن الطباق أخصّ من المقابلة؛ لكونه لا يتجاوز الضدّين، أمّا المقابلة، فتكون لأكثر مـن ذلك غالباً، والطباق مختصّ بالأضداد، أمّـا المقابلة مختصّة بالأضداد وغيرها[3].

الطباق والتقابل عند علماء البلاغة

درس علـماء البلاغـة الطباق والتقابل دراسـة واسـعة وتعرّضوا لكافـة مفاهيمه ومصطلحاتـه، وتناولوهـا بالتوضيـح والتعريـف، وتعرّضـوا له من زوايـا مختلفة: كالحقيقـة والمجاز، والإيجاب والسـلب، وتجاور المتطابقـين أو تباعدهما، ومن حيث العـدد[4]، وهـم في كلّ ذلـك لم يتجاوزوا النظر له بوصفه محسـناً بديعيـاً قد يكون في اللفـظ أو في المعنـى، وهـم بهذه النظـرة لم يعتنوا بـدوره في السـياق، ولم ينظروا لأثر السـياق في الطبـاق والتقابل، فهم «**لم يتبعوا المطابقة كآلية معجمية مسـاهمة في اتسـاق الخطاب، القصيدة، ولعلّ عذرهم في ذلك هو أنّهم يصفون الأسـاليب البلاغية المختلفة التي تضفي على الاسـتعمال رونقاً وجمالاً، وحسـبهم ذلك، ثمّ إنّ مهمّة النظر إلى المطابقة من زاوية التماسك تقع على عاتق النقد الأدبي**»[5].

---

(١) الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة: ص٢٨٧.

(٢) القيرواني، الحسين بن رشيق، العمدة: ج٢، ص١٥.

(٣) أُنظر: الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن: ج٣، ص٤٨٥.

(٤) أُنظر: الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة: ص٢١١، وص٢٨٩.
الحسيني، راشد بن محمد، البنى الأسلوبية في النصّ الشعري: ص٩٤ـ٩٤.

(٥) خطابي، محمد، لسانيات النصّ.. مدخل لانسجام الخطاب: ص١٣٢.

ولكـن المحسّـنات البديعية اليوم صار لها أُفق أوسـع وظـلال أرحب من منظور الدراسـات اللسـانية، ولا سـيّما لسـانيات النصّ التي «**لا تبحث عـن قواعد وضعية معياريـة للتراكيب النصيّة، وإنّـما تبحث عن اطّراد مظاهر خطابيـة في النصوص، تجعل من كتلةٍ لغويةٍ ما نصّاً متماسكاً**»[1].

انسجام النصّ والتضادّ

إنّ الحديـث عـن انسـجام نصٍّ مـا يتطلـب الوقوف عـلى العلاقـات الخفيّة التي تُعظّـم النصّ وتولـده، بحثاً عن بُنية معرفية متكاملة تتحقق فيها شروط الانسـجام، وذلـك برصـد هـذه العلاقات، سـواء المتحقق منهـا أو غير المتحقـق، أي: ما يُعرف بـ: (الاتسـاق)، إلى الكامـن، أي: (الانسـجام)، وتُعدّ العلاقات الدلاليـة كالتضادّ والـترادف والمجمـل والمفصّـل، وسـائل شـكلية تجمـع أطـراف النـصّ وتربط بين متوالياتـه، و«**هـي علاقـات لا يـكاد يخلو منهـا نصّ يحقـق شرط الإخبارية، مسـتهدفاً تحقيـق درجـة معينة من التواصل، سـالكاً في بناء ذلـك بناء اللاحق على السـابق، بل لا يخلـو منهـا أيّ نصٍّ يعتمد الربط القوي بين أجزائه**»[2]، وهذه الوسـائل الشـكلية التي تحقق التماسـك الشديد بين الأجزاء المشكلة للنصّ، والتي تصل بين العناصر المكونة له، وهذا ما يقصد به الاتساق.

وتأسيسـاً على ما سـبق، نجد أنّ الانسجام أعمّ وأعمق من الاتساق، فهو يتطلب مفاهيم أُخرى كموضوع الخطاب، والمعرفة الخلفية، والبينة الكلية للمعطى اللغوي.

فاتساق النصّ يعني البحث في أدواته الشكلية التي تظهر على سطح النصّ، والتي تُعدُّ واحدة منها ظاهرة التضادّ[3].

---

(١) صبري، خالد حميد، اللسانيات النصّية في الدراسات العربية الحديثة: ص١٦٧ـ١٦٨.

(٢) الترابط النصّي على مستوى عالم النصّ من خلال (فلسفة الثعبان المقدّس) لأبي القاسم الشابي، مقال منشور على شبكة الإنترنت: ص١.

(٣) أُنظر: خطابي، محمد، لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ص٥ـ٦. صبري، خالد حميد، اللسانيات النصّية في الدراسات العربية الحديثة: ص١٨٣.

إنّ تحديد انسجام خطاب ما يتطلّب معرفة عناصر الانسجام التي أشار إليها اللغويون[1]، وهي:

عناصر السبك النحوي: وهي تحقق وجود نوع من الربط بين الجمل المتتابعة، فتشمل: الإحالة، والاستبدال، والعطف، والموازاة.

عناصر السبك المعجمي: وهي مجموعة من العناصر المعجمية المترابطة على مدار النصّ، ومنها: التكرار، المصاحبة اللغوية (التضام)، والتي تشمل: التضادّ، التلازم الذكري، الجمع بين المتناسبات، التعاقب، علاقة الجزء بالكلّ، والجزء بالجزء.

عناصر السبك الصوتي: وهي تواجد عناصر صوتية تُشيع جوّاً من التواصل السمعي بين النصّ والقارئ، من خلال تكرار منتظم لعدد من المقاطع الصوتية بمُدد محددة، وتتمثل في: السجع، الجناس، والوزن والقافية، والفاصلة.

عناصر السبك الدلالي: وهي مجموعة من العناصر الدلالية التي تحدد موضوع الخطاب، وترتيبه، وغرضه، وبنيته الكلية، والعلاقات كالبيان والتفسير، والإجمال والتفصيل، والعموم والخصوص.

عناصر السبك التداولي: وهي مجموعة من العناصر التي تهتم بالسياق وخصائصه؛ لتحدد دوره في التأويل، وما يؤثر فيه كالمعرفة الخلفية المتمثلة بـ: الأُطر، الجامع الخيالي، التضام النفسي.

ممّا سبق نلاحظ أنّ التضادّ بوصفه آلية من آليات انسجام النصّ الشكلية يندرج ضمن عنصر من عناصر السبك المعجمي والمصاحبة اللغوية[2].

---

(١) أُنظر: خطابي، محمد، لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ص٢٠٩ـ٢١١. فرج، حسام أحمد، نظرية علم النصّ رؤية منهجية في بناء النصّ النثري: ص٨٣ـ١٠١.

(٢) أُنظر: التقابل في الصحيفة السجادية، بحث منشور في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها: عدد١٥، ص١٠١.

السبك المعجمي أو (الاتساق المعجمي)

السبك المعجمي أو الاتساق المعجمي: يعني وجود مجموعة من العناصر المعجمية المترابطة، وهي شكلية تظهر على سطح النصّ، وتجعل اتساقه واضحاً بيّناً، وتظهر بوجهين:

الأوّل: يتجلّى بوجود ألفاظ تتكرر في النصّ مترادفة، أو شبه مترادفة، أو مطلقة، أو عامّة[1].

والثاني: يبرز في ظهور «**أزواج من الألفاظ متصاحبة دوماً، بمعنى أنّ ذكر أحدها يستدعي ذكر الآخر، ومن ثَمّ يظهران دوماً معاً**»، وهو ما يُعرف بالمصاحبة اللغوية أو التضام الذي عرّفه خطابي: «**هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة، نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك. مثال ذلك:**

Why dose this little boy wirggle all the time? Girls don't wirgghe.

(ما لهذا الولد يتلوّى في كلّ وقت وحين؟ البنات لا تتلوى).

فـ(الولد والبنت) ليسا مترادفين، ولا يمكن أن يكون لديهما المحال إليه نفسه، ومع ذلك فإنّ ورودهما في خطابٍ ما يُساهم في النصّية»[2].

العلاقة النسقية بين الأزواج المتضادّة

إنّ العلاقة النسقية التي تحكم هذه الألفاظ المتضادّة هي علاقة تعارض أو تخالف، تحدد لنا دلالات الكلمة عن طريق الثنائيات المتضادّة، وتوفّر جوّاً من الترابط والتماسك داخل النصّ، وذلك بخلق سياق للنص تترابط فيه العناصر المعجمية، فيستدعي ذكر أحدها ذكر الآخر، وهذه العلاقة التعارضية تُسهم في انسجام النصّ،

(١) أُنظر: خطابي، محمد، لسانيات النصّ.. مدخل إلى انسجام الخطاب: ص٢٤. صبري، خالد حميد، اللسانيات النصّية في الدراسات العربية الحديثة: ص١٨٣.

(٢) خطابي، محمد، لسانيات النصّ.. مدخل إلى انسجام الخطاب: ص٢٥.

فالتضادّ إبداع حقيقي، كونه يؤلِّف بين المتناقضات بوحدة نصية[1].

وهذه العلاقة المتضادّة بين زوج من الألفاظ متعدّدة جداً، بحسب أوجه التقابل بين معاني هذه الألفاظ التي يصلح معها أن يقترن المعنى بضدّه، فقد تكون هذه العلاقة علاقة تباين، وللتباين درجات عديدة، فقد يكون اللفظان متضادين كالولد والبنت، أو متخالفين، مثل: أحبُّ وأكره، أو متعاكسين، مثل: أمرَ وأطاعَ[2].

المبحث الثاني: التضادّ آلية لانسجام النصّ

التضادّ: مظهر خطابي ذو قيمة بلاغية وضعها العرب ضمن ما يُعرف بـ(المحسنات البديعية) التي ذكروها وأحصوها، وبيّنوا دورها في تحسين الكلام، ووظيفتها في الجمع بين شيئين أو عدّة أشياء، أمّا اللسانيات النصّية، فقد اختزلتها ضمن مظاهر الاتساق المعجمي؛ وذلك لأنّ العلاقات التي تربط فيما بينها داخل النصّ واقعة ضمن المستوى المعجمي.

وتعرّض البلاغيون للتضادّ بوصفه علاقة بين بعض العناصر الواردة في الخطاب، ولا تتعدى ذلك إلى الخطاب برمّته، وقد سجّل محمد خطابي ذلك عليهم، فقد لاحظ أنّهم اجتهدوا «**في رصد الأبيات المنظومة المعتمدة على علاقة المطابقة، ولكنّهم لم يتتبعوا المطابقة كآلية معجمية مساهمة في اتساق الخطاب، القصيدة**»[3].

وأمثلة التضادّ في العربية كثيرة متعدّدة الوجوه، ولا سيّما في الخطاب الديني، أو ما يُعرف بالأدب الديني[4] الذي نشأ وفق ركيزة ضدّية تنطلق من الديني والدنيوي،

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٥. الترابط النصي على مستوى عالم النصّ من خلال (فلسفة الثعبان المقدّس) لأبي القاسم الشابي، مقال منشور على شبكة الإنترنت: ص٢.

(٢) أُنظر: جميل، عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية: ص١٥١. التقابل في الصحيفة السجادية، بحث منشور في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها: عدد١٥، ص١٠٢.

(٣) خطابي، محمد، لسانيات النصّ.. مدخل إلى انسجام الخطاب.

(٤) أُنظر: البستاني، محمود، تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ص٣٥٠.

ويُنظر لتجليات الواقع المتمثل بالصراع الدائم بين الخير والشرّ، والحق والباطل، ويستشهد بمختلف الآيات القرآنية التي تطرح مفاهيم متضادّة، كقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[1]، وقوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[2]، وقوله: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾[3]، وقوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[4]. والأحاديث النبوية الشريفة التي سارت على نفس المنهج القرآني، كقوله صلى الله عليه وآله للأنصار: «**إنّكم لتكثرون عند الفزع، وتقلّون عند الطمع**»[5].

التضادّ في الخطاب الحسيني

إنّ الخطاب الحسيني بوصفه نصّاً دينياً أيضاً زاخر بالألوان البلاغية، وأحد هذه الأصناف البلاغية التي تحمل سمة المحسّن البديعي هو التضادّ، أو الطباق، أو التقابل، بمختلف المفاهيم التي ترتبط بمعنى اجتماع اللفظ مع ضدّه في سياقٍ نصيّ واحد.

وهذا اللون البديعي بكثرة استعمله الإمام عليه السلام بحيوية مبدعة، قائمة على التوليف بين المتناقضات، بلغة طيّعة واسعة المعاني، تسعى إلى مضاعفة الطاقة التأثيرية للنصّ، عبر متضادات مبتكرة تعمل على تحريك الوجدان الإنساني، فالتضادّ عنده أداة للتمييز، كقوله عليه السلام: «**وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، فإنّ السنّة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت**»[6]، وقوله عليه السلام: «**لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً**»[7]، وقوله عليه السلام: «**إنّ الحلم زينة، والوقار مروءة، والصلة نعمة، والاستكبار صلف،**

(١) آل عمران: آية٢٦.
(٢) الأنعام: آية١٢٢.
(٣) الرعد: آية١٠.
(٤) الحديد: آية٢٣.
(٥) المتقي الهندي، علي بن حسام، كنز العمال: ج١٤، ص٦٦.
(٦) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٢٨٠.
(٧) المصدر السابق: ج٣، ص٢٤٥.

والسفه ضعف، والغلو ورطة، ومجالسة الدناءة شين، ومجالسة أهل الفسق ريبة»[1].

نلاحظ أنّه عليه السلام في النصوص السابقة قد ضادّ بين مضامين لا تكون إلّا ضدّاً مع مضامين أُخرى للتفريق والتمييز بين هذه المضامين التي تسير بخطين متوازيين لا يلتقيان، مثل: (السنّة، البدعة)، (أُميتت، أُحييت)، (الموت، الحياة)، (سعادة، برماً). وقابل بين ألفاظ قد لا تكون متضادّة في أصل وضعها، لكنّه وظّفها بطريقة متضادّة جعل فيها التضادّ وسيلة للتمييز والتفريق بينها، مثل: (الحلم، الاستكبار)، (الوقار، السفه)، (الصلة، الغلو)، (زينة، صلف)، (مروءة، ضعف)،(نعمة، ورطة).

إنّ كلّ هذه المتضادّات وُظِّفت بطريقة تتجاوز مجرّد الانسجام داخل النصّ؛ لتتعانق مع الخارج العام وما فيه من تناقضات واقعية.

الثنائيات المتضادّة في الخطاب الحسيني ودورها في انسجام النصّ

يذهب الباحثان هاليدي ورقية حسن إلى: أنّ البحث في العلاقات القائمة داخل نصٍّ ما عن طريق التضادّ أمر صعب يحتاج إلى دراسة شاملة مدققة، تندرج ضمن وصف دلالي عام للغة النصّ، فعلاقة التضادّ بين الألفاظ المتضادّة هو مصطلح يطلق على الاتساق الذي ينتج لتوارد بعض العناصر المعجمية التي يرتبط أحدها بالآخر بشكل نمطي بطريقة من الطرق، ثمّ ينتهي الباحثان إلى أنّ كلّ عنصر معجمي يمكن أن يؤسس علاقة اتساقية، وهذه العلاقة لا تكمن فيه بذاته، فالاتساق لا يتأسس إلّا بالإحالة إلى النصّ، ورود العنصر في سياق العناصر المتعالقة، هو الذي يُهيئ الاتساق، ويعطي للمقطع صفة النصّ[2].

ولو دققنا النظر في التضادّ الذي ورد في الخطاب الحسيني، نجد أنّه تحقق فيه ما يجعله يحمل سمة الاتساق ويُلبس المقطع الذي ورد فيه صفة النصّ، فالألفاظ

(١) الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص٥٨.

(٢) أُنظر: خطابي، محمد، لسانيات النصّ.. مدخل إلى انسجام الخطاب: ص٢٣٨.

المتضـادّة الـواردة في الخطـاب الحسـيني تتوارد بشـكلٍ نمطي بحيـث يرتبط أحدها بالآخر، ويتعالق بالعنصر السـابق له واللاحق، باتسـاق واضح يسـبك النصّ سبكاً معجميـاً بيناً: «**تباً لكم أيّتها الجماعة وترحاً، أحين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين، سـللتم علينا سـيفاً لنا في أيمانكم، وحششـتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكـم، فأصبحتـم إلبـاً لأعدائكم على أوليائكـم، بغير عدل أفشـوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلّا لكم الويلات، تركتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يسـتحصف، ولكن أسـرعتم إليهـا كطيرة الدبـا، وتداعيتم عليها كتهافـت الفراش، ثـمّ نقضتموها؛ فسـحقاً لكـم يا عبيد الأَمة، وشـذاذ الأحزاب، ونبـذة الكتاب، ومُحرّفي الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشـيطان، ومطفئي السنن، ويحكم أهؤلاء تعضدون، وعنّا تتخاذلـون، أجل، والله غدر فيكم قديم، وشـجت عليه أُصولكـم، وتآزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمرة، شجى للناظر وأكلة للغاصب**»[1] .

أُنظـر إلى المتضادات التي شـحن عليه السلام بها النصّ، وهي على أنـواع، يمكن تصنيفها كالآتي: متضادّة بأصل وضعها ـ بغضّ النظر عن السياق الذي استُعملت فيه ـ مثل: (علينا، لنا)، (لأعدائكم، على أوليائكم)، وألفاظ استعملها الإمام عليه السلام بطريقة متقابلة متضـادّة داخل سـياق النـصّ، مثـل: (اسـتصرختمونا، فأصرخناكـم)، (والهين[2]، موجفـين[3])، (حششـتم علينـا نـاراً، اقتدحناهـا عـلى عدونـا)، (اسـتصرختمونا، تركتمونا)، (أسرعتم إليها، ثمّ نقضتموها)، (تعضدون، تتخاذلون).

---

(١) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٨٩. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص١٢٠.

(٢) الوله: الحزن وذهاب العقل، والتحيّر من شدّة الوجد، وهو ذهاب العقل لفقدان الحبيب، ورجل ولهان: ثكلان، وامرأة ولهى ووالهة: شديدة الحزن على فقدان ولدها، وكلّ أنثى فارقت ولدها، فهي واله، فولهت إليه تله، أي: تحن إليه. أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٣، ص٥٦١.

(٣) الوجف: سرعة السير، والوجيف ضرب من سير الإبل والخيل السريع. أُنظر: المصدر السابق: ج٩، ص٣٥٢.

كلّ هـذه المتضادّات بمختلف تصنيفاتها وردت متلاحقة متعالقة بعضها ببعض، وسـبكت النصّ سبكاً معجمياً منقطع النظير، دعمتها في ذلك السبك عناصر أُخرى كالإحالـة بالضمير (واو الجماعة، وتاء الفاعل، وميم الجمع في (تم)، (نا) المتكلّمين، الـكاف وميم الجمع في (كم)، والاسـتبدال بـين (ناراً) والضمير (ها) في (حششـتم علينـا نـاراً، اقتدحناها)، والتكرار في (عدونا، عدوكـم، أعدائكم، تكرار تاء الفاعل في (تم)، تكرار واو الجماعة، تكرار (نا) المتكلّمين، تكرار حرفي الجر: (اللام، على).

وهذا ما سيتبيّن أكثر في صفحات البحث القابلة.

أوّلاً: تجاور أو تباعد الثنائيات المتضادّة

إنّ وجـود الفاصـل بين طرفي الثنائية المتضادّة أو عدمه يجعلهما يتخذان في سـياق النصّ شكلين:

متضـادّات متجاورة: وهو تتابع الألفاظ المتضادّة بفاصل حرفي فقط، كالواو، أو البـاء، ومجرورها[1]، وقد بلغ من بلاغة الإمام عليه السلام أن وردت المتضادّات بدون فاصل حـرفي أيضاً، كقولـه: «... **إنّ الله خلق الدنيا للفناء، فجديدها بالٍ، ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهر**»[2].

وتأتي المتضادات المتجاورة أيضاً بصور أُخرى، فمنها:

ـ أن تكـون الألفاظ المتضـادة متعاطفة: ومنه قولـه عليه السلام: «**أَلا إنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: السلّة**[3] **والذلّة، وهيهات منّا الذلّة**»[4]، وقوله: «**إنّا أهل بيت النبوّة، ومعـدن الرسـالة، ومختلـف الملائكـة، ومحل الرحمة... ويزيد رجل فاسـق، شـارب**

(١) أُنظر: الحسيني، راشد بن محمد، البنى الأسلوبية في النصّ الشعري: ص٩٤ـ٩٥.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٤٢٢ـ٤٢٥.

(٣) السلّة: سللت السيف وأسللته، وأتيناهم عند السلّة، أي: عند استلال السيوف، وسيف سليل: مسلول. أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١١، ص٣٣٨.

(٤) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٤٤. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص١٢.

الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن الفسق، ومثلي لا يبايع مثله»[1].

ـ أن يكون المبتدأ والخبر ألفاظ متضادّة، كقوله عليه السلام: «**غير أنّ الله خلق الدنيا للفناء، فجديدها بالٍ، ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهرّ**»[2].

ـ أن يكون المتضادان هما الفعل ومفعوله، كقوله عليه السلام: «**أَلا وإنّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان... وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله**»[3].

ـ أن يكون المتضادان هما فعلان ماضيان «**إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، وبنا فتح الله، وبنا ختم**»[4].

ـ أن يكون التضادّ في جملتين موصولتين بين صدري الصلة، ومنه قوله عليه السلام: «**فمَن قبلني بقبول الحق، فالله أوْلى بالحق، ومَن ردّ عليّ أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم الظالمين، وهو خير الحاكمين**»[5].

ـ أن يكون بين جملتين فعليتين متعاطفتين: «**أمّا بعدُ، فإنّ الله اصطفى محمّداً صلى الله عليه وآله... وكنّا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته، وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا بذلك وكرهنا الفرقة**»[6].

ـ أن يكون بين جملتين اسميتين متعاطفتين: «**وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، فإنّ السنّة قد أُميتت، والبدعة قد أُحييت**»[7].

---

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٤٦.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٤٢٢.
(٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٠. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٣٥.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٥.
(٥) المصدر السابق: ج٤٤، ص٣٢٩.
(٦) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٢٨٠.
(٧) المصدر السابق.

نلاحظ من الأمثلة السابقة ما يلي:

١ ـ أنّ التضـادّ المتحقق في فقرات قصـيرة لا تتجاوز الكلمتين، وبلا فاصل بينها مثـل: (جديدهـا بـالٍ)، و(سرورها مكفهـر)، (مثلي)، (مثله)، قد أسـهم في إدراك مـا يُحيط بالنصّ من علاقات سـياقية تُعين عـلى فهم الواقع من خلال ضـخّ الصـور المتنافرة والمتضادّة، فضلاً عن ذلـك نلاحظ أنّ الضمير (الهاء) قد حقق وظيفة بارزة في ربط الفقرة مع التالية لها وانسجامها معها.

٢ ـ نلاحـظ أنّ الواو لم يقتصر دورها فقط على جعل العناصر المتضادّة المتعاطفة متسـقة ـ مثل: (السـلّة والذلّة، إنّا أهل بيت النبوّة ويزيد رجل فاسـق) ـ بل قامت أيضاً باختزال بعض المعلومات بشكل خلق نوع من الثغرات في الفهم والتأويـل، والذي يؤدي إلى إبراز دور العلاقة التعارضية بين المتضادّين التي برّرت الجمع بينهما على الرغم من تنافرهما وتناقضهما.

٣ ـ إنّ بعـض صـور التضـادّ المبثوثـة في النصوص السـابقة، قـد وردت في جملة واحـدة مثل: (وأحلّـوا حرام الله وحرّمـوا حلاله)، وبعضـاً في جملتين مثل: (فمَن قبلني، ومَن ردّ عليّ أصبر)، (فرضينا وكرهنا)، و(إنّ السنّة قد أُميتت، والبدعـة قـد أُحييت)، ولا ريـب أنّ التضادّ الواقع في جملتـين أكثر فاعلية في تحقيق الانسـجام النصّي؛ لوقوعه في فضاء أوسـع رابطاً بين متواليات جُملية، وليـس بين أجزاء من الجملـة الواحدة؛ فتبرز قوتها الاتسـاقية في قدرتها على الربط بين الجمل مهما كان حجمها[1].

٤ ـ نلاحـظ مـن الأمثلـة السـابقة أنّ عنـاصر الاتسـاق كالإحالـة في (الضمائـر والموصـولات)، والوصل بالعطف والاسـتبدال وغيرها، قـد تضافرت مع عنصر التضادّ، وهذا ما يمنح النصّ انسجاماً أبرز ضمن دائرة التضادّ.

(١) أُنظر: خطابي، محمد، لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ص٢٨٤.

ثانياً: تماثل الثنائيات المتضادّة

١ ـ من حيث نوع الألفاظ المتضادّة: فقد توفر في الخطاب الحسيني أنواع مختلفة، منها:

الإسمية: وذلك بأن يكون اللفظان المتضادان اسمين، مثل الألفاظ: (الموت، الحياة)، (السعادة، البرم)[١]، الواردة في قوله عليه السلام: «**لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[٢].

الفعلية: وهو أن يكون اللفظان المتضادان فعلين هما (لزموا، تركوا)، (أظهروا، عطّلوا)، (أحلّوا، حرّموا)، وذلك في قوله عليه السلام: «**أَلا وإنّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله**»[٣].

فعل واسم، مثل: (كفروا، إيمان) نحو قوله عليه السلام: «**هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبعداً للقوم الظالمين**»[٤].

الحرفية: وممّا ورد من تضادّ الحرفين (اللام، على) في قول الإمام عليه السلام: «**سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم**»[٥]، فضلاً عن التضادّ بين (أعدائكم، أوليائكم).

---

(١) البرم: ثمر الأراك، لا طعم له، ولا حلاوة، ولا حموضة، والمبرم: الذي هو كلٌّ على صاحبه لا نفع عنده ولا خير بمنزلة البرم الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ويأكل معهم من لحمه. أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٢، ص٤٥.

(٢) الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص٥٨.

(٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٨٠. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٣٥.

(٤) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٤٥.

(٥) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص١٢.

نلاحظ ممّا سبق:

أنّ التضادّ بين ألفاظ متماثلة من حيث نوع الكلمة، أقوى وأشدّ تحقيقاً للانسجام النصّي من اختلافهما.

أنّ بعض المقاطع ورد فيها نوعين أو ثلاث من الكلمات المتضادّة، كاسمين وحرفين، أو حرفين وفعلين، أو حرفين واسمين. وهذا ممّا يزيد من قوة اتساق العناصر المساهمة في انسجام النصّ.

٢ ـ من حيث بُنية الكلمات المتضادّة تبرز قوة الاتساق في التضادّ المتماثل من حيث البنية الصرفية، وذلك كمجيء الكلمتين المتضادّتين على نفس الوزن الصرفي، ومنه الأمثلة الآتية من أقواله عليه السلام:

ـ «**فإنّ السنّة قد أُميتت وإنّ البدعة قد أُحييت**»[١].

ـ «**فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق... وإن كذبتموني، فإنّ فيكم مَن إن سألتموه عن ذلك أخبركم**»[٢].

ـ «**أَلا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**»[٣].

ـ «**سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم**»[٤].

ـ «**أَلا وإنّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا**

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٢٨٠.

(٢) المصدر السابق: ج٣، ص٢٨٠. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٤٥.

(٣) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٤٥. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص١٢.

(٤) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص١٢.

الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله»[1].

ـ «**ويحكم، أهؤلاء تعضدون، وعنّا تتخاذلون، أجل والله، غدر فيكم قديم، وشجت عليه أُصولكم، وتآزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمرة، شجى للناظر، وأكلة للغاصب**»[2].

نلاحظ ممّا سبق:

١ ـ أنّ التضادّ ورد بين كلمات متماثلة الأبنية، مثل: (السنّة، البدعة/ فعلة)، و(السلّة، الذلّة/ فعلة)، (أُميتت، أُحييت/ أفعلت)، (اللئام، الكرام/ فعال)، (أعداء، أولياء/ أفعال)، (لزموا، تركوا/ فعلوا)، و(أحلّوا، حرّموا/ أفعلوا)، (حرام، حلال/ فعال)، (تعضدون، تتخاذلون/ تفعلون)، (الشيطان، الرحمن/ فعلان)، (أُصول، فروع/ فعول).

٢ ـ أنّ الانسجام الذي يحققه تماثل المباني أوقع تأثيراً من اختلافهما.

٣ ـ كان للتكرار دوراً بارزاً في معاونة التضادّ على تحقيق الانسجام، وذلك في الألفاظ (أن، وقد، الذلّة، علينا، عدو، طاعة).

٤ ـ نلاحظ أنّ التضادّ في بعض الأمثلة السابقة قد اجتمع مع عامل الترادف أو شبه الترادف، مثل: (طابت = طهرت) فيهما شبه ترادف يُجمع بمعنى النقاء، (حمية = أبية) فيهما شبه ترادف يُجمع بمعنى الكبرياء، و(سللتم = حششتم) فيهما شبه ترادف بمعنى التأليب والتهيؤ للهجوم، و(وشجت = تآزرت) فيهما شبه ترادف بمعنى متأصلة فيكم هذه الصفات.

---

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٠. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٣٥.

(٢) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٨٩. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص١٢٠.

ثالثاً: تعدُّد الثنائيات الضدّية (المتقابلات)

عـدّ البلاغيون تعدّد المتضادّات مقابلة، والمقصود بالمقابلة: «**هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معانٍ متوافقة، ثمّ يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب**»[1].

إنّ الإتيان بالشيء وضدّه يُعدُّ إبداعاً حقيقياً؛ كونه يُؤلّف بين المتناقضات، فكيف إذا تعدّدت هذه المتناقضات وائتلفت بطريقة منسـجمة في سـياق نصّي متماسـك؟ لا شكّ أنّ الطاقة اللغوية للإمام عليه السلام، والبلاغة الممنهجة، والفصاحة الثرّة مكّنته عليه السلام من تطويع اللغة، والمسـك بزمام الأسلوب؛ لتنسـاب الكلمات بحيوية وجمالية منسجمة لا حدَّ لها، وذلك ما سيتبين من خلال الأمثلة الآتية:

ـ «**فنعم الربّ ربّنا وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسـول صلى الله عليه وآله، ثمّ إنّكم زحفتم إلى ذريته وعترته تُريدون قتلهم، لقد اسـتحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيـم، فتباً لكم ولِما تريدون، إنّا لله وإنّـا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبُعداً للقوم الظالمين**»[2].

ـ «**إنّ الحلم زينة، والوقار مروءة، والصلة نعمة، والاستكبار صلف، والسفه ضعف، والغلو ورطة، ومجالسة الدناءة شين، ومجالسة أهل الفسق ريبة**»[3].

ـ «**قـد أتتنـي كتبكـم، وقدِمـت عليّ رسـلكم، أنّكم لا تسـلموني ولا تخذلـوني، فإن تممتـم علي بيعتكم تصيبوا رشـدكم... وإن لم تفعلوا ونقضتـم عهدكم وخلعتم بيعتي مـن أعناقكم؛ فلعمري ما هـي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي مسـلم، والمغرور مَن اغتر بكم، فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم**»[4].

---

(١) الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة: ص٣٦٧.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٤٢.

(٣) الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص٥٨.

(٤) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٠. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٣٥.

نلاحظ ممّا سبق:

أنّ كلّ مقطع من المقاطع يحتوي على عدد من المتضادّات، أقلّها زوجين من المتضادّات، وأكثرها ثلاثة أزواج، وهذا يعني زيادة نقاط الارتباط في النصّ، وزيادة نقاط الارتباط يعني زيادة مساحة النصّ المنسجم[1]، وكما أسلفنا؛ فإنّ زيادة مساحة الربط يؤدي إلى زيادة المساحة التي يحدث فيها التضادّ، وهو يسبك النصّ ويزيد من انسجامه.

نلاحظ أنّ الجمل التي ورد فيها التضادّ تتحد شكلاً وكأنّها متكررة، فضلاً عن اتحاد مفرداتها إعراباً، وكذلك تماثل بعض بنيتها التصريفية، مثل: (نعم، بئس)، (الربّ، العبيد)، (أقررتم بالطاعة، استحوذ عليكم الشيطان)، (آمنتم بالرسول، زحفتم إلى ذريته تُريدون قتلهم)، (الحلم، السفه)، (الوقار، الاستكبار)، (الصلة، الغلو)، (زينة، ضعف)، (مروءة، صلف)، (نعمة، ورطة)، (تممتم علي بيعتكم، خلعتم بيعتي)، (تصيبوا، أخطأتم)، وكلّ ذلك كما بيّنا يزيد الانسجام في النصّ.

توفر عنصر من عناصر الاتساق المعجمي يعضد التضادّ ويزيد من تأثيره في انسجام النصّ، وذلك العنصر هو التكرار الوارد في المفردات الآتية: (مجالسة، البيعة، ضمير الكاف مع ميم الجمع (كم)، ضمير التاء مع ميم الجمع (تم)).

وتوفر عنصر آخر، وهو الترادف أو شبه الترادف، وذلك بين الألفاظ الآتية: (أقررتم = آمنتم)، (الدناءة = الفسق)، (الشين = الريبة)، (خذل = نقض)، (العهد = البيعة)، (أخطأتم = ضيعتم)، (الحظ = النصيب).

نلاحظ أنّ بعض العبارات على الرغم من قصرها تحتوي على أكثر من زوج من المتضادّات، وتكون كلّ فقرة فيها عبارة عن متضادّين، مثل: «**فنعم الربّ ربّنا، وبئس العبيد أنتم**»، «**الحلم زينة، والوقار مروءة، والصلة نعمة، والاستكبار صلف، والسفه ضعف، والغلو ورطة**»، وكان التضادّ وافياً في أداء المعنى وتحقيق الانسجام لوحده.

(١) أُنظر: جميل، عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية: ص١١١.

نلاحظ أنّ الجمل الوارد فيها التضادّ، كانت متساوية الطول، ومتساوية الكلمات في الغالب: (نعم الربّ ربّنا، بئس العبيد أنتم)، (آمنتم بالرسول، زحفتم إلى ذريته)، (الحلم زينة، السفه ضعف)، (الوقار مروءة، الاستكبار صلف)، (الصلة نعمة، والغلو ورطة)، (تممتم عليكم بيعتي، خلعتم بيعتي من أعناقكم)، (تصيبوا رشدكم، فحظكم أخطأتم).

رابعاً: الثنائيات المتضادّة وعناصر الانسجام الأُخرى (النحوي، والصوتي)

بيّنا فيما سبق أنّ التضادّ بوصفه عنصراً من عناصر الانسجام المعجمية، قد يجتمع مع عناصر معجمية أُخرى، كالتكرار والترادف كما مثلنا، وسنبيّن أنّ التضادّ قد يجتمع في بعض المقاطع مع عناصر صوتية أو نحوية، تزيد من سبك النصّ وانسجامه، من ذلك ما جاء في قوله عليه السلام:

ـ «أمّا بعدُ، فإنّ الله اصطفى محمّداً صلى الله عليه وآله... وكنّا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته، وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك؛ فرضينا بذلك، وكرهنا الفرقة»[1].

ـ «وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، فإنّ السنّة قد أُميتت، والبدعة قد أُحييت»[2].

ـ «ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن نُؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»[3].

ـ «ألا وإنّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٢٨٠.
(٢) المصدر السابق: ج٣، ص٢٨٠.
(٣) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٤٥. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص١٢.

الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله»[1].

ـ «ويحكم، أهؤلاء تعضدون وعنّا تتخاذلون؟! أجل والله غدر فيكم قديم، وشجت عليه أصولكم، وتآزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمرة، شجى للناظر وأكلة للغاصب»[2].

لاحظ الانسجام الصوتي في نهايات المتضادّات الواردة، مثل: (رضينا، كرهنا)، (السنّة، البدعة)، (أُميتت، أُحييت)، (السلّة، الذلّة)، (اللئام، الكرام)، (لزموا، تركوا)، (أحلّوا، حرّموا)، (أظهروا، عطّلوا)، (تعضدون، تخذلون)، (الشيطان، الرحمن).

مع أنّ التضادّ من الفنون التي تتعامل مع المعنى ونقيضه، وهي غير معنيه بالوفاء بالإيقاع[3]، لكنّنا نلاحظ أنّه التضادّ في النصوص السابقة قد حقّق تنافر المعنى وتناغم الإيقاع، ولا ريب أنّ توفر هذين العنصرين (التضادّ، والتناغم الصوتي المضبوط) قد حقّق أثراً بالغاً في انسجام النصّ.

وممّا ورد من مقاطع مشتملاً على عنصر التضادّ وعنصرٍ نحويٍّ من عناصر الانسجام قوله عليه السلام:

ـ «تباً لكم أيّتها الجماعة وترحاً، أحين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم؛ فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلّا لكم الويلات، تركتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يستحصف،

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٠. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٣٥.

(٢) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٨٩. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص١٢٠.

(٣) أُنظر: سلطان، منير، البديع تأصيل وتجديد: ص١١٩.

ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش، ثمّ نقضتموها، فسحقاً لكم يا عبيد الأَمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرّفي الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن، ويحكم أهؤلاء تعضدون، وعنّا تتخاذلون؟! أجل والله غدر فيكم قديم، وشجت عليه أصولكم، وتآزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمرة، شجى للناظر، وأكلة للغاصب، أَلا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»[1].

نلاحظ في النصّ السابق أنّه مملوء بعناصر الانسجام، والتي تمحورت حول التضادّ لتبرز انسجاماً جميلاً ونصّاً مسبوكاً، وهذه العناصر تمثلت بالعناصر النحوية كالربط بـ (الفاء، وثمّ، وبالواو) في أكثر من موضع، والإحالة بالضمير في (الكاف في أصرخناكم، إيمانكم، عدوكم، أعدائكم، أوليائكم، أصولكم، فروعكم، الهاء في اقتدحناها، أفشوه، نقضتموها، والتاء في استصرختم، سللتم، حششتم، نقضتم، أسرعتم، تداعيتم)، والتكرار في (الضمائر في: (نا) و(ها) و(تم) و(كم)، عدو، الذلّة، على، إلى)، وشبه الترادف في (سللتم = حششتم)، (إلب = عدو)، (أسرعتم = تداعيتم)، (نقضتم = تتخاذلون = غدر)، (وشجت = تآزرت)، (طابت = طهرت)، (حميّة = أبيّة)، فضلاً عن التضادّ بين (والهين، موجفين)، (علينا، لنا)، (أعدائكم، أوليائكم)، (تعضدون، تتخاذلون)، (أُصولكم، فروعكم)، (السلّة، الذلّة)، (اللئام، الكرام)، ومن كلّ ذلك نرى أنّ الانسجام قد تحقق بعامل محوري، وهو التضادّ، وعوامل فرعيّة أُخرى (وهي نحوية: الإحالة بالضمير، الربط (الوصل) بالعطف، ومعجمية كالتكرار والترادف) دعمت التضادّ وزادت من قوة تأثيره في الانسجام وسبك النصّ.

---

(١) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٨٩. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص١٢٠.

خامساً: اتساع فضاء التضادّ

إنّ دور التضادّ في الخطاب الحسيني لم يقتصر على جملة أو مجموعة جمل، أو مقطعاً أو مجموعة مقاطع، فالخطاب الحسيني بوصفه خطاباً ينسجم مع توجهات الأدب الديني، القائم أصلاً على العلاقة الضدّية بين الديني والدنيوي، والهدى والضلال، جاء معبّراً عن هذه المعاني المتضادّة بوحدة موضوعية منحته سبكاً وانسجاماً نصياً منقطع النظير، من ذلك ما جاء منه عليه السلام وردّه على الحرّ حين قال له: «**يا سيدي، إنّي أذكرك الله في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتُقتلن، فردّ عليه الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: ليس من شأني مَن يخاف الموت، ما أهون الموت على سبيل نيل العزّ وإحياء الحق، ليس الموت في سبيل العزّ إلّا حياة خالدة، وليس الحياة مع الذلّ إلّا الموت الذي لا حياة معه، أبالموت تخوفني؟! هيهات، طاش سهمك، وخاب ظنّك، لست أخاف الموت، إنّ نفسي لأكبر من ذلك، وهمتي لأعلى من أن أحمل الضيم خوفاً من الموت، وهل تقدرون على أكثر من قتلي، مرحباً بالقتل في سبيل الله، ولكنّكم لا تقدرون على هدم مجدي ومحو عزي، فإذاً لا أُبالي بالقتل**»[1].

الله ما أبلغ كلامك، وما أعمق معناه، لو نُقل عنك هذا النصّ وحده، لكان كافياً ليكون منهجاً لعيشٍ كريم سيدي ومولاي أبا عبد الله عليه السلام.

لو تأملنا في هذا النصّ لوجدناه قائماً على الضدّية، مبنياً عليها، منسجماً بها، متماسكاً بتناقضاتها الحيوية، التي بثت فيه الحياة رغم تكرر لفظ الموت في سطوره، فقد أعطى للموت طعم الحياة حين يكون صنواً للعزّ، وجعل الحياة موتاً باهتاً لا خلود فيه إذا دنس حريتها الذلّ.

فقد ركّز (عليه أفضل الصلاة والسلام) معنى الحياة والموت في العزّ والذلّ، موسعاً فضاء التضادّ ليشمل ضدّية كونية وجودية هي الحياة والموت، مانحاً لكلّ

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٥٨١.

واحـد منهما طعم صاحبـه، لا شيء أبلغ وأوجز من قوله، فقد لخّص سـبب الوجود والخلق في ضدّية متناقضة بحيوية فيّاضة مكّنته منها لغته وفصاحته الموروثة عن أبلغ البلغـاء علي بـن أبي طالب عليه السلام، فلتكون حيـاً عليك أن تكون عزيـزاً حتى وإن كنت ميتاً، فموت الجسد لا يهدم المجد ولا يمحو العزّ، فهو عليه السلام أثبت قدرتهم على قتله، ثمّ نفى عنهم هذه القدرة وقوّض قيمتها.

لقد جعل الإمام عليه السلام التضادّ محور انسـجام النصّ وتماسـكه، فالكلام أخذ بحجز بعضه بسلسلة من ألفاظ متضادّة متتابعة، لا تتجاوز زوجين من المتضادّات (الموت، الحياة)، (العزّ، الذل)، كانت كافية لتتجاوز فضاء النصّ الضيق، أو المقام الآني الذي قيلت فيه، لتتسع إلى المعاني القيّمة، والمضامين الوجودية التي تتعلّق بالإنسان والغاية من خلقه، جاعلاً من نفسـه (عليه أفضل الصلاة والسـلام) مثلاً يُحتذى ليحرر هذه المتضـادّات مـن جوّ النصّ التنظـيري إلى توتر الواقع، في ضوء ما يحصل في السـاحة الحربيـة والسياسـية والاجتماعيـة، مسـخراً مسـيرته المباركـة التـي تنطلق مـن عدّة منطلقات، أبرزها إصلاح المجتمع.

الخاتمة

١ ـ التضـادّ بوصفه إبداعاً حقيقياً كونه يؤلِّف بين المتناقضات، كان بارزاً بوحدة موضوعيـة وحيويـة لغوية في مواضـع كثيرة في الخطاب الحسـيني، متجاوزاً بمختلـف صـوره دور المحسِّـن البديعـي، منطلقـاً إلى تحقيق الانسـجام بين أجزاء النصّ.

٢ ـ أنّ الضدّيـة بين الدين والدنيا، والهدى والضـلال، والخير والشرّ، التي تقوم عليها النصوص الدينية، جعلت الخطاب الحسيني، بوصفه نصاً دينياً، ساحةً مفتوحـة للثنائيات المتضادّة، التي عمّقت الخطاب وكونته بطريقة منسـجمة مع غرض النصّ وتطلعاته وأُصوله واهتماماته.

٣ ـ أنّ الخطاب الحسيني في بعضه يكاد يكون قائماً على المتضادّات، وتُعدُّ من أبرز ظواهره الأسلوبية التي وُظِّفت بطريقة تتجاوز مجرّد الانسجام داخل النصّ، لتتعانق مع الخارج العام وما فيه من تناقضات واقعية.

٤ ـ أنّ التضـادّ المتحقق في فقرات قصيرة لا تتجاوز الكلمتين، وبشـكلٍ متجاور قد أسهم في إدراك ما يُحيط بالنصّ من علاقات سياقية، تُعين على فهم الواقع من خلال ضخّ الصور المتنافرة والمتضادّة.

٥ ـ التضادّ الواقع في جملتين، أكثر فاعلية في تحقيق الانسـجام النصّي؛ لوقوعه في فضاء أوسع رابطاً بين متواليات جملية، وليس بين أجزاء من الجملة الواحدة؛ فتبرز قوتها الاتساقية في قدرتها على الربط بين الجمل مهما كان حجمه.

٦ ـ أنّ التضادّ بين ألفاظ متماثلة من حيث نوع أو بنية الكلمة، أقوى وأشدّ تحقيقاً للانسجام النصّي من اختلافهما.

٧ ـ أنّ تعـدّد الأزواج المتضادّة يعني زيادة نقاط الارتباط في النصّ، وزيادة نقاط الارتباط يعني زيادة مساحة النصّ المنسجم.

٨ ـ أنّ التضـادّ عامـل محـوريّ في تحقيق الانسـجام، وقد تضافـرت معه عوامل فرعيـة أُخرى (وهي نحويـة: الإحالة بالضمير، الربـط (الوصل) بالعطف، ومعجميـة كالتكـرار)، دعمت التضـادّ وزادت من قوة تأثيره في الانسـجام وسبك النصّ.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١ ـ الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليق: محمد باقر الموسوي، منشورات دار النعمان، ١٩٦٦م، النجف الأشرف.

٢ ـ الأضداد في اللغة، محمد بن القاسم ابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٨٧م، المكتبة العصرية.

٣ ـ أعيان الشيعة، السيد محسن العاملي، دار التعارف، بيروت، (د.ت)، (د.ط).

٤ ـ الإيضاح في علوم البلاغة، أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن القزويني، شرح: علي بو ملحم، دار الهلال، ٢٠٠٠م، بيروت، (د.ط).

٥ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣م، بيروت ـ لبنان.

٦ ـ البديع تأصيل وتجديد، منير سلطان، منشأة المعارف، ١٩٨٦م، الإسكندرية.

٧ ـ البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية، عبد المجيد جميل، الهيئة المصرية العامّة، ١٩٩٨م.

٨ ـ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٩ ـ البنى الأسلوبية في النصّ الشعري، راشد بن محمد بن هاشل الحسيني، ط١، ٢٠٠٤م، دار الحكمة، لندن.

١٠ ـ تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، (د.ط) (د.ت).

١١ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل

إبراهيم، دار المعارف، ١٩٧٤م، مصر.
١٢ ـ التعريفات، الشريف الجرجاني، ضبطه: محمد علي أبو العباس، ط١، ٢٠١٣م، دار الطلائع، القاهرة.
١٣ ـ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط٥، ١٩٩٨م، عالم الكتب، القاهرة،.
١٤ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسين بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٥، ١٩٨١م، دار الجيل، لبنان.
١٥ ـ الكامل في التاريخ، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق: عبد الوهاب النجار، ١٣٥٦هـ، مصر.
١٦ ـ كنز العمال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق وضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م، بيروت ـ لبنان.
١٧ ـ لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، ط٢، ١٩٩٢م، دار إحياء التراث العربي، لبنان.
١٨ ـ لسانيات النصّ.. مدخل لانسجام الخطاب، محمد خطابي، ط١، ١٩٩١م، المركز الثقافي العربي، بيروت.
١٩ ـ اللسانيات النصّية في الدراسات العربية الحديثة، د.خالد حميد صبري، ط١، ٢٠١٥م، منشورات ضفاف، لبنان.
٢٠ ـ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم المعروف الراغب الإصفهاني، ضبط: هيثم طعيمي، ط١، ٢٠٠٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢١ ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام، محمد بن أحمد الخوارزمي، تحقيق: محمد السماوي، منشورات مطبعة الزهراء، ١٩٤٨م، النجف الأشرف.

٢٢ ـ مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم، مؤسسة الخرسان، ١٤٢٦هـ، بيروت ـ لبنان.

٢٣ ـ نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحسين بن محمد بن الحسن الحلواني، مؤسسة الإمام المهدي، ١٤٠٨هـ، قم.

٢٤ ـ نظرية علم النصّ رؤية منهجية في بناء النصّ النثري، حسام أحمد فرج، ط١، ٢٠٠٧م، مكتبة الآداب، القاهرة.

الرسائل والأطاريح

٢٥ ـ ظاهرة التقابل في اللغة العربية، عبد الكريم محمد حافظ، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٩م.

البحوث والمقالات

٢٦ ـ الترابط النصّي على مستوى عالم النصّ من خلال (فلسفة الثعبان المقدّس) د. سهل ليلى، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر ـ بسكرة، بحث منشور على شبكة الإنترنت.

٢٧ ـ التقابل في الصحيفة السجادية، مجيد محمد، د.عيسى متقي، د. علي رضا محمد، بحث منشور في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، إيران، ع١٥، ٢٠١٣م.

التقابل الأُسلوبي في خُطب الإمام الحسين بن علي عليهما السلام

م. د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي*

أ. م. هادي سعدون العارضي**

المقدّمة

لقد آثرتُ ومنذ الدراسات الأولية البحث في المجالات البلاغية للقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وتراث أهل البيت عليهم السلام، فكان بحث التخرج يحمل عنوانا بلاغياً: (أُسلوب النداء في القرآن الكريم)، وبحث الماجستير: (التصوير الفنّي في خطب المسيرة الحسينية من مكّة إلى المدينة)، وتوالت البحوث على هذا النهج، فكان أوّل بحث قدّمته للترقية العلمية بحث: (التصوير الصوتي في سورة الزلزلة)، وبحث: (الانسجام النصّي في خطب نهج البلاغة)، وبحث: (الانسجام النصي لوصية الإمام الكاظم عليه السلام)؛ لما تمتلكه تلك النصوص من غنىً معرفيٍّ، يمنح الدارس القدرة والقوّة على تحليل النصوص الأُخرى، فهي الأصل، وما تبقّى فروع منها؛ لذلك يتواصل اختياري للبحث في تراث أهل البيت عليهم السلام، كونه تراثاً يستحق العناية والاهتمام؛ لما فيه من قيم أخلاقية وفكرية وإنسانية.

وتعدّ خطب الإمام الحسين بن علي عليهما السلام إحدى تلك الدُرر الإنسانية المستمدّة أصالتها من تعاليم ديننا الحنيف، في كيفيّة التعامل السليم بين أبناء البشر عامّة، والمسلمين خاصّة، ولم تفارقني الرهبة والخوف من التقصير في كتابة البحوث

---

* مركز دراسات الكوفة.

** كلية التربية الأساسية.

السابقة وهذا البحث؛ كوني أقف أمام شخصية ارتشفت علمها من معين الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، ففاض لسانها بشتّى العلوم والمعارف الإنسانية بالرغم من الظروف والصعاب المريرة المعروفة التي أُحيطت بها، فعزمنا بعد التوكّل على الله سبحانه وتعالى لدراسة فنِّ التقابل الأُسلوبي في خطب الإمام الحسين عليه السلام، والذي يمكن عدّه ـ هذا الفنّ ـ من الفنون التي يمكن أن تشكِّل ظاهرة أُسلوبية تستحق الدراسة والتمحيص، وتعميق الرؤى في أبعاده التصويرية المتحققة، من خلال التقابلات الأُسلوبية بشكل واضح، فتمحورت الدراسة بتمهيد في التقابل والأُسلوب، لغة واصطلاحاً، تبعها ثلاثة مباحث جاءت على النحو الآتي:

أولاً: المبحث الأوّل: التقابل الدلالي بين الصور.

ثانياً: المبحث الثاني: التقابل الدلالي بين المشاهد.

ثالثاً: المبحث الثالث: التقابل الدلالي بين المواقف.

وبعد تلك المباحث جاءت قائمة المصادر والمراجع داعين من الله التوفيق.

التمهيد: التقابل الأُسلوبي

يتسارع من حولنا عالم النظريات والتحليلات الحديثة في الأبحاث والمؤلفات الأدبية، ومعه تتسع خطى البحث عن جماليات النصوص الفنّية، فيعمد الباحثون على تقصّي أبعاد هذه النظريات في تحليلاتهم الفنّية للنصوص الإبداعية الشعرية منها والنثرية، فمنهم مَن يحمِّل تلك النصوص ما لا تحتمل، ومنهم مَن يجد ضالّته فيها، فيعمِّق البحث ويؤصِّل، ولعلّ التحليلات الأُسلوبية من أهمّ الدراسات اللسانية الحديثة التي استهوت الباحثين، وكسبت ودّهم لاكتشاف حقيقة الإبداع في النصوص الأدبية، والتحليل الأُسلوبي ومدياته المعرفية، وقدراته على فكّ شفرات النص؛ لذلك سيقوم البحث على دراسة (التقابل الأُسلوبي في خطب الإمام الحسين بن علي عليهما السلام لمعرفة مدى أبعاد هذا التقابل عند أهل البيت عليهم السلام، والسرّ الذي

تستمدّه تلك النصوص الخطابية، وما جذور تلك الخصوبة الفنّية القادرة على مواكبة النظريات الحديثة على مرّ العصور.

وقبل الخوض في ذلك علينا المرور بسرعة على الأصل اللغوي للتقابل، والذي يعود في أصل جذره اللغوي إلى (ق.ب.ل)، فأرجعه الخليل (ت١٧٥هـ) إلى معنى المواجهة في قوله: «**القبل: من إقبالك على الشيء، تقول: قد أقبلت قبلك، كأنّك لا تريد غيره... وفي معنى آخر هو التلقاء. تقول: لقيته قبلاً، أي: مواجهة**»[١]. في حين نجده عند ابن منظور (ت٧١١هـ) يعني المواجهة، وهذا ما يبدو في قوله: «**قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالاً: عارضه**»[٢]. وقد تطور الأصل اللغوي واتّسع للمفردة عند ابن منظور والفيروز آبادي (ت٧١٨هـ) ليدلّ على المعارضة، وهذا ما يتجلّى في قول الأخير: «**وقبل على الشيء وأقبل: لزمه وأخذ فيه. أقبلته الشيء: جعلته يلي قبالته. وقابله: واجهه، وقابل الكتاب: عارضه**»[٣].

ويُعرّف التقابل في الاصطلاح على أنّه: «**لفظتان تحمل كلّ واحدة منهما ضدّ المعنى الذي تحمله الأُخرى، كالخير والشرّ، والسلام والحرب... فهي بهذا المعنى تختلف عن الأضداد؛ لأنّ الأضداد هي كلّ لفظة تحمل المعنى وضدّه، كالسليل بمعنى: المعافى والملدوغ**»[٤].

وللتقابل أنماط متعددة تُقسّم على قسمين هما:

القسم الأول: يكون على وفق درجة الوضوح والخفاء، فيكون على نمطين (الخفي والظاهر).

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٥، ص١٦٦ـ١٦٧.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١١، ص٥٤٠.

(٣) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج٤، ص٣٣.

(٤) الجنابي، أحمد نصيف، ظاهرة التقابل الدلالي في سورة الزمر، بحث منشور في مجلة الرسالة الإسلامية، ١٩٨٨م: ص٩٠.

القسم الثاني: يبدأ من حيث ينتهي القسم الأوّل، فيعتمد على الدرجات الدلالية الجامعة بين الطرفين، فيزيد أحدهما على الآخر في علاقته الدلالية[1]، وسنسلِّط الضوء في دراستنا على النمط الأُسلوبي بعد التعرّف على الأُسلوب في اللغة والاصطلاح.

الأُسلوب لغةً

عرّف أصحاب المعاجم العربية الأُسلوب في اللغة على أنّ: «**السين واللام والباء مستعملات: سلب، وكلّ لباس على الإنسان سلَب، والسَّلَب: ما يُسلب به، والجمع أسلاب. والأُسلوب: الناقة التي يؤخذ بها ولدها، وجمعه: سلائب، والسليب: الشجرة أخذت أغصانها وأوراقها**»[2]، كما قيل: بأنّ الأُسلوب بالضم: الفَن؛ فيقال: أخذ فلان لأي أساليب من القول، أي: أفانين منه، وهذا ما جاء في قول ابن منظور في لسان العرب بأن يقال: «**للسطر من النخيل أُسلوب، وكلّ طريق ممتدّ، فهو أُسلوب. والأُسلوب: الطريق والوجه والمذهب، والأُسلوب: الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين**»[3].

ومن خلال ذلك؛ يمكن القول: بأنّ كلمة (أُسلوب) في المعاجم العربية تقع تحت معاني: «**الأخذ والانتزاع، وارتبطت بمفهوم العطاء المادي والمعنوي**»[4]، وترجع كلمة أُسلوب (*style*) في الأدب الغربي إلى الكلمة اللاتينية (*stilus*)، والمقصود بها: القلم أو أداة الكتابة[5].

---

(١) أُنظر: الصفار، منال صلاح الدين عزيز، التقابل الدلالي في القرآن الكريم (رسالة ماجستير): ص٨ـ٢٣.

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج١، ص٤٧٤.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٤٧٤، مادة (سلب).

(٤) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية: ص١٠.

(٥) أُنظر: المسدي، عبد السلام، الأُسلوبية والأُسلوب (نحو بديل ألسني في نقد الأدب).

الأُسلوب اصطلاحاً

مَـن يتأمّل النصوص النقدية العربية القديمة، يجد أنّ أغلب المصطلحات الحديثة وجدت مفاهيمها عندهم بصورة نقدية مميزة، والأُسلوب من المصطلحات التي حدّد مفاهيمها النقّاد العرب، فنظروا إليه من زوايا كثيرة، لا نريد التوسّع فيها، ويكفي أن نشـير إلى ما ذكره عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧٤هـ) والسكاكي (ت٦٢٦هـ)، فرأى عبـد القاهر أنّ الأُسـلوب: «**الـضربُ من النظـم والطريقةُ فيه**»[١]، وفي كلامه إشـارة صريحـة بأنّـه يعني طريقة الكاتـب في نصٍّ ما. أمّا السـكاكي، فيراه: «**بين الأُسـلوب وخاصيـة أُخـرى في التعبير، هي خروج الـكلام عن مقتضى الظاهر بـما يحويه من أفانين بلاغية، أو ما أسماه بالأُسلوب الحكيم**»[٢].

ومَـن يتأمّـل آراء النقّـاد القدامى في مفهوم الأُسـلوب يجـد أنّ الجرجاني قد قطع شـوطاً كبيراً في تحديده من خلال آرائه التـي تعد النقطة المركزية التي انطلقت بعدها الدراسات الحديثة على ضوء نظرية النظم، فالنظم عنده: «**ليس ضمّ اللفظ إلى اللفظ، بـل لا بـدّ من مراعاة تناسـق دلالتهـا وتلاقي معانيها عـلى الوجه الـذي يقتضيه العقل. كلّ ذلـك يتمّ في إطار توخّـي معاني النحو. وهو يصف عملية الإبداع يجعل الأُسـلوب اختيـاراً، حيـث يشـبه المبـدع بالبناء الـذي يَتخَـير موضع الحجـارة**»[٣]، وقد شـهدت الدراسـات الحديثة تطوراً ملحوظاً في هذا المصطلـح من خلال انفتاح النقّاد العرب عـلى الدراسـات اللغويـة الغربية وربطهـا بآراء النقـاد العرب من خلال دراسـاتهم المقارنة، فنتج عن ذلك دراسـات عربية حديثة للأُسـلوب، وعلى قلّتها اشـتهر كتّابها بآرائهم واهتمامهم بمصطلح الأُسلوب[٤].

---

(١) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني: ص٤٦٩.

(٢) الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة: ص١٦٢.

(٣) ابن يحيى، محمد، السمات الأُسلوبية في الخطاب الشعري: ص٣٨.

(٤) أُنظر: المسدي، عبد السلام، الأُسلوبية والأُسلوب (نحو بديل ألسني في نقد الأدب). محمد عبد المطلب، البلاغة والأُسلوبية. الحسيني، راشد حمد، البنى الأُسلوبية في النص الشعري.

ولا يخفى بأنّ الدراسات العربية القديمة قد تنبهت لأثر دراسة الأساليب في تحليل النصوص الفنّية، وهذا ما سارت عليه بعض الدراسات الحديثة، وهذا ما سيسير عليه البحث في تقصّي ظاهرة التقابل الأُسلوبي في خطب الإمام الحسين عليه السلام من خلال المباحث الآتية:

١ـ التقابل الأُسلوبي بين الصور.

٢ـ التقابل الأُسلوبي بين المشاهد.

٣ـ التقابل الأُسلوبي بين المواقف.

المبحث الأول: التقابل الأُسلوبي بين الصور

ليس يسيراً على المبدع عملية انتشال المفردات المحبوسة في المعاجم، وفك رقابها، فهي بحاجة لتسلحه بقدرات متنوعة، تمكنه اقتحام أسوار تلك المعاجم، واختيار ما يمكن أن يرسم له صورة مؤثِّرة في المتلقي على وفق النظرية المقامية، وقصدية المبدع للنصِّ، وهذا ما يمكن أن يكتشفه الباحثون في دراستهم للنصوص الفنّية على مرّ العصور، وقد ترك لنا أهل البيت عليهم السلام نصوصاً فنّية غزيرة المعاني والصور، فانمازت بخصوبتها، وتناسبها لتأمّلات البحث، والتقصّي في أيّ عصر من العصور، وللمستويات العلمية والثقافية والأدبية قديمها وحديثها، وهذا ما نجد مصاديقه في دراستنا التي تستند في منهجها على الدراسات الأُسلوبية الحديثة في جزئية التقابل الصوري نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام بعد نزوله كربلاء، وفي اليوم الثاني من محرّم سنة إحدى وستّين قال: «... **فَإنّ النَاسَ عَبِيدُ الدُنيا، وَالدِينُ لَعِقٌ على ألسنتهم، يَحُوطونه ما دَرّت مَعائشُهُم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قَلّ الدَيّانُون**»[1].

كثيراً ما تُقدِّم النصوص الأدبية صورة واضحة، وصادقة عن أُصول الأشياء،

(١) ابن نصر الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص٨٧. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٣٧. الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٧٨.

كونها لا تؤشر لأشياء ألفها الناس، بل ينظر مبدعو تلك النصوص لزوايا مختلفة، ولكنّها قريبة ومؤثِّرة في المتلقين، فتكسب التأييد والتأثير.

والصورة التقابلية التي رسمها الإمام عليه السلام للناس في عهده، كشفت عن نظرة ثاقبة للمجتمع الذي يعيش فيه، وقبل الخوض في تفاصيل التقابل الصوري، لا بدّ من تعميق الرؤية في هذا النصّ الذي يحمل تكثيفاً صورياً عالياً ومميّزاً، حتى وإن كان قليلاً ومختصراً، فكشف من خلاله المنشئ كيفيّة تحول: «**الأهداف السامية إلى شعارات برّاقة، تسيرها المنافع الذاتية، وتبدّلت التعاليم السماوية بتعاليم أرباب الملك والنفوذ، حتى غدت سنواته عليه السلام سنواتٍ عجافاً تكاد تميز من الغيظ**»[1]، فمنح التشكيل الصوري القائم على أساس الفنّ التشبيهي، «**فالمشبّه (الدين) عين المشبّه به (اللعق) على نحو المبالغة والإيهام؛ لذا طرح عليه السلام الأداة وغيبها عن تشبيهه، هذا فضلاً عن إسقاط وجه الشبه، وفي ذلك دليل على عظيم الشرخ الذي لحق دين المسلمين**»[2].

وعلى وفق ما أوحت به الصورة التشبيهية، يتجسّد التوظيف الاجتماعي من رؤية المنشئ للوسط الاجتماعي من حوله، فـ«**اللعقة: هي الشيء القليل جدّاً، فلا هي غذاء مشبع، ولا يمكن إنكار مذاقها، إلّا أنّه مذاق باهت ضعيف لا يؤثر شيئاً ولا يبقى طويلاً، والذين دينهم لعق على ألسنتهم لا يشعرون بأنّ الدين له دور في حياتهم، يملأ نفوسهم، ويوجه سلوكهم، هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر لا يشعرون أنّهم تجرّدوا عن الدين حتى تؤنِّبهم وتوبِّخهم ضمائرهم ليعود إليهم، بل هو لعق يبرح ويلوح، ثمّ سرعان ما يزول، بل ينمحي عند البلاء والتمحيص**»[3]، وهذه الصورة تستمدّ جذورها من التصوير القرآني في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾[4].

(١) الجديع، حيدر محمود شاكر، نثر الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٢.
(٢) المصدر السابق: ص٢٣.
(٣) الآصفي، محمد مهدي، في ظلال الطف: ص١٥٩.
(٤) الحج: آية١١.

وعندما يكون الفرد أهم وحدة تكوينيّة للمجتمع، فبناؤه وعدّه نفسياً وفكرياً من المهمات الكبيرة التي تُلقى على عاتق علماء الأُمّة وقيادييها؛ لبناء مجتمع إسلامي رصين[1].

وبعد معرفة أبعاد الرسم التقابلي للصورة المتكونة في الخطاب، يتحرّك البحث الآن في اتّجاه تعميق التحليل للصورة التقابلية، وما رسمته من أبعاد تصويرية، فيجد أنّها تكشف بوضوح عن الحالة الازدواجية للمخاطبين، وبصورة فنّية واحدة تفرّعت منها صور تقابلية أُخرى، وهذا ما يندر حدوثه في النصوص الإبداعية، فهم متدينون بدين الله شكلاً لا جوهراً، وبذلك يمكن أن تعطي الصورة ومضة حيّة لصورة الناس المخاطبين الأُولى، وهي (عبيد الله شكلاً) مقابل صورة أُخرى لهم، صرّح بها المنشئ في قوله: (الناس عبيد الدنيا)، وهذا التقابل المعنوي، كشف لنا صورة التناقض الحاد عند المخاطبين، وهذا ما يمكن أن نرسمه بالشكل الآتي:

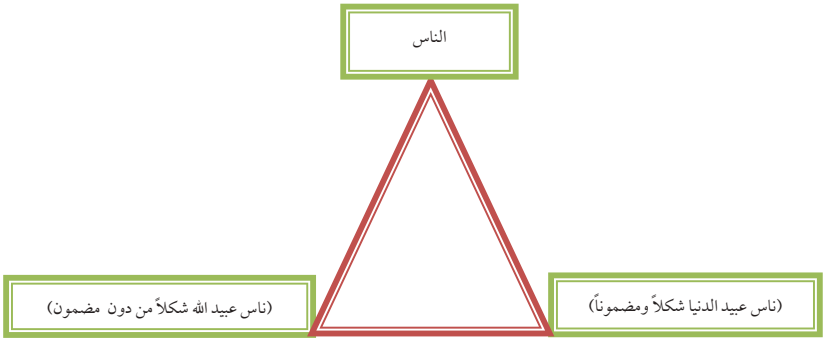

وفي الخطاب ذاته، نجد أنّ هناك تقابلاً صورياً آخر، يجمع طرفيه (البلاء)، فيعطي الصورة الفنّية مديات تعبيرية أوسع، يكشفها المتلقّي من خلال السياق، فهؤلاء الناس (تلعق ألسنتهم بقول الله وأوامره)، ولكنّهم عند (التمحيص والبلاء) لن تجد مَن (يستطع أن ينطق لسانه بقول الله) إلّا القليل، لما تمنحه له الدنيا من اشترار لملذاتها

(١) أُنظر: العارضي، هادي سعدون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: ص١٧٨.

وشهواتها من أموال ومناصب، وهذا ما يمكن أن يكون أكثر وضوحاً بالشكل الآتي:

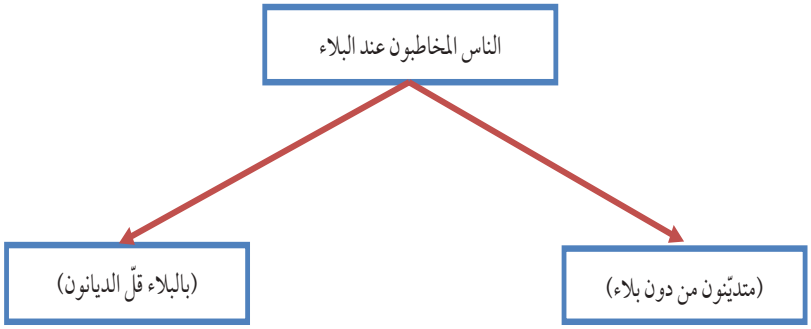

وبذلك تكتمل أبعاد الصورة الأُولى التي بدأت بالرسم الفعلي (لعبيد الدنيا)، فتمنح المعنى وضوحاً وجلاءً عن حال المنافقين الذين كثروا في عهده، فغلبت عليهم الدنيا، وسيطرت على عقولهم واستهوتهم، فأخذوا يحرّفون الكلم عن مواضعه للكسب والمناصب، فتظهر لنا الصورة التقابلية على الوجه الآتي:

ازدواجية الناس:

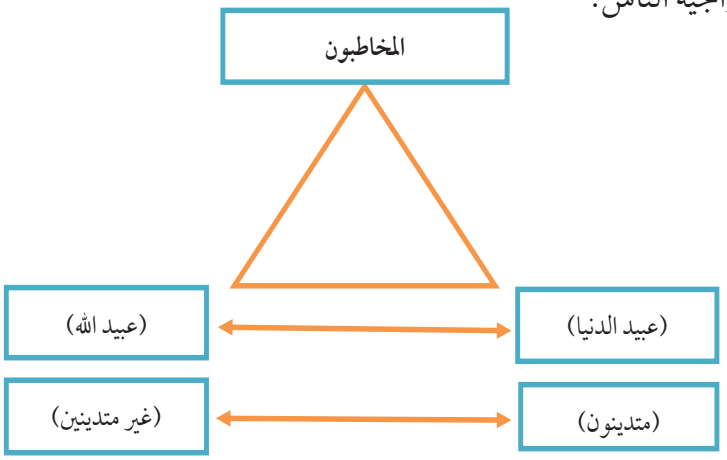

وهذا ما لا يخلو منه عهد أو عصر من العصور، فلا نكاد نجد عهداً يخلو من هؤلاء الناس، وهذا ما يمنحنا الحقّ في القول: إنّ الصورة لم تكن تتحدّث عن عصر أو حقبة معينة، بل كانت شمولية وذات أبعاد طويلة الأمد وخالدة، وهذه ميزة النصوص الفنية الرفيعة التي تنماز بقدرة مبدعها في تشكيل الصورة، فتبعث

عنـصر الخيال في ذهـن المتلقي، وتذهب بـه مذاهب بعيدة في تلمـس جمال الصورة، «**فـلا تنفـض أسرار المعاني الإيحائيـة فيها، وقلّما تعـرف النهاية، فتتجـدد جيلاً بعد جيل كموضوع حي يحمل من المعاني ما لا سبيل إلى الإلمام به، فهو شخصية عميقة تحمل كثيراً من التأويلات**»[1]، ومن خلال ما تقدّم نجد أنّ التقابل الصوري في الخطاب الحسيني حقق الأُمور الآتية:

١ـ منح التقابل الصوري في الخطاب تصويراً عميقاً لحالة الازدواجية الحادّة، التي يمكن أن تصيب الناس عبر العصور، فيقولون ما لا يفعلون، وهي صورة استمدّت جذورها من التعبير القرآني كما مرّ بنا، إلّا أنّ المنشئ قد ألبسها ثوباً جديداً، صوّر فيه الحدث تصويراً دقيقاً ومعمّقاً ومؤثراً.

٢ـ لم يقتصر الخطاب على التصوير للحالة وعرضها، وإنّما عمد المنشئ التأكيد على مسـألة النصح والإرشاد، وعدم الانقياد للدنيا وملذاتها، فربط المنشئ هذه القصدية بوشـائج صورية مؤثرة، منحت الخطاب وضوح الصـورة وتعميقها في ذهن المتلقي بقدرة تعبيرية جذبت نحوها نفوس السامعين وتفاعلت معها.

ومـن أمثلة الصور التقابليـة الأُخرى ما نجده في خطاب الإمام الحسـين عليه السلام بعد عـزم القوم عـلى قتله فيقول: «**إنّه قد نَزَلَ مِـن الأمْرِ مَا قد تَـرُون، وإنّ الدُنْيَا قد تَغيّرتْ وَتَنكّـرَت، وأَدْبَـرَ مَعْرُوفُهَا، وَاسْـتَمَرّت** [حـذاء][2]**، فَلَم يَبْـقَ منْهَا إلّا صَبَابَـةً كَصَبَابَة الإنـاءِ، وَخَسِـيسِ عَيشٍ كَالمَرعَى الوَبِيـل، أَلا تَرُونَ أَنّ الحَقَّ لاَ يُعْمَـلُ به، وأنّ البَاطِل لاَ يُتَنَاهَى عَنه، لَيَرغَبَ المُؤمِن فِي لِقَاءِ الله مُحِقّاً، فَإنِّي لا أَرَى المَوتَ إلّا سَعَادَةً وَ**[لا][3] **الحَيَاةَ**

(١) العارضي، هادي سعدون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: ص٧٧.
(٢) في تاريخ الطبري: (جداً)، أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٠٣.
(٣) في بعض المصادر من قبيل: أبو نعيم الإصبهاني، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء: ج٢، ص٣٩. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٤، ص٣٣٣. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٧، (لا) محذوفة.

مـع الظَالِمِينَ إلّا بَرَمَا»[1]، مَن يتقصى النصّ يجد كثيراً من الألفاظ المتقابلة التي ترسـم مـن خلال تعاضدها مع السـياق عمقـاً تصويرياً مؤثّـراً من خلال فنّ التشـخيص، والذي يقوم على أساس إعادة تشكيل الأشياء بهيئة تركيبية جديدة ومغايرة لطبائعها الأصليـة، فإنّ خلع الجزيئات التشـخيصية لمعنويات (الدنيـا، الحق، الباطل، الموت، الحيـاة، الشـهادة، البرم) بإعـادة بنائها يُعد مفارقة في السـمة التعبيرية في تشـكيلات النـصّ وتأليف الأشـياء هـي مفارقة، اسـتمدّت إيحاءاتها من الواقع الحـي لتجلّيات الحدث[2]، لخروج تشـكيل الصورة عـن إدراك المتلقي ضمن أُطر الترابط الحسيّ بين الأشـياء، إلّا أنّ بناءهـا عـلى غير المتوقّع أكسـبها جواً من الرهبـة المتلبس بالغموض ويوشـحها بمعنى يـكاد يُفـارق معناها الأصلي، وما تلـك المفارقـة في الوظائف إلّا لملائمة حجم الحدث وانسجاماً مع عظم الوقع.

وممّا تقدّم نجد الآتي:

١ـ أنّ للتقابـل الأُسـلوبي مـن خلال الصـور البيانيـة والفنون البديعيـة حضوراً واضحاً لتعميق المعنى وتأكيده في نفس المخاطب.

٢ـ تأثّـر أُسـلوب الإمام عليه السلام في طريقـة عرضه للصـور المتقابلة بأُسـلوب القرآن الكريـم؛ مـن خلال عرض الصور والمواقف بطرق كثيراً ما نجدها سـائدة في طريقة

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٠٣ ـ ٤٠٤. ابن عبد ربّه الأندلسي، أحمد ابن محمد، العقد الفريد: ج٥، ص١٢٢. ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله: ص٢٤٥. ابن نصر الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص٨٧ـ٨٨. أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء: ج٢، ص٣٩. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٧. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص٧٦. الأشتري، ورّام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢، ص٤٢١. ابن طاووس، علي ابن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٣٨. الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة: ج٢، ص٤٨٠ـ٤٨١. مع اختلاف بين المصادر في بعض الألفاظ (البرم: العجز والملالة).

(٢) هناك من المصادر ما تروي تغيّر العالم العلوي بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، عندما ارتفعت في ذلك الوقت غبرة شديدة سوداء مظلمة، حتى ظنّ القوم أنّ العذاب قد جاءهم، أُنظر في ذلك: الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٤٢.

عرض الصور القرآنية، إمّا عن طريق التشخيص القائم على خلع السمات الإنسانية على الكائنات الحيّة وغير الحيّة، فيمنحها سمات الإنسان في الحركة والتعقّل والتدبّر، أو عن طريق عرض الصور والمشاهد الحيّة بتقديم طائفة من المعاني والدلالات المجرّدة[1]، وهذا ما وجدنا مصاديقه في قوله عليه السلام: «...**إنّهُ قَدْ نَزَلَ من الأمْر مَا قَدْ تَرُونَ، وَإنّ الدُنْيَا قَدْ تَغيَّرتْ وَتَنكّرَت وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا**...»[2].

ويبدو أنّ فنّ (التشخيص)[3]، منح الدنيا عن طريق الاستعارة حركة غير متوقعة لدى المتلقّي، فكان لها أثر مؤازر، لما في نفس المنشئ من آثار نفسية تجاه الحدث وآثاره الجسيمة؛ لتعزيز الصورة في ذهن المتلقّي، وتولده رغبة التأمّل في تداعيات الصورة الاستعارية[4]، وورود المستعار (التنكر، الإدبار...) بصيغة الفعل منحت الصورة الحيويّة والحركة، لما ألقته الأفعال في السياق الخطابي في روع المخاطب من إيهام وحركية[5]، فتحوّل المعنى الذهني إلى كائن حيٍّ يُمارس النشاط الإنساني، وبذلك «**أتاحت العناصر الاستعارية في سياق تركيبها للعين أن ترى مشهداً لن يتحقق إلّا بسحر الخيال**»[6]، وهذا ما يشدّ ذهن المتلقّي، ويثير إحساسه في التفاعل مع المعنى، ويكشف عن حالة الامتعاض والانكسار المساور لقلبه عليه السلام تجاه تحلل العامّة من القيود[7].

وممّا تقدّم؛ يمكن القول: بأنّ التقابل بين الصور البيانية كان له الأثر الكبير في

---

(١) أُنظر: القرعان، فائز عارف، التقابل والتماثل في القرآن الكريم: ص١٤٨.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٠٣ـ٤٠٤.

(٣) (التشخيص والتجسيم) مصطلحان أشار إلى مفهومهما الجرجاني في قولهِ: «... فإنّك لترى بها الجماد حيّاً ناطقاً والأعجم فصيحاً، والأجسام الخُرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية». الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة: ص٤٢.

(٤) أُنظر: العارضي، هادي سعدون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: ص١٠٢ـ١٠٣.

(٥) أُنظر: المساوي، عبد السلام، البنيات الدالة في شعر أمل دنقل: ص٩٢.

(٦) المصدر السابق: ٩٣.

(٧) أُنظر: العلايلي، عبد الله، الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٥٧. العارضي، هادي سعدون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: ص١٠٣.

تعميق المعنى في ذهن المتلقّي، لما له من قدرة على الجمع بين المتضادات، وإلباسها ثوباً فنّياً يفرض على المخاطب التأثّر به، وبجمال لغته، وإن لم يأخذ به فعلاً؛ لأسباب ترتبط بقدرته على مواجهة النفس وتوجّهاتها الطامعة في مغريات الدنيا وملذاتها.

المبحث الثاني: التقابل الأُسلوبي بين المشاهد

يكاد يُجمِع أصحاب المعاجم بأنّ المشهد في اللغة يعني: «**مَجمَع الناس، والجمع: مشهد، ومشاهدة مكة: مواضع المناسك**»[1]، ويعرّف المشهد في الاصطلاح بأنّه: «**ما يقتضي حضوراً مكثّفاً من الصور التي تتكفّل نقل الواقع من زوايا مختلفة، أو هو: الصورة التي تحتوي على عناصر مختلفة من المواقف والشخصيات**»[2]، ومن خلال ما عُرِّف به المشهد في اللغة والاصطلاح تنبثق لدى القارئ رؤية أنّ المشهد يقترب بصورة مباشرة أو غير مباشرة بطريقة عرض المنشئ للصور والمواقف التي طالما يركِّز عليها صاحب النصّ؛ لتحقيق التأثير في المتلقّي إذ يقتنص المبدع اللقطات اليوميّة ويستثمرها في تفعيل الموقف أو الحدث الموصوف أو المصور؛ لإيصال تصوراته للفعل بدلاً من توجّه التفسيرات المطروحة على النصّ[3]، ولم تكن تلك المصاديق غائبة عن النصوص الخطابية للإمام الحسين عليه السلام، فكثيراً ما كان يعرض تلك المشاهد ويقارن بين صورها، من ذلك قوله عليه السلام بعد أن عزم القوم على قتله في واقعة كربلاء: «...**ألاَ وَقَدْ أَعْذَرتُ وَأَنذرتُ، أَلاَ وَإِنِّي زَاحِفٌ بهذه الأُسْرَة عَلَى قِلّة العَدَد وَكَثْرَة العَدوّ، وَخِذلاَنِ النَاصِر...**»[4].

يرسم لنا الإمام عليه السلام مرارة المشهد من خلال مفردة (الزحف) التي كانت انطلاقة

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٣، ص٣٩٨. وأُنظر: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج١، ص٣٠٦.

(٢) الخالدي، تغريد فلحي كظوم، التقابل الدلالي في نهج البلاغة (رسالة ماجستير): ص١٥٥.

(٣) أُنظر: الجنداري، إبراهيم، الفضاء الروائي عند جبر إبراهيم جبر: ص١٣٩.

(٤) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٥. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٤، ص٣٣٣. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٥٦.

التصوير للمشهد التقابلي بين الفريقين، لما تمنحه هذه المفردة من أبعاد تصويرية، لا يحتاج المتلقّي شرحها والتدقيق فيها، فوظّفها المنشئ وكانت بداية لرسم المشهد التقابلي الأوّل القائم على أساس (الإنذار ـ الإعذار)، و(السير للمعركة بقلّة الناصر ـ وكثرة العدو)، فالمنشئ سيخوض المعركة مضطراً للإصلاح في أُمّة الإسلام، بعد أن فسدت العقول، وغلبت على الناس شهواتهم، ولكن كيف كان مشهد مَن يخوض المعركة؟ وما المشهد المقابل لَمن يخوض المعركة؟ هذان السؤالان يقودان بالضرورة لعرض المشهدين في المعركة وهما:

المشهد الأوّل: مشهد زحف الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه لمعركة غير متكافئة في الموازين الدنيوية، والتي صرّح بعدم تكافؤها في (قلّة العدد، وخذلان الناصر) من جهة، وكذلك فرض خوض المعركة من جهةٍ أُخرى، على الرغم من إنذار المنشئ بعواقبها الوخيمة على الطرف الثاني.

المشهد الثاني: مشهد إصرار المخاطبين على خوض المعركة، على الرغم من الإنذار بالعواقب، فهم سيخوضونها بإرادة النفس لا إرادة العقل؛ كونهم يملكون من العدّة والعدد ما يمكنهم من تحقيق ما تفرضه النفس عليهم، وما يتجلّى وبوضوح الرحمة التي يمتلكها أهل البيت عليهم السلام حتى لَمن يريد قتلهم، وهذا ما تؤكده القرائن التاريخية[1]، وكذلك الإشارات الواضحة والجلية في الخطاب الذي بين أيدينا، فالإمام عليه السلام قد نبّه القوم بأداة التنبيه والتحذير (ألا) وكررها أكثر من مرّة، وهي من حروف المعاني التي غالباً ما يوظّفها المنشئ للتنبيه وافتتاح الكلام[2]، وممّا لا شك فيه أنّ تكرارها لأكثر من مرّة، يعطي دلالة واضحة بأنّ المنشئ أراد أن يؤكّد المعنى في ذهن المخاطبين، ويزيد من نسبة حذرهم، ومحاولة إعادتهم لعقولهم، بالتعاضد مع ما قدّمه التقابل الأُسلوبي من خلال (أعذرت) و(أنذرت) و(قلّة) و(كثرة)، والتي أفضت إلى زيادة

(١) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٠٢ ـ ٤٢٥.
(٢) أُنظر: الرماني، علي بن عيسى، معاني الحروف: ص١١٣.

التوتّر النفسي لدى المخاطب[1]، فضلاً عن إيقاعية الألفاظ، وتقابلها، وما حقّقته من غرابة، واستهجان للمخاطب؛ إذ زادت من «**وطأة التعريض بالخصم واستهجانه الذي آثر الإخلاد إلى منطق الغدر والخيانة على منطق النصرة والمؤازرة**»[2].

ومن أمثلة التقابل الأُسلوبي بين المشاهد قول الإمام عليه السلام في إحدى خطبه: «**أَيُّهَا النَاسُ، إنّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله قَالَ: مَنْ رَأَى سُلْطَاناً جَائِراً مُسْتَحِلاً لِحُرَم الله نَاكِثاً لِعَهْدِ الله مُخَالِفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ الله يَعْمَلُ فِي عِبَادِ الله بِالإِثْمِ وَالعُدوَانِ، فَلَم يُغيِّر عَلِيهِ بِفِعْلٍ وَلاَ قَولٍ؛ كَانَ حَقاً عَلى الله أَنْ يُدخِلَهُ مُدْخَلَهُ، أَلاَ وَإِنَّ هَؤُلاَءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيطَان وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَحمَنِ، وَأَظْهَرُوا الفَسَادَ وَعَطَّلُوا الحُدُودَ وَاسْتَأْثَرُوا بِالفِيءِ، وَأَحَلُّوا حَرَامَ الله وَحَرَّمُوا حَلاَلَهُ وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيَّر، قَدْ أَتَتنِي كُتُبُكُم وَقَدِمَت عَلَيَّ رُسُلُكُم بِبَيعَتِكُم أَنَّكُم لاَ تُسلِمُونِي وَلاَ تَخذِلُونِي، فَإِنْ تَمتُم عَلَيَّ بِبيعَتِكُم تُصِيبُوا رُشدَكُم، فَأَنَا الحُسِينُ بنُ عَلِّي، وَابْنُ فَاطِمَةِ بِنْتِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، نَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُم وَأَهْلِي مَعَ أَهْلِيكُم، فَلَكُم فِيَّ أُسْوَةٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُم عَهْدَكُم وَخَلَعْتُم بَيعَتِي مِنْ أَعْنَاقِكُم، فَلَعَمْرِي مَا هِيَّ لَكُم بِنُكر لَقَدْ فَعَلتُمُوهَا بِأَبِي وَأَخِي وَابنِ عَمِّي مُسْلِم، وَالمَغْرُورُ مَنْ اغتَرَّ بِكُم...**»[3].

ومَن يمعن النظر في النصّ الخطابي يجد أنّ المنشئ يكثّف الفنّ التقابلي بين مشهدين، هما:

المشهد الأول: (طاعة الشيطان)، وما يخلِّفه من تداعيات على النفس الإنسانية من:

- إظهار الفساد.
- تعطيل حدود الله.

---

(١) أُنظر: الجديع، حيدر محمود شاكر، نثر الإمام الحُسين عليه السلام: ص٨٤.

(٢) الجديع، حيدر محمود شاكر، نثر الإمام الحسين عليه السلام: ص٨٤. وأُنظر: العارضي، هادي سعدون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: ص١٤٥.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٠٣. وأُنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٤٥. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٣٥. ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٠. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاخرة: ص٤٠.

- إحلال الحرام.
- تحريم الحلال.
- نقض العهد ونكثه.

المشـهد الثـاني: طاعة الرحمـن، وما يخلِّفـه هذا المشـهد من تداعيات عـلى النفس الإنسـانية، إلّا أنّ هـذا المشـهد لم يصرِّح المنشـئ بتقنياتـه التقابلية مرّة واحـدة، وإنّما يستوحيه المتلقِّي من خلال السياق المقالي، فقد صرّح بعنوانه المنشأ، وترك للمخاطبين متعة الكشف عن المعنى أو المشهد التصوري من خلال التقابلات المطروحة في المشهد الأول، فمَن يطع الرحمن (لا يظهر الفساد)، و(لا يعطِّل حدود الله)، و(لا يحلّ الحرام)، و(لا يحـرِّم الحـلال)، و(لا ينقض العهـد ولا ينكثه)، ويمكن أن نوضِّح المشـهدين، وكيفيّـة التعالـق بينهما، واكتشـاف التقابلات غير المصرِّح بها بهذا الشـكل المبسّـط:

المشهد الأول	المشهد الثاني
(طاعة الشيطان)	(طاعة الرحمن)
(إظهار الفساد)	(لا يظهر الفساد)
(تعطيل حدود الله)	(لا يعطل حدود الله)
(وإحلال الحرام)	(لا يحل الحرام)
(تحريم الحلال)	(لا يحرم الحلال)
(نقض العهد ونكثه)	(لا ينقض العهد ولا ينكثه)

وقبل الخوض في الدلالات الجزئية للتصوير لا بدّ من الإشارة بأنّ أبنية التقابل في النصّ الفنّي ضمن الدراسات الأُسلوبية الحديثة، يقسم على قسمين هما:

القسم الأول: التقسيم أو التكوين الجملي والذي يتكون من دالين في داخل الجملة الواحدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾[1]، وهذا ما نجده في الضدين (الذكر والأنثى) داخل الجملة الواحدة[2].

القسم الثاني: التقسيم أو التكوين النسقي، والذي يقوم على أساس وجود أربع دلالات متقابلة أو أكثر، فيشكل كلّ منها نسقين متوازيين[3]، وهذا ما نجده واضحاً في كلام الإمام السابق: «**أَلاَ وَإِنّ هَؤُلاَءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيطَان وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَحمَنِ، وَأَظْهَرُوا الفَسَادَ وَعَطَّلُوا الحُدُودَ وَاسْتَأْثَرُوا بِالفِيءِ، وَأَحَلُّوا حَرَامَ اللهِ وَحَرَّمُوا حَلاَلَهُ...**»[4].

ففي النصّ نجد تقابل النسق الدال مع نسق دال آخر، ويمكننا توضيح ذلك من خلال الشكل الآتي:

النسق الأول ← لزموا طاعة الشيطان ← لزموا آل الشيطان

النسق الثاني ← تركوا طاعة الرحمن ←

ومن خلال تحليل ما أنتجه النصّ في كلّ نسق تكويني من دلالات عن طريق عرض المشهدين ابتداءً من المشهد الأوّل القائم على أساس طاعة الشيطان، ووصولاً للمشهد الثاني طاعة الرحمن، نجد أن علاقات التقابل أنتجت ثلاثة أبعاد رئيسة هي:

---

(١) الليل: آية٣.

(٢) القرعان، فائز عارف، بنية التقابل وأثرها في توليد دلالة النص القرآني (بحث منشور على الموقع: *www.odabasham.net*): ص٥.

(٣) أُنظر: المصدر السابق.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٠٣. وأُنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٤٥. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٣٥. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٠. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاخرة: ص٤٠.

١ـ البعـد الزمنـي للنصّ والذي جعل المتلقِّي يعيش الزمن القادم من دون حدود أو فرضيات أو استفسـارات، فأصبح يعيش لحظات المشـهد الذي كشف عن القيود الدنيويّة الممسكة بهؤلاء الناس وغيرهم من الزمن القادم، القانطين للأموال، وحبّ الشـهوات، وهذا ما أنتجه النصّ من خـلال علاقات التضاد ضمن التركيب الجملي العام للنصّ الفنّي.

٢ـ البعـد المكاني الـذي حدّده المنشـئ مـن خلال التقابـل في المشـهدين، فجعل المخاطب أينما حلّ يعيش لحظات التصوير الفنّي، بأبعاده التقابلية المتنوعة.

٣ـ البعد الحركي الذي تجلّى من خلال التقابل في النسقين الأوّل والثاني في حركة أُفقية فيها خفاء وتجلٍّ؛ إذ يتصورها ويسـتوعبها المخاطب وتثبت في ذهنه، حتى وإن غاب أحد طرفي التقابل، ولا يخفى على مَن يتمعّن في النصّ قدرة المنشـئ التصويريّة للمشـاهد المعروضة والتفصيل فيها، وفي الآثار المترتبة عليها من خلال ما أنتجه من تقابـلات في النصّ الواحد، وهـذا ما نجد مصاديقه في قولـه عليه السلام: «...**أَلاَ وَإِنَّ هَؤُلاَءَ قَـدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَـيطَان وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَحمَنِ**...»[1]، فتتجلّى براعة المنشـئ في اختيار الألفاظ، وتنسـيقها في صياغة فنّية كفيلة بتصوير المعنى وتأكيده في ذهن المتلقِّي بهيئة تسـتقطب الأسماع وتحرِّك الأذهان، وهذا ما يبدو من خلال عرض بعض اللمحات الفنّية، منها:

أوّلاً: تَجـاوز اللفظـان (لزمـوا، تركوا) مسـألة إكسـاب النصّ الخطـابي بالعنصر الإيقاعي إلى منـح الخطاب بُعداً تصويرياً أوجده التقابل الدلالي بين اللفظين، فكوّنا إضافـةً جديـدةً للنصّ تشـير تلـك الإضافـة أنّ الالتزام بطاعة الشـيطان التـزام تام بالشكل الذي لم يترك فيه لطاعة الرحمن شيئاً؛ لأنّ الإنسان قد يقع في حبائل الشيطان

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٠٣. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٤٤. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٣٥. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٩٥.

ويتمسّك بها، إلّا أنّه قد يقطع تلك الحبائل ويرجع إلى الله سبحانه وتعالى، فلا يتركه ولا ينكره، وهذه المقابلة في الكلام المسجوع من ورائها فائدة أشار إليها البلاغيون، ودعوا «**أن تكون كلّ واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالّة على معنى غير المعنى الذي دلّت عليه أُختها**»[1].

ثانياً: كشف اللفظان (الرحمن) و(الشيطان) عن سذاجة القوم وضعف نفوسهم وعقولهم في تحديد الفرق الشاسع بين (الرحمن) سبحانه وتعالى و(الشيطان) المتربِّص للإنسان، وهذا الإيحاء للمعنى لا يظهر لولا التقابل بين اللفظين.

ثالثاً: هذه المعاني والإيحاءات جاءت مكثّفة بنسق إيقاعي متوازن عكس قدرة المنشئ في توظيف الألفاظ بشكل فنّي يجذب الأسماع لإيقاعه ويستميل القلوب ويحرِّكها لمعناه[2]، ونلحظ من خلال التحليل للنصّ الخطابي في تراكيبه التقابلية الحاضرة بين مشهدي (طاعة الشيطان) و(طاعة الرحمن)، بأنّ المنشئ قد عمّق وارتفع في تصوير المشهد الأوّل، وما يحيط ذلك من تداعيات خطرة، استعرضها من خلال التقابلات، ولعلّ ذلك يعود إلى معرفة الإمام عليه السلام اليقينيّة بنسبة استحواذ الشيطان العالية للمخاطبين، فكان في موضع إلقاء الحجّة والتنبيه لخطورة ما سيقومون به حاضراً ومستقبلاً.

المبحث الثالث: التقابل الأُسلوبي بين المواقف

ويُعرف الموقف بأنّه: «**حدث ذو أهمّية أو اختيار لحال من الأحوال الفكريّة أو النفسيّة أو الاجتماعية، ويجري التقابل بين المواقف كما يجري بين الصور والمشاهد**»[3]، وأشار بعضهم بأنّ التقابل الأُسلوبي بين المواقف يتمثّل بوجود تناقض بين موقفين للإنسان نفسه، نتيجةً لنزعاته النفسيّة الفطرية والمكتسبة، وعبثية تلك النزعات

(١) ابن الأثير الكاتب، نصر الله بن محمد، المثل السائر: ج١، ص١٩٦. وأُنظر: الخطيب القزويني، محمد ابن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة: ص٣٢٥. العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز: ص٤٠٨. العارضي، هادي سعدون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية.

(٢) أُنظر: العارضي، هادي سعدون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: ص١٣٥ـ١٣٦.

(٣) الصفار، منال صلاح، التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ص١٦٠.

المحاطة بالخوف والرجاء والرهبة والرغبة، وعلى وفق تلك النزعات المتباينة تتناقض مواقف الإنسان[1].

ومن مصاديق هذا التقابل: قول الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً قوماً تجمّعوا لقتله في كربلاء: «أَيُّهَا النَاسُ، اسمَعُوا قَولِي وَلاَ تُعجِلُونِي حَتَّى أَعِظَكُم بِمَا لِحَقٍّ لَكُم عَلَيَّ، وَحَتَّى أَعْتَذِرُ إِلَيكُم مِنْ مَقْدَمِي عَلَيكُم، فَإِنْ قَبِلتُم عُذرِي وَصَدَّقْتُم قَولِي، وَأَعْطَيتُمُونِي النِّصفَ؛ كُنْتُم بِذَلِكَ أَسعَدَ، وَلَمْ يَكُن لَكُم عَلَيَّ سَبِيلٌ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا مِنِّيَ العُذْرَ وَلَمْ تُعطُوا النِّصفَ مِنْ أَنفُسِكُم ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[2]، ﴿إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3].

ثم قال: أَمَّا بَعْدُ، فَانْسِبُونِي فَانظُرُوا مَنْ أَنَا، ثُمَّ ارجِعُوا إِلى أَنفُسِكُم وَعَاتِبُوهَا، فانظُرُوا، هَلْ يَحِلُّ لَكُم انتِهَاكُ حُرمَتِي؟ أَلستُ ابنَ بِنتِ نَبِيِّكُم، وَابنُ وَصِيِّهِ وَابنُ عَمِّهِ، وَأَوَّلُ المُؤمِنِينَ بِاللهِ وَالمُصدِّقُ لِرَسُولِهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِهِ؟! أَوَ لَيسَ حَمْزَةُ سَيِّدُ الشُهَدَاءِ عَمُّ أَبِي؟! أَوَ لَيسَ جَعْفَرُ الشهيدُ الطيارُ ذو الجناحينِ عَمِّي؟![4]، أَوَ لَمْ يَبْلُغكُم قَولٌ مُستَفِيضٌ فِيكُم: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قَالَ لِي وَلأَخِي: هَذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟![5]. فَإِنْ صَدَّقتُمُونِي

---

(١) أُنظر: المصدر السابق.

(٢) يونس: آية٨١.

(٣) الأعراف: آية١٩٦.

(٤) جعفر بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم، يقال له: (جعفر الطيار)، وهو أخو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وآله دار الأرقم ويدعو فيها، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، وحضر وقعة (مؤتة) بالبلقاء (من أرض الشام)، فنزل عن فرسه وقاتل، ثمّ حمل الراية وتقدّم صفوف المسلمين، فقطعت يمناه، فحمل الراية باليسرى، فقطعت أيضاً، فاحتضن الراية إلى صدره، وصبر حتى وقع شهيداً، سنة (٨هـ)، فقال عنه الرسول صلى الله عليه وآله: «إنّ الله عوّض يديه جناحين في الجنة». ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة: ج١، ص٥٩٢. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٢، ص١٢٥.

(٥) الحديث النبوي الشريف ذكره: الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص١٨٢. مروي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلّا ابني الخالة».

بِـمَا أَقُولُ، وَهُوَ الحَقُّ، فَوَ الله مَا تَعَمَّـدتُ كَذِبَاً مُذ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ يَمقُتُ عَلِيهِ أَهلَهُ...»[1].

عمد الباحث على تثبيت النصّ الخطابي كاملاً، كونه يحمل من الدلالات الفرعية ما يكشف عن الدلالات التقابلية في موقفين متناقضين هما:

الموقـف الأوّل: بموقـف الإمـام الحسـين عليه السلام وأهل بيتـه وأصحابـه وثباتهم على موقفهـم القائم عـلى طاعة الله ورسـوله والمؤمنين، فتخلل هـذا الموقف مجموعة من الإشارات الجزئية المتقابلة بينه وبين المخاطبين.

والموقـف الثـاني: موقـف المخاطَبـين في كربلاء، وهـم يخيرون أنفسـهم بين الجنة والنار، وبين المعصية والطاعة، وبين النور والظلام، وهو موقف على طرف نقيض مع الموقف الأوّل الثابت، الذي يسير بخطى واثقة نحو طاعة الله، وهدي عباده الضالين، ويكشـف عن خطورة وطبيعة الحالة التي يتعامل معها الإمام الحسـين عليه السلام مع أناس ضعفـوا عن نـصرة الدين وأهله، وبعـد أن علمنا الموقفين، نتقصّى أُسـلوبية العرض وتصويـره للمخاطبين، والتي طغى عليها التوظيـف الديني، المتمثِّل بالقرآن الكريم والحديـث النبوي الشريف، كونهـما القاعدة الحقيقية لأيّ انطلاقة أو حجّة عادلة من جانب، ومن جانبٍ آخر ذوبان هذين القاعدتين في سلوكيات المنشئ، فاصبحا جزءاً لا يتجـزّأ مـن تكوينه الوجودي، فضلاً عمّا يضيفانه مـن جماليات تصويرية، وتعميق الدليـل العقـلي، لكونهما من الثوابت الراسـخة في عقول الناس، إذ تقوم على أُسـس دينية وعقائدية راسـخة، فحـرّك القرآن الكريم والحديث النبـوي الشريف «**العقول بهـذه الصـور المعروضة، وأيقظ الحواس على البداهة العقليـة، فتفتحت البصيرة لإدراك الحقائـق الدينيـة، واسـتجابت الفطـرة لندائـه، بعـد أن أُزيل عنهـا ركام الأوهـام، وقد حملـت الصـورة القرآنية كثيراً مـن الأدلّة، لإثبـات العقيدة وترسـيخها في النفوس**»[2].

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٢٤. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ص٣٤٠.

(٢) الراغب، عبد السلام أحمد، وظيفة الصورة الفنية: ص٤٣٨. وأُنظر: العارضي، هادي سعدون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: ص١٧٠ـ١٧١.

وإلى جانب ذلك كلّه رفد الخطاب التقابلي بين الموقفين بأساليب كثيرة، منها أُسلوب الاستفهام المجازي، وهذا ما يتجلّى في قوله عليه السلام: «...**أَوَ لَيسَ حَمْزَةُ سِيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمُّ أَبِي؟! أَوَ لَيسَ جَعْفَرُ الشهيدُ الطيارُ ذو الجناحينِ عَمِّي؟! أَوَ لَمْ يَبْلَغكُم قَولٌ مُستَفِيضٌ فِيكُم: أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله قَالَ لِي وَلأَخِي: هَذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟!**»، فعمد المنشئ إلى الاستفهام الإنكاري، لحمل المخاطب على التدبّر والتفكير والإقرار بذلك، فـ«**لعلّه ينقشع عمّا يريد الإقدام عليه، وليته فعل، وهذا ما أفاده دخول (الهمزة) على النفي، فقوله: (... أوَ ليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي) تساوي (حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي)، وكذلك البواقي، وهذا ما ينسجم مع موقفه عليه السلام الاحتجاجي**»[1].

كما خرج أُسلوب الاستفهام في الاستدلال العقلي للخطاب من المعنى الحقيقي إلى المعنى (الإنكاري) في خطبة أُخرى يقول فيها: «**أَخبِرُونِي، أَتَطْلُبُونِي بِقَتِيلٍ مِنْكُم قَتَلتُهُ، أَو مَالٍ استَهلَكتُهُ، أَو بِقَصَاصٍ مِنْ جراحةٍ؟**»[2]، فمنح المنشئ عن طريقه تنشيط للأداء الذهني عند المتلقين، فـ«**فيه تحريك لفكر المخاطب وتنبيه لمشاعره، كي يتأمّل ويعيد النظر فيما يريد الإقدام عليه، لعلّه يُحكم ضميره ويستله من جُبّ مآثمه**»[3].

وفي الحقيقة يطول المقام هنا عند الحديث عن التقنيات التصويرية التي كان لها الأثر في تكثيف التقابل بين الموقفين، منها على سبيل المثال: قول الإمام عليه السلام: «... **إِنِّي لَمْ آتِكُم حَتى أَتَتنِي كُتُبُكُم وَقَدِمَتْ عَلَيَّ رُسُلُكُم: أَنْ اقْدِم عَلِينَا فَإِنَّهُ لِيسَ لَنَا إِمَام...**»[4]. فيتجلّى لنا رغبة المخاطبين في موقفهم، ورغبتهم في مبايعته من خلال الفنّ المجازي (أتتني كتبكم).

---

(١) الجديع، حيدر محمود شاكر، نثر الإمام الحسين عليه السلام: ص١٤٨.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص١٨٨. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٢٥. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ص٣٤٠.

(٣) الجديع، حيدر محمود شاكر، نثر الإمام الحسين عليه السلام: ص١٥٢. وأُنظر: العارضي، هادي سعدون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: ص١٧٠.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٠١. وأُنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٣٥. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ص٣٢٦. ابن الأثير، علي بن الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٠. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب: ج٢، ص٤٦.

وعند التقصّي والبحث لأمثلة أُخرى في التقابل الأُسلوبي بين المواقف في خطب الإمام الحسين عليه السلام، وجدنا أنّ هناك فنّاً جديداً قدّمه الإمام عليه السلام بهذا الخصوص، وهو قريب عمّا يُعرف عند الباحثين (تقابل السلب)، وهو ما يشتمل أحد ضدّيه على مكون النفي[1]، إذ يرسم لنا الإمام عليه السلام تقابلاً أُسلوبياً في الموقف الواحد من خلال الخوض في تفاصيل دقيقة لهذا الموقف، ويدع للمتلقّي مجالاً لتدبّر واكتشاف الموقف الضدِّي الآخر، فلا يصرّح به، ويفهم من خلال السياق الحاضر للموقف الأوّل، فيلمح له من بعيد، ونادراً ما يصرّح به على وفق طبيعة الصورة التي يريد المنشئ إيصالها للمتلقين، وهذا ما نجد مصاديقه في خطبته عليه السلام بعد نزوله كربلاء وهو ينظر للصفوف قائلاً: «**الحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ الدُنيا فَجعَلَهَا دَارَ فَنَاءٍ وَزَوَالٍ، مُتَفَرِّقَةً بِأَهلِهَا حَالاً بَعدَ حَالٍ، فَالمَغرُورُ مَنْ غَرَّتهُ، وَالشَقِيُّ مَنْ فَتَنَتْهُ، فَلاَ تَغُرَنَّكُم هَذِهِ الدُنَّيا؛ فَإِنَّهَا تَقطَعُ رَجَاءَ مَنْ رَكَنَ إِلِيهَا، وَتُخَيِّبَ طَمَعَ مَنْ طَمَعَ فِيهَا، وَأَرَاكُم قَدْ اجتَمَعتُم عَلى أَمرٍ قَدْ أَسخطتُم اللهَ فِيهِ عَلِيكُم، فَأَعرَضَ بِوجهِهِ الكَرِيمِ عَنكُم، وَأَحَلَّ بِكُم نَقمَتَهُ، وَجَنَّبَكُم رَحمَتَهُ، فَنِعمَ الرَّبُ رَبُنَا، وَبِئسَ العَبِيدُ أَنتُم، أَقَرَرتُم بِالطَاعَةِ وَآمنتُم بِالرَسُولِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ إِنَّكُم زَحَفتُم إِلى ذُرِيَّتِهِ تُرِيدُونَ قَتلَهُم، لَقد استَحوَذَ عَلِيكُمُ الشِيطَانُ؛ فَأَنسَاكُم ذِكرَ اللهِ العَظِيم، فَتَبّاً لَكُم وَمَا تُرِيدُونَ، إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلِيهِ رَاجِعُون، هَؤُلاءِ قَومٌ قَدْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِم فَبُعداً لِلقَومِ الظَالِمِين...**»[2].

مَن يمعن النظر في النص الخطابي يجد أنّ المنشئ يتحدّث عن موقف الإنسان الذي غرّته الدنيا، فيصور جزئية الغرور تصويراً دقيقاً، كما هو واضح في بداية الخطاب: «**الحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ الدُنيا فَجعَلَهَا دَارَ فَنَاءٍ وَزَوَالٍ، مُتَفَرِّقَةً بِأَهلِهَا حَالاً بَعدَ حَالٍ، فَالمَغرُورُ مَنْ غَرَّتهُ، وَالشَقِيُّ مَنْ فَتَنَتْهُ، فَلاَ تَغُرَنَّكُم هَذِهِ الدُنَّيا فَإِنَّهَا تَقطَعُ رَجَاءَ مَنْ**

(١) أُنظر: الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة المعاني والبيان والبديع: ص٣٧٧.

(٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٥٧ـ ٣٥٨. وأُنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص١٨٨. ابن شهر آشوب، محمد بن علي مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص١٠٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٥، باختلاف بين المصادر في بعض الألفاظ.

رَكَـنَ إِلَيهَـا، وَتُخَيِّبُ طَمَعَ مَنْ طَمَعَ فِيهَا، وَأَرَاكُم قَدْ اجتَمَعتُم عَلى أَمرٍ قَدْ أَسـخطتُم اللهَ فِيـهِ عَلَيكُـم، فَأَعرَضَ بِوجهِهِ الكَرِيمِ عَنكُم...»، فالغرور «كلّ ما يغرّ الإنسـان من مال وجاه وشـهوة وشيطان، وقد فُسِّر بالشـيطان إذ هو أخبث الغارّين، وقد فسّرها البعض بالدنيا لخداعها وغرورها»[1].

ووظـف المنشـئ التصوير القـرآني للغرور، والـذي جاء في قولـه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾[2].

وسـمة التوظيـف للتصوير القرآني سـمة مميـزة للنصـوص الفنّية في تـراث أهل البيـت عليهم السلام، نتيجـة للتأثّـر الكبير بالنصـوص القرآنيـة أولاً، ولأنّهـا أصبحت جزءاً لا يتجـزّأ مـن سـياق عملهم اليومـي ثانياً، فهم أقـرب للقرآن الكريـم؛ كونهم أهل بيـت النبـوة، وليس مـن الغريب أن نجد هـذا التوظيف للإمام الحسـين عليه السلام ولأهل البيت عليهم السلام بشكلٍ عام.

فقد وظّف الإمام الحسين عليه السلام هذا التصوير في النص الخطابي، «**ليمنحه قيمة فنّية لما تحمله الآية القرآنية من دقّة التصوير وجزالة في الأُسلوب، فضلاً عن ذلك القيمة المعنوية التي اكتسـبها النـصّ الخطابي**»[3]، ومن بعـد ذلك يفصِّل بالمعنى مـن خلال تقابلات هـذا الموقف عـلى النحو يظهر به للمتلقين الذي تنطبق عليهـم مقدمة الخطاب تماماً، فعـاد بهـم لما وراء الحـدث، وقبل الحدث وعـلى النحو صورة تقابليـة بيَّن من خلالها موقفهـم بقوله: «... حَـلَّ بِكُم نَقمَتُهُ، وَجَنَّبَكُـم رَحمَتَهُ، فَنِعمَ الرَّبُ رَبُنَـا، وَبِئسَ العَبِيدُ أَنتُم، أَقرَرتُم بِالطَاعَةِ وَآمنتُم بِالرَسُـولِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ إِنَّكُم زَحَفتُم إِلى ذُرِيَّتِهِ تُرِيدُونَ قَتلَهُم، لَقد استَحوَذَ عَلَيكُمُ الشِيطَانُ فَأَنسَاكُم ذِكرَ اللهِ العَظِيم، فَتَباً لَكُم وَمَا تُرِيدُونَ، إِنَّا للهِ وَإِنَّا

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل: ج١٣، ص٥٨.
(٢) لقمان: آية٣٣.
(٣) العارضي، هادي سعدون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: ص٣٨.

إِلَيـهِ رَاجِعُـون، هَؤُلاءِ قَومٌ قَدْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِـم»، فنجد أنّ الألفاظ المتقابلة في النصّ الخطـابي وهـي: (أحـلّ ـ جنّبكم ـ نقمته ـ رحمتـه ـ نعم الربّ ـ بئـس العبيد ـ أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد ـ زحفتم إلى ذريته ـ الكفر ـ الإيمان) رسمت لنا موقفاً تقابلياً ظاهراً للذين غرّتهم الدنيا، ويمكن أن نعرضه على النحو الآتي:

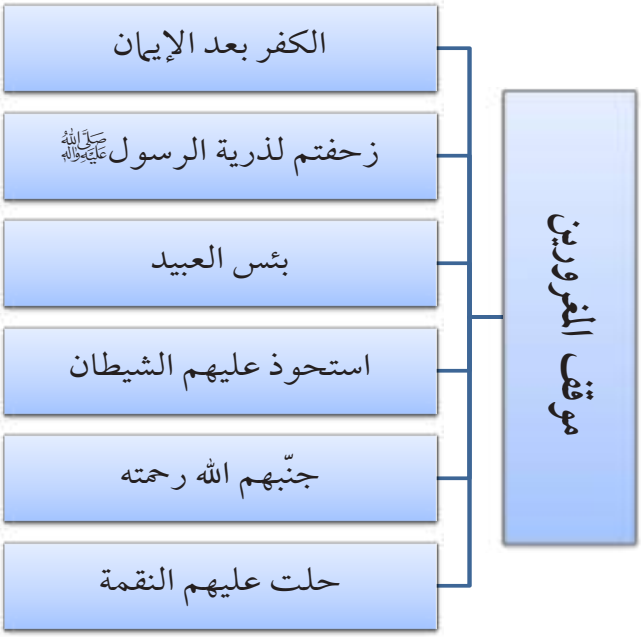

وفي التمعـن بالنصّ، وما رسـمته تلك التقابلات في موقف مَـن غرّته الدنيا نجد الأُمور الآتية:

١ـ كشـف الخطـاب في النـصّ الفنّـي عن موقف تقابـلي آخر، مبني هـذا الموقف ومسـتوحى من الموقف الأوّل القائم على التقابلات التي مرّت علينا سـابقاً (أحلّ ـ جنبكم ـ نقمته ـ رحمته ـ نعم الربّ ـ بئس العبيد ـ أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسـول محمد ـ زحفتم إلى ذرّيته ـ الكفر ـ الإيمان)، وإن لم يصرِّح به المنشئ، ويمكننا أن نرسم هذا الموقف (الموقف الثاني غير المصرّح به) بالشكل التوضيحي الآتي:

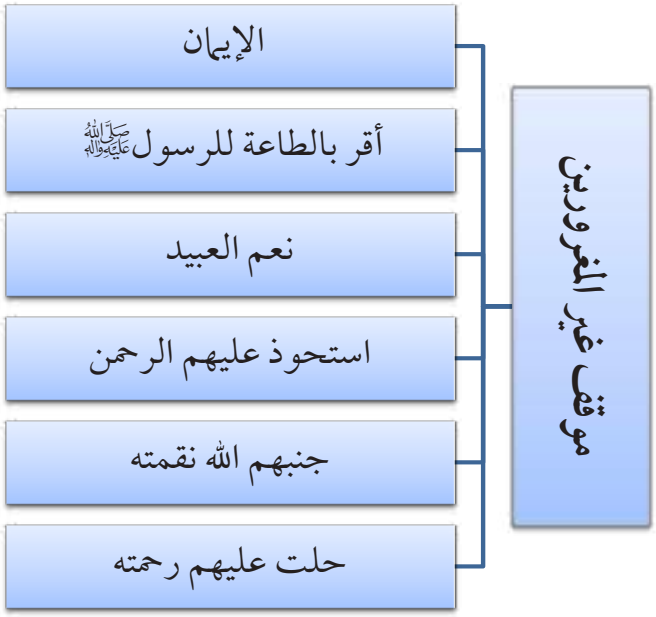

وأنهى المنشئ في خطابه، بطرفي الموقفين المضادين بالألفاظ (أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد ـ زحفتم إلى ذريته)، وكذلك (الكفر ـ الإيمان) وهو النتيجة النهائية لما يدور حوله الخطاب في طرفي الموقف الأوّل والثاني.

٢ـ هذه النتيجة تكون جواباً لَمن يسأل: لماذا الإمام الحسين عليه السلام يتحدّث عن الدنيا والغرور، ويصوره، ويحذِّر المتلقين من عواقبه، وهو يعلم تماماً وبالدليل على حتمية قتله من قِبَل هؤلاء المخاطبين، وهو قد أشار إلى ذلك في خطابه الذي يصور فيه طريقة، ومكان مقتله فيقول عليه السلام: «... **كَأَنِّي بِأَوصَالِي تُقَطِّعَهَا عسْلانِ الفَلَوَات، بِينَ النَوَاوِيسِ وَكَرْبَلاَء؛ فَيمْلاَن مِنِّي أَكْرَاشاً جُوفاً وَأَجْرِبَةً سُغْبَا...**»[1]، فهو سيُقطع إلى قطع، وبين النواويس وكربلاء (مكان استشهاده)، فلماذا هذا التصوير والتمحيص في المواقف؟

(١) ابن نصر الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص٨٦. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٢٦. (النواويس: مقبرة كانت للنصارى. جوفاً: جمع جوفاء: وهي الواسعة. أجربة: الكيس الكبير الذي يكون من القماش أو الجلد. سُغباً: جمع سغبى من السغب وهو الجوع).

يبدو لنا أنّ الجواب على ذلك قد يكون: أنّ الإمام الحسين عليه السلام أراد إلقاء الحجّة على القوم، ليسجِّل المخاطَبون موقفهم قبل فوات الفرصة عليهم، وهذا ليس بالشيء الجديد على أهل البيت عليهم السلام، والتاريخ مملوء بمواقفهم النبيلة تجاه مَن يسيء إليهم؛ كون أهل البيت عليهم السلام هم حجّة الله على عباده ورحمة للعالمين، وفي أشدّ ظروف الأذى، فأراد إخراج القوم الذين أغوتهم الدنيا أو الناس من دائرة الخطر التي ستدقّ أبواب مَن ظلم أهل البيت عليهم السلام.

الخاتمة والنتائج

تجلت لنا بعض النتائج من خلال دراسة التقابل الأُسلوبي في خطب الإمام الحسين بن علي عليهما السلام يمكن أن ندرجها في النقاط الآتية:

١ـ نتيجة البحث في تراث أهل البيت عليهم السلام في أكثر من دراسة سابقة فضلاً عن دراستنا لظاهرة التقابل الأُسلوبي في خطب الإمام الحسين عليه السلام، نرى ضرورة وضع توصية للجهات المتصدية للعملية التعليمية، والباحثين بضرورة إحاطة الدراسات الإنسانية، لا سيّما الدراسات اللغوية الحديثة في التراث الأدبي واللغوي العربي بشكلٍ عام، وتراث أهل البيت عليهم السلام بصورة خاصة، ولأسباب كثيرة أهمها: إمكانية التفوّق البحثي في المجالات اللغوية للدراسات الإنسانية الحديثة، وتحقيق بصمة العالمية من خلالها؛ لأنّ حضارتنا وتراثنا الأدبي يفوق ما توصّل إليه الآخرون، ومن هنا؛ لا بدّ من الاهتمام بالدراسات اللغوية والأدبية، كوننا قادرين من خلالها على تحقيق التفوّق والإنجاز، إلّا أنّنا نراقب، فنرى النظرة الفوقية للدراسات اللغوية، وتوجيه جلّ الاهتمام للتخصصات والدراسات العلمية (الطبية الهندسية ـ التمريض...) بحجة ضرورة مواكبة التطور العلمي في البلدان المتقدمة، وهي نظرية أو استراتيجية مغلوطة، لَمن يريد تسجيل التطور على حساب الدراسات الإنسانية، لذلك لا بدّ من إعادة صياغة المعادلة من خلال توزيع الاهتمام والرعاية بشكل متساوٍ لا يضعِّف

طرفاً على حساب طرفٍ آخر، إذا ما علمنا بغزارة التراث الأدبي، وقدرته على تسجيل بصمة في عالم البحث والتقدّم العلمي.

٢ ـ تأثّر أُسلوب الإمام عليه السلام في طريقة عرضه للصور المتقابلة بأُسلوب القرآن الكريم من خلال عرض الصور والمواقف بطرق كثيراً ما نجدها سائدة في طريقة عرض الصور القرآنية، أمّا عن طريق التشخيص القائم على خلع السمات الإنسانية على الكائنات الحيّة وغير الحيّة، فيمنحها سمات الإنسان في الحركة والتعقّل والتدبّر، أو عن طريق عرض الصور والمشاهد الحيّة بتقديم طائفة من المعاني والدلالات المجرّدة، وهذا ما وجدنا مصاديقه في أمثلة البحث.

٣ـ وفرة التقابلات الدلالية في النصوص الخطابية تجعل منها ثروة لغوية للباحثين الراغبين في البحث عن مصاديق الرؤية الأُسلوبية الحديثة للنصوص الفنّية، وبالخصوص أبنية التقابل الدلالي وأثره في تكوين الدلالات النصّية.

٤ـ توظيف المنشئ لفنّ التقابل الأُسلوبي في مباحثه الثلاث (الصور ـ المشاهد ـ المواقف) منح النصِّ دلالات جديدة لم تكن موجودة لولا هذا التوظيف، إذ أوجد الفنّ التقابلي علاقات لغوية نصّية ومنطقية حددت مسار النصّ، ووحّدت اتجاهه، وجعلته نصّاً عابراً للزمن، متخطياً لحدود الواقع، قادراً على نقل الدلالة وإيصال القيم النبيلة التي تحدّث عنها المنشئ.

٥ـ ثبت من خلال تحليل النصوص الخطابية دقّة خطاب أهل البيت عليهم السلام للناس بصورة متساوية، فالإمام عليه السلام يحثّهم على عمل الخير وتجاوز السيء من أعمالهم، حتى وإن كان هذا العمل السيء معهم، وهذا ما تجلى في الخطاب من خلال فنّ التقابل في النصوص الخطابية التي ألقاها في كربلاء؛ كون أهل البيت عليهم السلام رحمة وخيراً للناس حتى وإن كان هؤلاء الناس أعداءهم وفي أشدّ الظروف وأقساها.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

٢٨ ـ الاحتجاج، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٢٩ ـ الإرشاد، الشيخ محمد بن محمد النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري البغدادي الملقّب بالمفيد (٣٣٦ـ٤١٣هـ).

٣٠ ـ أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني الدار (ت٤٧١هـ).

٣١ ـ الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (معاصر).

٣٢ ـ الأُسلوبية والأُسلوب (نحو بديل ألسني في نقد الأدب)، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٧م.

٣٣ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي، ابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، (د.ت).

٣٤ ـ الإمام الحسين عليه السلام، عبد الله العلايلي، دار مكتبة التربية، بيروت، طبعة جديدة، ١٩٧٢م.

٣٥ ـ الإيضاح، جلال الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن القزويني المعروف بالخطيب القزويني.

٣٦ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٧ ـ البنيات الدالّة في شعر أمل دنقل، عبد السلام المساوي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٤٤م.

٣٨ ـ البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، ١٩٩٤م.

٣٩ ـ بنيـة التقابل وأثرهـا في توليد دلالة النص القـرآني، د. فائز عارف القرعان: جامعـة اليرمـوك: أربـد الأردن: كليـة الآداب ـ قسـم اللغـة العربية: بحث منشور على الموقع: *www.odabasham.net*.
٤٠ ـ البنـى الأُسـلوبية في النـصّ الشـعري، د. راشـد حمد الحسـيني: لنـدن، دار الحكمة، ط١.
٤١ ـ تاريـخ مدينـة دمشـق: أبو القاسـم علي بن الحسـن بـن هبة الله بـن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩ـ٥٧١هـ).
٤٢ ـ تاريـخ الأُمـم والملـوك، محمد بـن جرير بن يزيـد بن كثير بـن غالب الآملي الطبري (ت٣١٠هـ).
٤٣ ـ تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، الشيخ الحسن بن علي بن الحسين بن شيعة الحراني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، رابطة أهل البيت الإسلامية، (د. ت).
٤٤ ـ التصوير الفني في خطب المسـيرة الحسينية، هادي سعدون هنون العارضي، العتبة العلوية المقدسة، العراق ـ النجف الأشرف: ط١، ٢٠١١م.
٤٥ ـ التقابـل والتماثـل في القـرآن الكريم، د. فائـز عارف القرعـان، ط١، المركز الجامعي للنشر: أربد ـ الأردن: ١٩٩٤م.
٤٦ ـ التقابـل الـدلالي في نهج البلاغة (رسـالة ماجسـتير)، تغريـد فلحي، كظوم الخالدي، كلية التربية بنات ـ جامعة الكوفة: ٢٠٠٧م.
٤٧ ـ التقابـل الدلالي في القرآن الكريم (رسـالة ماجسـتير)، منـال صلاح الدين عزيز الصفار، كلية الآداب ـ جامعة الموصل، ١٩٩٤م.
٤٨ ـ تنبيـه الخواطر ونزهة النواظر، الأمير الزاهد أبو الحسـين ورّام بن أبي فراس المالكي الأشتري (ت٦٠٥هـ).
٤٩ ـ جمهـرة خطـب العـرب في العصـور العربية الزاخـرة، أحمد زكـي صفوت، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط١، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.
٥٠ ـ حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسـحاق بن موسـى بن مهران الإصبهاني (ت٤٣٠هـ).

٥١ ـ دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١أو ٤٧٤)، تحقيق: محمود محمد شاكر: مكتبة الخانجي: القاهرة: ط٥، ٢٠٠٤م.
٥٢ ـ السمات الأُسلوبية في الخطاب الشعري، د. محمد بن يحيى، الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١١م.
٥٣ ـ سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار المعارف، مصر، (د.ت).
٥٤ ـ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبي الملقّب بالمؤيد بالله (ت٧٤٥هـ).
٥٥ ـ ظاهرة التقابل الدلالي في سورة الزمر، د. أحمد نصيف الجنابي، بحث منشور في مجلة الرسالة الإسلامية، ١٩٨٨م.
٥٦ ـ العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.
٥٧ ـ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت ـ لبنان: ط١، ١٩٨٨م.
٥٨ ـ الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي الفتوح (٣١٤ هـ / ٩٢٦م)، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.
٥٩ ـ الفضاء الروائي عند جبر إبراهيم جبر، د. إبراهيم الجنداري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١: ٢٠٠١م.
٦٠ ـ في ظلال الطف، محمد مهدي الآصفي، دار الكرم، بيروت، ط١، ١٩٩٥م – ١٩٩٦م.
٦١ ـ القاموس المحيط، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي، ط٥، المكتبة التجارية الكبرى.
٦٢ ـ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ).

٦٣ ـ كشف الغمة، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت٦٩٣هـ).
٦٤ ـ لواعج الأشجان، محسن الامين (١٣٧١هـ).
٦٥ ـ لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦م.
٦٦ ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٢، ٢٠٠٢م.
٦٧ ـ معاني الحروف، علي بن عيسى الرماني، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، ط٣، ١٩٨٤م.
٦٨ ـ مقتل الحسين عليه السلام، أبو المؤيّد الموفّق محمد بن أحمد المكّي الخوارزمي (ت٥٦٨هـ).
٦٩ ـ اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني (ت٦٦٤هـ).
٧٠ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو الفتح ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت٦٣٧هـ).
٧١ ـ مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب، المطبعة العلمية، قم.
٧٢ ـ نثر الإمام الحسين عليه السلام (دراسة تحليلة في جمالية بُنْية النص)، الدكتور حيدر محمود شاكر الجديع.
٧٣ ـ نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني (المتوفي في القن الخامس)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ط١، ١٤٠٨هـ، الناشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم المقدسة.
٧٤ ـ وظيفة الصورة الفنية، عبد السلام أحمد الراغب، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب.

الخطاب الإسلامي المعتدل
وأثره في ترسيخ أُسس التسامح والتعايش السلمي

أ. د. باسم باقر جريو*

المقدّمة

ممّا لا شكّ فيه أنّ مَن يتصدّى لمهمّة الخطابة أو التبليغ، يجب أن يكون على قدر كبير من المسؤولية الحتمية بضرورة اتّباع المسالك الوسطية التي نادى بها الشرع، وأصبحت ثوابت ملزمة في كلّ التشريعات السماوية، على اختلاف مناحيها الدينية التي دعت إلى مداواة النفوس العليلة التي أصابها الوهن والضعف، جرّاء حبائل الشيطان؛ ليبعدها عن مسار الحق والفضيلة إلى طريق الباطل والرذيلة.

وإنّ الواجب فعله على المبلّغ أو الخطيب، هو إيصال رسالة السماء؛ لتذكر أطبّاء النفوس علّها تداوي جروح الذنوب التي خلّفتها دعوات وإغراءات الشياطين، وتخرج بحصيلة إرشادية يتحمّل الخطيب بما يملك من أدوات غرسها في النفوس، منتجاً بذلك منبراً خطابياً نافعاً لبناء شخصية الإنسان، وفق المسارات السماوية الأصيلة.

وتأسيساً على ما سبق، فإنّ المجتمع بحاجة إلى وعظٍ وإرشاد روحي، ينقله من براثن الخطيئة إلى مراتب الفضيلة والتوبة، ونشوة القرب من الله تعالى.

والسؤال المطروح وفي ضوء ما تقدّم: ما هي الأساليب التي يجب أن يتبعها الخطيب أو المبلّغ لتحقيق الأهداف المرجوّة من الخطبة، وإحداث التوازن النوعي في التأثير والتأثر؟

---

* جامعة الكوفة/ كلّية التربية.

وهل يبقى المفكر أو الخطيب حبيس الكلمات أو الرؤى القديمة؟ أم يأتي بأساليب جديدة ومبتكرة في ضوء مفاهيم الحداثة وعلم الكلام المعاصر؟ لتُلبي الاحتياجات الإنسانية، وهو يعيش في ظلال الاختلافات الإيديولوجية التي باتت تهدد الوجود الإنساني برمّته.

وقبل أن نعرض الشروط الواجب توفرها في الخطيب للقيام بهذه المهمّة الإصلاحية، حريٌّ بنا أن نعرض إلى ما موجود على الساحة من مدارس فكرية وبشكلٍ موجز، فلقد أدّى التسلّط الكنسي خلال العصور الوسطى على مقدرات الناس من جهة، وتواطئهم مع الملوك والأُمراء من الروم من جهةٍ أُخرى، إلى ظهور قوى إصلاحية عمدت إلى تحطيم هذا الحليف المتحكم في المجتمع آنذاك، فبدأت عمليات تنظير عديدة، لم تجزم بطلاق أبدي للدين؛ وذلك لعدم تخلي أُوربا عن الجانب الروحي والغيبي، الذي أخذ يتعاظم في ظلّ استدراك للمجتمعات الأُوربية لتلك الجوانب، وعودتها المتألقة للسمو الذاتي بعد الارتداد الذي أصاب البنية الأُوربية في عقر دارها، ممّا خلق دماراً كبيراً في النفس البشرية آنذاك.

لقد تمخّضت وتبلورت ثلاث مدارس فكرية تأثر بها المثقفون والجامعيون المسلمون، ونتج عن هذه المدارس ما يُسمّى بـ (العلمانية).

أمّا المدارس الفكرية فهي:

الأُولى: السكولارزم (فصل الدين عن السياسة)

وهي مدرسة فلسفية إيديولوجية، ومثّلت الجانب الفكري التأملي لعديد من الفلاسفة المسيحيين في القرون الوسطى، الذين كانوا يعملون ضدّ العقيدة الدينية الراسخة، إذ كانوا يبحثون عن الحلول للمشاكل الفلسفية الجديدة: (كالإيمان، والإرادة، والحكمة، والعقل، والواقعية... والبرهنة على وجود الله). وقد استُخدم هذا المصطلح في عصر النهضة وحتى بداية القرن التاسع عشر، كتعبير دال عن اللوم والازدراء[1].

---

(١) http:// em.wikipedia.org/wiki/scholasticism retrieved 11.5 2015.

ولهذه المدرسة عدّة اتجاهات، لكنّها تعتمد بالأساس على فصل الدين عن النظام السياسي والاجتماعي، ولا زالت هذه النظرية لها تأثيرات فكرية ألقت بظلالها على الواقع الإسلامي نوعاً ما، والهدف واضح تماماً، وهو إبعاد رجل الدين عن معترك الأحداث السياسية والاجتماعية، وجعله يعيش في نمط الطقوس العبادية والرياضية الروحية؛ لإشباع ظمأ روحي لا غير[1].

الثانية: مدرسة البلوراليسم (تعدّد الإدراك) (Pluralism)

وهي فلسفة التباين والتعدّد، والذي لا يمكن أن يكون معه امتلاك الحقيقة المطلقة، وتعتمد على منهج الإدراك، وكيفية انتقاء المعلومات، والاستنتاج من تلك المعلومات. تعتمد المدرسة على أساسيين: الأوّل: إنّ الإنسان لا يستطيع أن يُحيط بالحقيقة بمفرده. الثاني: إنّ الإنسان وإن أدرك بعض الحقيقة، لا يستطيع إدراكها كلّها. وقد تكون التعددية سياسية، وثقافية، ودينية، وفلسفية.. وهي ترفض فكرة أن يكون العقل أو المادة أو كليهما أصل الوجود؛ لأنّ الوجود يتألف من الكثير من الكيانات التي تتفاعل وتتكامل معاً في إطار عام، كلٌّ لها قوانينها الخاصة، وهذه القوانين الخاصّة لا تسمح لأحد من الكيانات المكونة للتعددية أن يقصي أو يلغي واحداً أو أكثر من الكيانات الأُخرى[2].

الثالثة: (الهرمنيوطيقا)، أي: تعدّد القراءات

وهي فرع من فروع المعرفة، الذي يتعامل مع نظريات التفسير، وعلى وجه الخصوص تفسير النصوص الدينية المقدّسة كالتوراة، والإنجيل، والقرآن، وكذلك النصوص البشرية، ورواد هذه المدرسة فلاسفة ألمان متخصصون في الألسنيات وعلوم اللغة، وتعتمد نظريات التفسير الهرمنيوطيقي المسيحي، وبالاستناد إلى

(١) أُنظر: السند، محمد، (الحداثة، العولمة، الإرهاب): ص٢٧.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: *http://en.wikipedia.org/wiki/pulralism .retrieved 11.5.2015*.

النظريات الرومانية والإغريقية الكلاسيكية للنصوص الملحمية والخرافية[1].

كما أنّ هذه المدرسة ترفض القراءة الفردية للنص، وتعتبره لغزاً له العديد من الحلول؛ إذ المقصود بالقراءات هنا الدلالات والاستظهارات، والاستنتاجات، والأفهام.

أضف إلى ذلك، فهي تعتبر أنّ المعنى وليد ذهن القارئ، وليس ذهن المتكلّم والكاتب. ففهم النص يعتمد على ذهنية القارئ، ويكون معتمداً بتعدّد الأفهام.

مدرسة الإسلام

وقد تميّزت هذه المدرسة عن سابقاتها من المدارس الحداثوية بالأصالة والعمق والحيوية، كما كانت تتمتع بالمنهج العلمي الرصين، الذي سبر أغوار النصوص وتعمق بها، كاشفاً عن خفايا النصوص بمعانيها المتعددة، ولم يقتصر على ظاهر المفردات؛ إدراكاً منهم بأنّ هذا المنهج سيؤدي إلى الجمود والتحجر، وعدم المكنة من مواكبة حركة التكامل الفكري.

كما جاء الإسلام محرّراً للإنسان من قيوده الفكرية، التي توارثها جيلاً عن جيلٍ؛ ليفتح له الأفق ويحثّه على التدبر والتفكير، ومن ثَمّ الاستماع إلى آراء الآخرين، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ...﴾[2]، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ...﴾[3]، رافضاً احتكار الرأي، ونابذاً الرأي المجرّد من المنطق والحجة والدليل.

العولمة

وهي إحدى المجسدات الواقعية التي شهدتها الساحة الفكرية الأوربية؛ كردّة فعل للظروف الاستثنائية (الفكرية، الثقافية، الاقتصادية) بعد النمو الكبير في

(١) *Marrone,S.2006. The Cambridge companim to Mediaval philosophy.Combridge university press. Pp. 10* . وأُنظر: السند، محمد، (الحداثة، العولمة، الإرهاب): ص٧٧.

(٢) آل عمران: آية١٥٩.

(٣) الشورى: آية٣٨.

الغرب، ممّا استدعى وجود أسواق رائجة للبضاعة الأوربية وعلى مختلف المستويات. كما جاءت لتعبر عن «**المركزية الأوربية، وعن العنصرية الدينية فيها، والرغبة في القوة والسيطرة على مقدرات العامّة**»[1].

والمتأمل في المضامين المفهومية لهذه المفردة بعد استقرائها، يجد أنّ الغرب بفلسفته المعهودة تجاه الشرق يحاول غزو المناخات الدينية، عبر إيديولوجيته في التحرر الفكري من قيود الدين وتوجهاته، التي لا تلبي رغبات الإنسان المعاصر.

غير أنّ هذه الفلسفة لم تلقَ آذاناً صاغية، أو أجواءً رحبة من قِبل الجميع، على الرغم من نفاذها في عقول ونفوس الكثير من المتأثرين والدارسين في الغرب، والذين كانت لهم السطوة العظمى في حمل هذه الثقافة ونشرها إلى الشرق. وكان الخطاب الإسلامي أحد الواجهات المتصدية لهذه الرؤية، والتي وقف منها موقف الرافض؛ لآثارها السلبية، وتداعياتها المستقبلية.

العلمانية

نظراً لتوسع ظاهرة (العلمانية) وتداعياتها على العقل العربي وتأثيراته المتنوعة، ونظراً للترابط الوثيق بين مصطلح العولمة والعلمانية كمنتج فكري غربي؛ نشأ كردّة فعل لنفوذ سلطة الكنيسة بالعودة إلى حكم العقل، وأصالة الإنسان مقابل حكم الدين وأصالة الكتاب المقدّس.

ولعلّ هذه الظاهرة أخذت بالشيوع والانتشار في مجالها التأثيري أكثر من ذي قبل؛ إذ يعدّه الكثير من مثقفي الشرق أنّ الوقت قد حان، لكي تأخذ هذه الظاهرة مداها الواسع بعد الاحتقان الكبير الذي سببه التطرّف الديني وآثاره المخيبة، والتي طرحت جملة من التساؤلات حول مدى فاعلية الدين البشري، كمنظم للحياة الإنسانية بعد القطيعة الكبيرة بين الإنسان في خضم التطورات الحاصلة في الغرب،

(١) حنفي، حسن، العولمة بين المناهضة والترحيب، جريدة الزمان: عدد ١٢٣١، في ٧/ ١٠/ ٢٠٠٢م.

وحالـة الارتـداد الكبير في كلّ مناحي الحيـاة البشرية في بلاد الـشرق وتعاليم الدين الأصيلة، كمنتج سماوي عظيم جاء هادياً ومشرّعاً لنظام شامل وعام.

ولعلّ تأثير هذه الظاهرة وسطوتها الواضحة على عقول المفكرين والمثقفين ساقنا الاهتـمام إلى عرض هذه الجنبة في هـذا البحث، ومدى علاقتها وتأثيرها الفكري بين المدارس الأُخرى، وإن لم تكن العلمانية مدرسة قائمة لها بُعدها التاريخي كما هو حال المدارس الأُخرى، التي أثّرت في عالم الفكر، وغيّرت الكثير من مجرياته عبر حركة الزمن.

الإسلام نزعة شمولية

يقول الفيلسـوف مطهري: «**إنّ الإسلام لن يكون قادراً على مقاومة وصمود النظم الإلحادية إلّا بعد أن يتحوّل إلى فلسـفة للحياة، ويبسـط هيمنته على عموم المجتمع، وإلّا يظلّ حبيس زوايا المساجد وأماكن العبادة**»[1].

هذه الصورة المعطاء للإسـلام الحقيقي، والتي وردت في مقولة الشـهيد مطهري تجـدد الدعوة مرّةً أُخرى إلى تجسـيد الحقائـق والمعطيات الإسـلامية إلى واقع عملي، يؤكد النموذج الإسلامي، باعتباره الحالة الطبيعية في الإطار العالمي العام، فضلاً عن قدرته في اسـتمالة عقول البشر في مجال حقانيته، بوصفهِ منهجاً للحياة العامّة، بفضل عالميـة أهدافه ومشروعيـة أحكامه، ممّا يمكنـه من التحدي والتصـدي لجميع النظم غـير المشروعة، التي تسـعى إلى أن يتبنى الإنسـان موقفاً مخالفـاً وينزلق نحو مهاوي الطروحات العقيمة في تلبية الطموحات الإنسانية.

ويدعو الشـهيد مطهري في موضع آخر إلى نزع لباس القومية، والتفتح والتفاعل والتعايش مع الآخرين بقوله: «**لا ينبغي الحكم على القومية بالإدانة بشكلٍ قاطع، وهي حـين تأتي بخصائـص إيجابية، فإنّها سـتعزز مشروعـات التضامن، والعلاقـات الطيبة، والرفاهة العامّة لأولئك الذين نعيش معهم، وهي ليست بالنزعة غير العقلانية، أو التي**

(١) رجائي، فرهنك، الإسلاموية والحداثة: ص٢٠٩.

تتعارض مع الإسلام»[1].

ويـرى المفكر شريعتي أنّ من الضرورات الواجبة على المسـلم أن يسـقط الواعي حبّـه مـن الركون للمغانم الدنيئة، وأن يضحّي بما هو مقدّس في سـبيلها. إذ يقول في هذا الصدد: «**قابيل... قد أسقط من حسابه إيمانه بالله، وضحّى بالقديس من أجل مغنم شـخصي... وإلى حدّ أبعد، فإنّ مستوى إيمان قابيل قد تدنى إلى حدّ جعله يستغل الدين لتحقيق مكاسب ذاتية**»[2].

والمتدبّـر في كلّ هـذه الصـور، يجـد أنّ الطريـق السـليم هـو في ضرورة التعايش والتسامح مع الآخر، وإن كان عبر نافذة المشاريع القومية الإيجابية، التي تسعى نحو منجز عالمي شامل، يحقق للإنسان والإنسانية هدفها المنشود في الحياة الحرّة الكريمة، التي ضمنتها كلّ الشرائع السماوية.

كـما أنّ هذا المنهج يُحتم على الجميع رفض الركـون للنزعات الذاتية العنيفة، التي تتنافى ومبادئ الأُطروحة الإلهية.

هذه الرسالة بمعانيها الشاملة، والتي تبعث الروح، وتنمّي الشعور على المنهج الأصيـل الذي صاغه الإسـلام، وهو منهج الوسـطية والعدل، الـذي يهدف إلى بناء دولة الإنسان بوصفها الحلم الحقيقي لكلّ المنادين بضرورة بناء دولة عصرية، رافضة لكلّ المناهج التي لا تنسـجم وحقيقـة الأديان وتعاليمها، ويكون أساسـها الانفتاح والتعايـش مـع الآخـر، هـو الحتميـة الضروريـة للخطيـب أو المفكر، التـي توجبها المتغيرات المعاصرة في إنتاجها مجسـداً الدعوة إلى الإيمان بها، والتفاعل معها، بعد أن وفّرت الإجابات الكافية على إشكاليات نظرية التطرّف والتحجر، بوصفها مشروعاً تخريبياً لا يمت للإسلام وتعاليمه المقدّسة، التي تصلح لكلّ الأُطروحات والمناهج ـ الإيديولوجيات ـ الموجودة على ساحة الفكر.

---

(١) المصدر السابق: ص٢٢١.

(٢) المصدر السابق: ص٢٢٠.

الشيخ الدكتور أحمد الوائلي رحمه الله أُنموذجاً

لعلّ السبب الرئيس الذي ساقني لإيراد هذه الشخصية، وإبراز دورها المؤثر في مجال الخطابة المعتدلة، أسباب عدّة قد يكون أهمها: أنّه كان مثال المفكّر المبدع، والخطيب المعتدل، حيث كانت خطبهُ تمتاز بالشمولية، وعدم الجمود على اليقين، والتطرّق لكلّ الآراء الموافقة والمخالفة دون أن يتبنى رأياً أو يميل إلى فكرة، ولم يكن سبّاباً، ولا طعّاناً، ولا لعّاناً، إذ كانت مفرداته تمتاز بالشفافية، والعطف، والحنو، وكانت موضوعاته يستمدها من آلام الناس وتوجعاتهم؛ لذا لقيت هذه الشخصية قبولاً وإقبالاً، انصاتاً واستماعاً.

لقد انفرد الشيخ الوائلي بأسلوب خطابي رائع، بعد أن خرج على القديم إلى الجديد، فكان مريدوه من الشرق والغرب، حين وظّف الهدف الواقعي من الدين وفق رؤية لم يطرقها غيره، إلى أُسلوب فريد جذّاب من حيث الدعوة إلى الوحدة والوئام، وإلى ترصين الواقع وشدّه، حتى يمكن النفوذ فيه من خلال التوجيه الديني البليغ. فكان منبره الفكري مؤثراً على مساحة واسعة من الناس، لم تقتصر على مذهب التشيّع، بل تعداه إلى غيره، بل إلى غير المسلمين أحياناً.

وبهذه الطريقة المثلى، اعتقد كثير من أهل الفن أنّ الشيخ الوائلي قد تفوّق في قيادة منبر الاعتدال في أحلك الظروف وأصعبها، فاستطاع أن يكون معلماً لما بعده من الأجيال، ووجهاً خطابياً ستبقى ساحة الفكر المعتدل تدين له بالكثير في خضم الصراعات التي تنوء بها، في ظلال الخلافات العقدية والفكرية الكبيرة. وهو في قمّة عطائه الفكري؛ إذ يقدّم لنا رؤيته حول طبيعة المنبر بقوله رحمه الله: «**لقد كنت أطرح فكرة هموم وخواطر المنبر مع كثير من ذوي الشأن، فأسمع منهم المتحمس للتحرّك في هذا الموضوع، وأسمع الذي يقابل ذلك بشيء من الفتور؛ الناتج عن تصوره بأنّ للمنبر دوراً محدوداً على مستوى العواطف الدينية عند فئة قليلة**»[1].

(١) مركز الغدير للدراسات الإسلامية، مجلة المنهاج: العدد ١٧، ص٤٠١ وما بعدها.

وفي ضوء ما تقدّم، فالمتأمل في كلام الشيخ الوائلي يلحظ أنّه رحمه الله لم يتوقف على الحدود المألوفة والنمطية المعهودة عند جلّ الخطباء، بل تعدّاه باسم التحليل المنطقي، والوصف العالي، وتعدّد المعلومة، وتنوع مصادرها، إلى أبعد من ذلك، وفق رؤية متعدّدة الجوانب، ومتشعبة الأطراف، إلى الشمولية في العرض، والعمومية في البيان دون الركون إلى محدودية الفكرة وضيق الأفق، ممّا جعله يتفوّق على الكثير من أقرانهِ. وعلى هذا الأساس كان يدعو إلى «**الارتقاء بالمنبر حتى يصل إلى مستوى مرجع متجوّل، يرجع إليه الجمهور للتعرّف على حلّ الكثير من قضاياهم ومشاكلهم، أيّ: جعل المنبر مكتبة متنقلة، تؤهله للخوض في الأفكار العامة**»[1].

الخطيب وواجباتهِ في ظلّ استثنائية الظروف

أعتقد أنّ من أهمّ الواجبات التي تقع على عاتق الخطيب، هو نوع الخطاب في ظلّ الظروف التي مزّقت الأُمّة وقطّعت أوصالها، فإيصال رسالة السماء مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾[2]، وحمل الناس على احترام الآخر، والسعي لبناء دولة الكرامة التي حفلت بها النصوص النقلية الكثيرة، هو الهدف الأسمى للمفكر أو الخطيب، وهو يعتلي المنبر مذكراً بأمجاد هذه الأُمّة، وسعي نبيّها الأكرم محمد صلى الله عليه وآله لإرساء دعائم المحبّة والسلام بين شعوب الأرض.

كما ينبغي الإشارة إلى حقيقة مهمّة ألا وهي: أهمية الحوار وضرورته القصوى في ظلّ هذه الظروف، خاصةً بعد أن لمسنا النتائج الوخيمة، والآثار المدمرة؛ جرّاء محاولة رفض الآخر، أو تبني الموقف السلبي ضدّ الطرح المضاد.

وتأسيساً على ما سبق، ومن النماذج الملموسة على سبيل المثال لا الحصر: موقف الكنيسة في العصور الوسطى وآرائها المتشنّجة، ومحاولة فرضها على الناس باعتبارها معتقدات دينية، فقد كانت لآراء أرسطو وبطليموس اليونانية في الطبيعة والفلك

(١) المصدر السابق.
(٢) الأحزاب: آية٣٩.

وغيرها، قوانين لا يمكن مناقشتها، أو إبداء ما يمكن إبداؤه إزاءها.

أضف إلى ذلك محاكم التفتيش التي مثّلت تحدياً واقعياً لكثير من الآراء، فضلاً عن مواقفها الباطلة التي أودت بالكثير من الأبرياء، كان منهم العالم الطبيعي المعروف برونو الذي أُحرق حياً سنة (١٦٠٠م)، وكذلك العالم الفلكي الإيطالي غاليلو سنة (١٦٤٢م)، ومحاولة إجباره على مغادرة أفكاره وإنكارها بعد أن قال بحركة الأرض ودورانها حول الشمس، كلّ هذا وغيره سجّل التاريخ قسوة الموقف الكنيسي وسوداوية أفعاله[١].

وإليك مثال آخر من واقع الحياة الإسلامية: إذ حدّث المفضل بن عمر أنّه سمع ذات يوم كلاماً إلحادياً من ابن أبي العوجاء في مسجد الرسول ﷺ يقول: «**فلم أملك نفسي غضباً وغيظاً وحنقاً، فقلت: يا عدوّ الله، تتحدّث في دين الله، وأنكرت الباري جلّ قدسه.. فردّ عليه ابن أبي العوجاء قائلاً: يا هذا، إن كنت من أهل الكلام كلمناك، فإن ثبت لك حجّة تبعناك، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك، وإن كنت من أصحاب جعفر ابن محمد الصادق، فما هكذا يخاطبنا، ولا بمثل كلامك يجادلنا، ولقد سمع بكلامنا أكثر ممّا سمعت، فما أفحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا، وأنّه للحليم الرزين، العاقل الرصين، لا يعتريه خرق، ولا طيش، ولا نزق، ويسمع كلامنا، ويُصغي إلينا، ويستغرق حجّتنا، حتى إذا استفرغنا ما عندنا، وظنّنا أنا قد قطعناه أدحض حجّتنا بكلام يسير، وخطاب قصير، يلزمنا به الحجة، ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه ردّاً، فإن كنت من أصحابه، فخاطبنا بمثل خطابه**»[٢].

والمتدبّر في مضمون هذه الرواية يجد من الدروس والمعطيات الحقيقية للمدرسة الإسلامية، وهي تقدّم ورقة عمل لأساس الحوار والتعاطي مع الآخر، بلغة خطابية لم تخالف حقائق الواقع الإسلامي، وقوانين العقل والمنطق، وصولاً إلى تحقيق

(١) أُنظر: الصفار، حسن، الحوار والانفتاح على الآخر: ص٤٢.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٣، ص٥٧ـ٥٨.

الأهداف في تنمية الحوار المتبادل؛ ليكون منطلقاً لفهم الآخر في ضوء الحاجة العميقة للتسامح، وضمان حرية الفكر.

وفي برنامج اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين، والتي ترأسها رئيس المفوضية الأُوربية السابق السيّد جاك ديلور بتحديد ملامح إحدى الدعائم التربوية التي تؤكّد عليها اللجنة، ألا وهي تعلّم كيفية العيش معاً، وأن يتحوّل المدرسون من ملقّنين إلى منظمي التعلّم، وتحوّل المدارس إلى مراكز للممارسة اليومية للتسامح، من خلال منح الآخرين فرصة للتعبير عن وجهات نظرهم[1].

الوعي التاريخي

إنّ الوعي التاريخي بمسمّياته المختلفة (تقاليد، عادات، تراث...) تكون العامل الأقوى في صياغة المنظومة الثقافية للمجتمعات، ومنهم: المفكر، أو الخطيب، فالتصور التاريخي المتجذر لدى المجتمعات من الصعوبة بمكان اجتثاثه واقتلاعه، بعد أن ترسخت أُصوله في الذات المجتمعية، وأنبتت فروعه، أضف إلى ذلك أنّ القضايا التاريخية قضايا فيها الكثير من الأخذ والردّ والاجتهاد، التي أوصلت المجتمعات في أحيان كثيرة إلى الصدام الاجتماعي، الذي هو أخطر من الصدام الفكري.

فالطرح الذي ينتهجه الخطيب، يجب أن يتضمّن الدعوة إلى الوحدة والوئام، والتعايش السلمي، وفق المسارات التي تجمع المشارب جميعاً في مشرب واحد؛ تلافياً للتشتت والتشرذم والطائفية، كما أنّ الخوض في مسائل الوعي التاريخي والعقائدي، يجب أن يكون منفتحاً على آراء الآخرين، رغم المتغيّرات التي لا تلتقي أحياناً وطبيعة التراث أو التقليد السائد، كما أنّ التوظيف الفني المعاصر، والذوق العالي، واحترام المشاعر العامّة، سيكون سبباً في مواجهة التطرّف والعنف، وترسيخ مبادئ الانفتاح على مختلف القوميات، والديانات والأفكار.

(١) أُنظر: التريكي، فتحي، وآخرون، العنف والدين وتفاهم الحضارات: ص٢٢٢.

إثارة العقول وإعمالها

إذاً، كيف يتمّ تحريك الساحة الإسلامية لكي تتفاعل مع مضمون الخطاب، وما هي الأدوات الناجحة للخطيب الناجح في استنهاض الشعور الإنساني، للوصول إلى هدف الخطاب، وهو التأثير في شخصية المتلقي عبر استثارة دفائن العقول، وتحريكها نحو الأصلح والأجمل.

إذ إنّ المتمرّسون من الحذاق يعتقدون بأنّ للعقول دوراً مؤثراً في دعوة الخطيب للناس، فالعلاقة بين الدين والعقل متلازمة لا انفصال فيها ولا انفكاك، فقد ورد عن أنس بن مالك، قال: «**أثنى قوم على رجل عند رسول الله**صلى الله عليه وآله، **فقال**صلى الله عليه وآله: **كيف عقله؟ قالوا: يا رسول الله، نُخبرك عن اجتهاده في العبادة، وأصناف الخير، تسألنا عن عقله؟ فقال**صلى الله عليه وآله: **إنّ الأحمق يُصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنّما يرتفع العباد غداً في الدرجات، وينالون الزلفى من ربّهم على قدر عقولهم**»[1].

فالقوم يثنون على عبادة الرجل وأصناف الخير التي بدرت منه، والتي منها الدعوة إلى الخير، فيسألهم النبيصلى الله عليه وآله: كيف عقله؟ أي: هل يتكلّم بعقله أم بعواطفه؟

فالتديّن خاص به، لكن الدعوة المستندة إلى العقل وأحكامه، هي الممدوحة في قول رسول اللهصلى الله عليه وآله.

ومن هنا يظهر أنّ الخطاب المستند للأدلة العقلية من آيات، وروايات، ونظريات، وأقوال لشخصيات علمية، وغيرها، معتدّ بها. لا أن يطرح المسائل على عواهنها من دون أن يدعمها بدليل، فالعقول تستأنس بالأدلة أكثر من النتائج؛ لأنّ فيها اطمئناناً أكثر وثقافةً أوسع.

ولبيان أهمية العقل ودوره في عرض أُطروحته ما ورد في رواية ابن مسعود حيث قال: قال المسيحعليه السلام: «**خذوا الحقَّ من أهل الباطل، ولا تأخذوا الباطل من أهل الحقِّ،**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١، ص٨٣.

كونـوا نقّاد الكلام، فكم من ضلالة زخرفت بآية من كتاب الله، كما زخرف الدرهم من نحاس بالفضة المموهة، النظر إلى ذلك سواء، والبصراء به خبراء»[1].

وتزامناً مع المتغيّرات الجديدة التي يشهدها العالم الإسلامي، في ظلّ ارتفاع وتيرة الخلاف العقدي والفكري، أصبح لعلم الكلام المعاصر أُصولاً، ومنهجاً، ونظريات، وأساليب، قادرة على دفع الشبهات والأباطيل بلغة عصرية تستند إلى الدليل والبرهان في درء الأفـكار، والمناهج التي تعبر عن انحطـاط الإيديولوجيات المخالفة، وصولاً لحالة السـمو والتكامل المنهجي لفلسفة الإسـلام، ووجودها المتوازن في التعامل مع أعقد المشكلات التي تواجه العالم الإسلامي وتهدد ثقافته الدينية.

وفي ضـوء ذلـك فقد تبنّـت المؤسسـات الفكرية لغـة الحوار والخطـاب المعتدل، كوسـيلة لإخراجه بالمظهر الذي ينمّ عن لغة الإسـلام الراجحة، والمستندة للخطاب الإلهي، في إرساء قواعد التعايش والسلم المجتمعي.

وممّـا تجـدر الإشـارة إليـه أنّ دور المؤسسـات الفكريـة والحواريـة، لم يقتصر على المؤسسة الإسلامية، فقد تأسست معاهد متخصصة في أمريكا وأُوربا، تُعنى بأبحاث تطويـر هذا العلـم، وإقامة دورات تدريبية لتنمية مهـارات التفاوض، وإدارة الحوار والخطـاب، وقـد شرعت جامعـة هارفرد لدراسـة العمليـات التفاوضيـة المختلفة، باعتبارهـا مـن أكـبر المشروعـات في هذا العـالم، الهدف من هـذا المشروع هـو تنمية وتطويـر طرق ووسـائل ومهارات التفاوض، والوسـاطة من أجل معالجة المشـاكل القائمة في المجتمع الأمريكي[2].

والمسـتغرب في الأمر أنّنا نملك دستوراً يُعدّ من أغنى وأعدل دساتير العالم، وهو يمتلك ناصية الحوار والخطاب وفق أُسس كاشفة عن المنتج الحقيقي لواقعية الحوار، في ضـوء الثوابـت والتعاليـم الإلهية، التـي عُدّت المصدر الأسـاس لقواعـد التبليغ والخطاب الإسلامي المعتدل.

---

(١) المصدر السابق: ج٢، ص٩٦.

(٢) أُنظر: الصفار، حسن، الحوار والانفتاح على الآخر: ص٤٢.

خاتمة البحث

بعـد هذه الجولة في ربوع الخطابة والخطاب للمدارس الإسـلامية والعالمية وبيان توجهـات ومناحـي منظوماتهـا الفكرية، ظهر لنـا أنّ هذه المدارس عدا الإسـلامية، كان يشـوبها القصور والفتور في مرجعياتها؛ بدلالة انتهـاء أمدها، ومحدودية هدفها، وضيق أفقها.

أضـف إلى ذلـك، أنّ هـذه المنظومـات الوضعية التـي ظهرت حديثـاً، واختطت لنفسـها منحـى إيديولوجياً خاصّاً بهـا، لم تقدّم حلولاً ولو على المـدى القصير لكثير من الاختلافات المتجذرة على صعيد الفكر أو العقيدة، بخلاف المدرسـة الإسـلامية بما تمتلكه من عناصر القوة والنشاط والفاعلية والموضوعية، وبما تمثّله من معطى إلهي فـرض وجوده بقـوة بعد النجاحات الكبـيرة التي حققها في عالم يمـوج فيه التطرّف والتعصّب والعبودية .

كـما قدّم الإسـلام ما عجـزت عنه المنظومـات الأُخرى بفعل عالميته وشـموليته، ومحاكاته للتجربة للإنسانية المجرّدة عن خصوصية الزمان والمكان.

وفي ضوء ما سـبق، فقد حظي الخطاب الإسلامي باحترام وتقدير الملل المختلفة، بفعل وسـطيته الفكريـة، وتوجهاته نحو نبذ التطرّف والغلو، كظواهر شـاذّة تصدع المجتمعـات، وترّسـخ روح التـشرذم والتفرّق، الـذي نبذتها تعاليم السـماء بشرائعه المختلفـة، إذ حفل الخطاب الإلهي بالاعتدال في ترجمـة تعاليمه، بوصفها منهجاً ثابتاً للحياة البشرية.

وفي ضـوء ذلك، فإنّ هـذا النهج يفرض على جميع أهل الديانـات عدم النزوع أو الترويج للخطابات المتطرّفة، التي لا تنسجم مع مسار السماء، والحياة الحرّة الكريمة؛ إذ إنّ الفكـر المتطرّف لا يمكن أن يقدّم أُطروحـة للحياة، قادرة على البناء الحضاري العالمي، وترسيخ تعاليم السماء المنادية بالوسطية والاعتدال.

خلاصة المقالات

باللغة العربية والانجليزية

الخطاب السياسي في نهج الإصلاح الحسيني

أ. م. د. عبد الكريم عبد الحسين الدباج

تـأتي أهمّية البحث مـن أهمّية الثورة الإصلاحية الحسـينية، ودورها في تغيير واقع حال الأُمّة الإسـلامية المتردّي إبّان الحكم الأُموي، وكذلك لما لها من وقع في نفوس المسلمين، وتأثيرها الوجداني في الضمير العالمي.

وقد اشتمل المقال على أربعة مباحث:

تناول المبحث الأول مفهوم الإصلاح وسبله.

فيما تناول المبحث الثاني آل الرسول صلى الله عليه وآله والضرورة الحتمية لتحقيق العدل الإلهي.

كما تناول المبحث الثالث المنهج الأُموي في إقامة الدولة السفيانية.

أمّا المبحث الرابع فانصبّ اهتمامه على آليات الإصلاح في مسيرة الجهاد الحسيني.

واتّبـع الباحـث المنهـج الوصفـي الاسـتنباطي في تحليـل النصـوص الـواردة في البحث، وفي الخاتمة توصّل إلى جملة من النتائج .

وأوصى الباحـث بإيلاء الأهمّية القصوى بموضوع النهج الإصلاحي الحسـيني؛ لمـا له مـن أهمّية كـبرى في حيـاة الأُمّة الإسـلامية وتراثهـا الخالد، من خـلال إجراء الحواريات والمناقشـات العلميـة، وتوثيق ذلك من خلال وسـائل الإعلام، واقترح الباحث إجراء دراسات وأبحاث أكاديمية حول الموضوع.

POLITICAL ADDRESS IN IMAM AL-ḤUSAYN'S REFORMATIVE PROGRAM

Dr. ʿAbd al-Karīm ʿAbd al-Ḥusayn al-Dabbāj

The significance of the current essay is derived from the significance of Imam al-Ḥusayn's reformative uprising that played the key role in changing the conditions of the Muslim community that were prone to deterioration during the reign of the Umayyad ruling authorities. Imam al-Ḥusayn's reformative uprising also affected greatly the mentalities of Muslims and shook the sentimentality of human beings.

The essay is composed of four episodes, the first of which is dedicated to explaining the meanings and ways of reformation, while the second is about the Holy Prophet's family members and the inevitability of the fulfillment of the Divine justice at the hands of one of them. The third part of the essay discusses the policy adopted by the Umayyad ruling authorities for establishing their state that was based on the perverted and devilish thoughts of Abū-Sufyān.

The fourth part of the essay discusses compactly the methods and tools of reformation through following the revolutionary course of Imam al-Ḥusayn.

The writer, following the descriptive-deductive methodology of analyzing the texts upon which he comes, concludes a set of results and recommends that very much importance must be showed to the topic of Imam al-Ḥusayn's reformative program, because this topic has a very big importance in the lifestyle of the Muslim nation and its everlasting heritage. The writer thus suggests that this topic should be highlighted through such means like running interviews and scientific debates to be documented by the different mass media and making academic studies and researches.

المضامين الإصلاحية في خطب الإمام الحسين عليه السلام ومواعظه

م. د. ثائر عباس النصراوي

م. د. مجبل عزيز جاسم

حاول الباحثان إلقاء الضوء على خطب الإمام الحسين عليه السلام ومواعظه للناس، وما تحمل من مضامين إصلاحية وُجِّهت بالدرجة الأُولى نحو إصلاح النفس، باعتبارها تُعدّ واسطة العمد التي يستند إليها إصلاح المجتمع برمّته، ثمّ بعد إصلاح النفس عطف الباحثان الكلام إلى المواعظ التي تخاطب الآخر ـ سواء كان من الموالين للإمام عليه السلام أم من معارضيه ـ وما تحمل من نصائح؛ كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... غايتها تسديد الخُطى، وتقويم مَن انحرف عن جادة الحقّ من المخالفين على اختلاف مشاربهم، سواء أكانوا من قادة القوم الذين أخذتهم العزّة بالإثم، أم ممَّن غُرِّر بهم وضُلِّلوا، وصُوِّرت لهم الأُمور على غير حقيقتها.

وذكر الباحثان في مبحثٍ أخير أنواع أساليب الوعظ عند الإمام الحسين عليه السلام؛ كالمواعظ التي توجّه للقريب (الموالي)، والمواعظ الموجهة للبعيد (المخالف)، والمواعظ التي كانت جارية مجرى الحِكَم.

REFORMATIVE CONTENTS IN IMAM AL-ḤUSAYN'S SPEECHES AND EXHORTATIONS

Dr. Thā'ir ʿAbbās al-Naṣrāwī

Dr. Mijbil ʿAzīz Jāsim

The writers of the current essay attempt to shed thorough light on Imam al-Ḥusayn's speeches and exhortations delivered to the masses, stressing on the reformative statements included in these speeches, especially his advices on self-reformation, considering it to be the central pillar upon which he depended in his endeavors to reform the community as a whole.

The writers then move to highlighting and discussing the issue of exhortations that the Imam addressed to both his followers and opponents, since the Imam's purpose behind reminding the masses of these exhortations that held a set of such advices as enjoining the right and forbidding the wrong was only to guide them to the right path and set aright those who had deviated from the true guidance, including the commanders of the opposing army whom were seduced into erring by their arrogance and egotistical dispositions and those feeble-minded people whom were misled by the tyrannical ruling authorities that introduced to them a false copy of the truth.

In the last part of their essay, the writers refer to the different methods of admonition and exhortation used by Imam al-Ḥusayn, such as the advices directly addressed to his followers, the others directed to the enemy, and those exhortations that took the form of maxims and wisdoms.

قراءة نافية للروايات المنسوبة إلى الإمام الحسين عليه السلام في المصادر التاريخية

أ. د. حاكم حبيب الكريطي

حاول الباحث في هذا المقال أن يقرأ بعض الروايات التي نسبتها المصادر التاريخية إلى الإمام الحسين عليه السلام قراءةً تدبّرية، مركّزاً الجهد على المضامين التي تحملها، وموازنة تلك المضامين مع ثوابت الإمامة التي ينطبق الإمام الحسين عليه السلام عليها، ويكون العقل هو الفيصل في بيان صحّة الرواية من عدمه، مع الاستعانة ببعض الروايات من المصادر الأُخرى؛ لإظهار تهافت المضامين. فذكر الحوادث التاريخية، وما حصل فيها من تهافت، ابتداءً من بيعة يزيد بن معاوية، إلى صلح الإمام الحسن عليه السلام، وإلى أخيه الإمام الحسين عليه السلام، وبيّن عدة من الروايات التي تتنافى ومقام الإمامة، وأبدى اعتراضه عليها بعدة من النقاط السلبية التي لا تتناسب مع مكانة ومقام أهل البيت عليهم السلام.

كما أن الكاتب قد نبّه إلى أنّ تحكّم العقل في مضامين الروايات سوف لا يقوده إلى تحميل النصوص ما لا تحتمل، وإنّما هو تدبّر وتثبّت بما يوفّر الاطمئنان لصحّة القراءة التي نقرأ بها نصوص الروايات.

A PERUSAL DISPROVING THE AUTHENTICITY OF SOME NARRATIONS ABOUT IMAM AL-ḤUSAYN MENTIONED IN REFERENCE BOOKS OF HISTORY

Dr. Ḥākim Ḥabīb al-Gurayṭī

This essay is an attempt to re-read carefully some narrations falsely ascribed to Imam al-Ḥusayn by some reference books of Islamic history. The writer thus concentrates on the contents of these narrations and compares them to the indisputable facts necessitated by the Divinely commissioned position of Imamate (i.e. political and religious leadership of the Muslim community) and enjoyed by Imam al-Ḥusayn in his capacity as one of those Divinely commissioned Imams. Employing sound reason as the decisive factor of judging these narrations as false or true, the writer seeks the help of other narrations mentioned in other reference books in order to prove the falsity and inaccuracy of the narrations under discussion. He thus refers to some historical events and underscores the falsity that was included in these events by their narrators, beginning with the event of Yazīd's coming to power and the masses' swearing allegiance to him by force and against their will, the truce concluded by Imam al-Ḥasan with Muʿāwiyah, and ending with the situations and attitudes adopted by Imam al-Ḥusayn towards these events.

The writer thus sheds light on some narrations in this respect that contradicted the position of Imamate, objecting to these narrations through arguing their contents and mentioning a number of negative points that are incompatible with the status and position of the Ahl al-Bayt; the Holy Prophet's infallible family members.

The writer then attracts attentions to the fact that if good reason is applied to these narrations, it will inevitably necessitate that their contents should be understood in a certain way that is congruous with Imam al-Ḥusayn's personality and position as a Divinely appointed leader of Muslims. Thus, what is required is to be as cautious as possible and to re-read these narrations in the most accurate way necessitated by careful observation of any texts of these narrations and historical events received through transmitters of narrations.

دور أقوال الإمام الحسين عليه السلام في تنمية القيم الإسلامية

واقعة الطفّ أُنموذجاً

م. حيدر محسن الشويلي

تعرّض الباحث لمعرفة دور أقوال الإمام الحسين عليه السلام عند واقعة الطفّ في تنمية القيم التربوية الإسلامية لدى عينة وشريحة من شرائح المجتمع، وهم طلبة الجامعة، وقد اشتمل مجتمع البحث على جميع طلبة كلية التربية للعلوم الصرفة في جامعة ذي قار، وعددهم (٢٤٩) طالباً وطالبةً، وتكوّنت العينة من (٨٠) طالباً وطالبةً.

واستخدم الباحث المنهج الوصفي، كما تمّ استخدام استبانة، وتمّ تطويرها بعد التأكّد من صدقها وثباتها، الذي بلغ (٠,٨٢) عن طريق إعادة التطبيق، وقد استخدم الباحث المتوسطات والنسب واختبارات (*T.TEST*) لمناسبتها لأهداف البحث، وقد وزعت الاستبانة على عينة البحث.

وبعد تطبيق الأداة توصّل الباحث إلى استنتاجات أهمّها:

أنّ لأقوال الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ دوراً في تنمية القيم التربوية الإسلامية لدى طلبة الجامعة.

وأوصى الباحث بعدد من التوصيات، منها: ضرورة قيام المؤسسات بواجبها في مواجهة الغزو الثقافي الأجنبي، والعودة إلى الموروث الثقافي المستمدّ من القرآن الكريم، وأقوال الإمام الحسين عليه السلام، بما يحويه من قيم أصيلة تتناسب وتقاليدنا الإسلامية، وواقعنا التربوي.

كما اقترح الباحث: إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية؛ لمعرفة الاتجاه والدافعية نحو أقوال وحكم ومواعظ الأئمّة عليهم السلام؛ لما تحتوي عليه من قيم تربوية ودينية.

THE ROLES OF IMAM AL-ḤUSAYN'S WORDS IN DEVELOPING THE ISLAMIC VALUES; THE AL-ṬAFF EVENT AS A SAMPLE

Ḥaydar Muḥsin al-Shuweilī

The writer of the essay tries to discover the role played by Imam al-Ḥusayn's words said on the al-Ṭaff Day; i.e. the day of his martyrdom, in developing the values of Islam in the mentalities of a certain social class; namely, university students. The survey thus includes all the students of the College of Education for Pure Sciences in University of Dhī-Qār whose number is ٢٤٩ students out of whom ٨٠ students of both sexes were chosen as the samples of the survey.

Depending upon the descriptive methodology, the researcher used a questionnaire, which was later on developed in order to endorse its authenticity and validity. When the application was repeated, the validity of the questionnaire recorded an average of ٠,٨٢. The researcher also employed averages, ratios, and the T-Test in the survey, since they are the best means to achieve its goals. The questionnaire was thus given to the students and after applying the tools, the surveyor came out with a set of results, the most important of which is that Imam al-Ḥusayn's words on the day of his martyrdom played a significant role in enhancing the Islamic values of education in the mindsets of the university students.

The researcher then makes a number of recommendations, the most important of which is that it is necessary for educational and cultural institutions to fully undertake their responsibilities of confronting the foreign cultural invasions and encouraging on returning to the cultural heritage that is derived from the Holy Qur'ān and the words of Imam al-Ḥusayn, since this heritage is full of genuine values that are completely well-suited with the Islamic traditions and the real state of educational affairs.

Finally, the researcher suggests making similar surveys aiming at recognizing the tendency and motivations towards the words, maxims, and wisdoms of the Holy Imams, since they embrace high religious and educational values and principles.

مرويّات الإمام الحسين عليه السلام في تفاسير العامّة

أ. م. د. عصام كاظم الغالبي

إنّ هذا البحث هو محاولة لتسليط الضوء على ما رُوي عن الإمام الحسين عليه السلام في تفاسير العامّة، فيما يتعلّق بالقراءات القرآنية، والمسائل التفسيرية وسواهما، مستفيداً من أهمّ كتب التفسير لدى العامّة.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم على ثلاثة مباحث:

تناول الباحث في المبحث الأوّل القراءات المروية عن الإمام الحسين عليه السلام، موجّهاً إيّاها، شارحاً أثرها في النصّ القرآني.

وخصّص المبحث الثاني للروايات المتعلِّقة بالتفسير، مفصِّلاً لها بحسب أغراضها.

وجعل المبحث الثالث لما رُوي عن الإمام الحسين في سوى القراءات والتفسير، مفصّلاً لها بما روي عنه مباشرة، وما روي عنه عن أبيه عن جدّه، وما روي عنه عن جدّه مباشرة.

ثمّ ختم بحثه بأهمّ ما توصّل إليه البحث من نتائج.

NARRATIONS REPORTED FROM IMAM AL-ḤUSAYN AND QUOTED IN BOOKS OF QUR'ānIC EXEGESIS COMPILED BY NON-SHīʿAH WRITERS

Dr. ʿIṣām Kāẓim al-Ghālibī

The writer of the essay attempts to shed light on the narrations reported from Imam al-Ḥusayn and mentioned in the books of Qur'ānic exegesis written by non-Shīʿah scholars, especially narrations on such topics like the different ways of reading certain Qur'ānic verses and the true interpretation of others, as well as many other issues. In this research, the writer depends upon the most important books of Qur'ānic exegesis written by non-Shīʿah scholars to classify these narrations.

The nature of the research necessitated dividing it into three chapters, the first of which deals with the different ways of reading certain Qur'ānic verses as reported from Imam al-Ḥusayn. After citing these narrations, the writer explains and proves their effects on the Qur'ānic sciences.

The second chapter is allocated to the narrations concerning the interpretations, explanations, and exegesis of Qur'ānic texts. Thus, the writer categorizes these narrations according to their contents and purports.

The third chapter comprises narrations reported from Imam al-Ḥusayn on other topics than the ways of reading the Qur'ānic texts and the exegesis of Qur'ānic verses. The writer classifies these narrations according to their chains of authority; i.e. narrations that were reported directly from Imam al-Ḥusayn, narrations that were reported from his father on the authority of him, and narrations that were reported from his grandfather on the authority of him and through his father.

The essay is then concluded with a list of the most important results.

الترغيب والترهيب منهج تربوي للقرآن وللإمام الحسين عليه السلام

أ. د. فاطمة عبد الأمير الفتلاوي
م. د. زهراء رءوف الموسوي

إنّ طلب الإصلاح الذي دعا إليه الإمام عليه السلام استخدم له أساليب متعدّدة مع مَن تعامل معهم في نهضته المباركة، وكان من أبرزها الترغيب والترهيب. ومن هنا جاء هذا البحث لعرضٍ موجز للترغيب والترهيب كمنهج تربوي للقرآن الكريم وللإمام الحسين عليه السلام، وقُسّم على ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: وذكرت فيه الباحثتان معاني وتعريفات: (الترغيب، والترهيب، والمنهج، والتربية) لغةً واصطلاحاً.

وقد ذكرتا في المبحث الثاني: (الترغيب والترهيب) كمنهج تربوي للقرآن الكريم؛ واستنتجتا أنّ الترغيب والترهيب يُكمّل أحدهما الآخر، فالترهيب يستخدم في علاج السلوك المنحرف، وكذلك الترغيب، فهو ضروري حتى تتوازن النفس؛ لأنّ الترغيب معناه الأمل والرجاء في وعد الله.

والمبحث الثالث: تضمّن (الترغيب والترهيب) كمنهج تربوي للإمام الحسين عليه السلام، عُرضت فيه نصوص عدّة من خطب الإمام الحسين عليه السلام بين الترهيب والترغيب، وكانت لخطاباته عليه السلام الدلالات الثورية القاطعة لأجل مهمّة التغيير، وكذلك كان للترغيب في كلامه عليه السلام الحظّ الأوفر بين أصحابه ومواليه. واختتمت الكاتبتان مقالهما بقولهما: إنّ كربلاء كانت ولا زالت منهاج الترغيب والترهيب. وعليه أوصت الباحثتان بمجموعة من الأُمور اتخذتاها كنتائج من البحث.

INVITATION AND INTIMIDATION; AN EDUCATIONAL COURSE ADOPTED BY THE QUR'ān AND IMAM AL-ḤUSAYN

Dr. Fāṭimah ʿAbd al-ʿĀmir Al-Fatlāwī

Dr. Zahrā' Ra'ūf al-Mūsawī

In his blessed revolution for the sake of demanding with reformation of the Muslim community, Imam al-Ḥusayn used various methods for dealing with the others. Yet, the most important of these methods was that of invitation and intimidation. In light of this fact, the current essay has been written to represent a compendium of invitation and intimidation as a method of education used by the Holy Qur'ān and by Imam al-Ḥusayn. The essay is thus divided into three parts:

The first part includes definitions and explanations of such keywords as invitation, intimidation, course, and education in lexicon and in terminology.

In the second part, the researchers discuss invitation and intimidation as an educational course adopted by the Holy Qur'ān, concluding that invitation and intimidation are forcefully interlinked that they complete one another, since intimidation is used for treating perverted behavior while invitation is necessary for creating self-balance. Thus, invitation originally means hope and expectation for God's promise.

The third part of the essay is dedicated to discussing invitation and intimidation as an education course adopted by Imam al-Ḥusayn. To prove so, the researchers quote a number of the Imam's sermons and addresses that held indicatives of invitation and intimidation. As for intimidation, Imam al-Ḥusayn's sermons are full of such intimidatory indications of revolting for the sake of activating the required social change, and as for invitation, his discourses with his followers are full of invitational indications.

The writers of the essay finally confirm that Imam al-Ḥusayn has always been the best applier of the course of invitation and intimidation as one of the methods of education. For this reason, the writers list a number of recommendations, which are regarded as the results of their research.

الأبعاد السياقية في كلام الإمام الحسين عليه السلام

د. حامد بدر عبد الحسين

م. م. حسن رحيم السلطاني

سعت هذه الدراسة لبيان أثر الأبعاد السياقية في كلام الإمام الحسين عليه السلام، في ضوء دراسة مجموعة من الألوان السياقية اللُّغوية وغير اللُّغوية، ويتضمّن البحث بيان ماهية السياق، ومدى تأثيره في إيصال هدف المتكلّم إلى المتلقّي، وإيضاح أهمّية السياق في خلق الدلالة المتعدّدة، التي تُبرز البنية العميقة للنص الحسيني، وقد اتّخذ الباحثان من كلام الإمام الحسين عليه السلام مجالاً لهذا التطبيق؛ وذلك لما يتمتّع به من اللغة السامية الراقية التي تتوفّر على خطاب موجّه لكافّة الناس.

CONTEXTUAL ASPECTS OF IMAM AL-ḤUSAYN'S ADDRESSES

Dr. Ḥāmid Badr ʿAbd al-Ḥusayn

Ḥasan Raḥīm al-Sulṭānī

The essay is an attempt to display the effects of contextual aspects of Imam al-Ḥusayn's sermons and addresses on the recipients in the light of studying analytically a set of lingual and non-lingual contextual genres. The essay thus comprises an explanatory definition of context, the scope of its clout in the process of conveying the addressor's goals to the addressees, and a clarification of the significant role of context in creating various indicatives that bring to the surface the profundity of structures in the addresses of Imam al-Ḥusayn.

The researchers thus employ the sayings and discourses of Imam al-Ḥusayn as the application field of the topic of the essay, since the language of the Imam's words and addresses is characterized by supremacy and expressiveness that are required for composing a speech to be addressed to all people.

الإحالة الضدّية في خُطَب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

أ. د. شاكر سبع الأسدي

م. د. نوال جاسم محمد المنصور

تناول الباحثان هنا بحثاً علمياً تقوم فكرته على دراسة الإحالات الضدّية في خُطب الإمام الحسين عليه السلام، والتي تعتبر إطلالة على ما وراء النصّ الحسيني، وقد ركّز الباحثان على عدّة عناوين؛ فبحثا أوّلاً في آليات الإحالة، وذكرا من بين هذه الآليات نفس الإحالة التي عرّفاها: بأنّها أُولى عناصر السبك وأبرزها.

وبحثا ثانياً في وسائل الإحالة، وذكرا لها الكثير من الوسائل التي من خلالها يمكن أن نستفيد مفاهيم أُخرى لم تُذكر في النصوص.

وثالثاً في الإحالة الضدّية في نفس خُطَب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، واستظهر الكاتبان أنّ الإمام الحسين عليه السلام اتّخذ الإحالة الضدّية للتعبير عن معانٍ لم يرد قولها علناً، والإحالة الضدّية في خطبه عليه السلام هي إحالة لما في خارج النصّ، لكنّها تجمع منحيين: منحى نحوي دلالي، ومنحى تداولي.

واختتما بحثهما بأنّ الإحالات الضدّية في خطاب الإمام الحسين عليه السلام شكّلت ثنائيات من المعاني الخفية، يطلبها السياق والموقف الذي مرّ به الإمام الحسين عليه السلام، فاتّخذ التلويح وابتعد عن التصريح في بيان المعاني التي أراد قولها.

COUNTERACTANT REFERENCE STYLE OF IMAM AL-ḤUSAYN'S SPEECHES ON THE ʿĀSHūRā' DAY

Dr. Shākir Sabʿ al-Asadī

Dr. Nawāl Jassim M. al-Manṣūr

The writers of the essay deal with a purely stylistic topic that is based on studying analytically the counteractant reference style in Imam al-Ḥusayn's speeches and addresses. Upon discussing this topic, which is an outlook on what is beyond Imam al-Ḥusayn's texts, the researchers put emphasis on a number of introductory issues, starting with the mechanisms of reference style and proving that the very reference mechanism discussed in the essay represents the first and most important element of literary cohesion.

Discussing the tools of reference, the writers mention a big number of tools through which other ideas than those mentioned openly in the texts can be understood.

The research is then focused on the counteractant reference style in the speeches and addresses delivered by Imam al-Ḥusayn on the ʿĀshūrā' Day, the day of his martyrdom. The writers, using clear-cut demonstrations and points of evidence, prove that Imam al-Ḥusayn used the style of counteractant reference for expressing certain notions and meanings that he did not want to say publicly. Thus, the counteractant reference in these addresses and speeches was of the kind of the exophoric reference although it combined two stylistic approaches; namely, a syntactic-grammatic approach and a pragmatic approach.

At the end of the essay, the writers conclude that the counteractant reference style in Imam al-Ḥusayn's addresses and speeches acted as duets of exophoric meanings required by the context and the situation in which Imam al-Ḥusayn was put; therefore, he had to adopt the style of indirect reference and to keep himself away from a direct reference to the messages carried by his addresses and speeches.

التضادّ في الخطاب الحسيني ودوره في انسجام النص

م. م. زينب هاشم حسين

م. م. فاطمة الأسدي

تعرضت الكاتبتان في بحثهما إلى المتضادات اللغوية في خطب الإمام الحسين عليه السلام، المتضادات التي وظّفها عليه السلام بطريقة عمّقت خطابه؛ ليلامس الوجدان، ويؤثّر فيه بتناقضات الواقع.

والتضادّ بوصفه إبداعاً حقيقياً؛ لكونه يؤلّف بين المتناقضات كما أشار إلى ذلك الجرجاني، كان بارزاً بوحدة موضوعية وحيوية لغوية في مواضع كثيرة في خطاب الإمام عليه السلام، فالبحث هنا معقود لتناول التضادّ عند الإمام الحسين عليه السلام تناولاً يخرج عن نطاق دراسة المحسّن البديعي ذي القيمة البلاغية، التي تتتبّع قولاً أو بيتاً شعرياً، ولا تتعدّى إلى الخطاب بأجمعه. فانطلقت الباحثتان في رحلةٍ تنظر في محورية التضاد، بوصفه آلية تعمل بعلاقة تعارضية تساهم في انسجام الخطاب، وهي واحدة من آليات عديدة تتضافر في بناء النصّ بصورة متماسكة.

وبحث المقال أيضاً في العلاقة بين دواخل النصّ وتوتّر الواقع، ليستنتج في خاتمة البحث ما يدلّ على أنّ الإمام عليه السلام وظّف الثنائيات التضادّية، مؤلّفاً بين توجّهاتها المتناقضة بصورة تتعدّى الجملة أو عدّة جمل، والقول أو عدّة أقوال، إلى وحدة موضوعية منسجمة، تضمّ الخطاب كوحدة محورية بين متناقضات عديدة تخاطب الوجدان الإنساني، وتستفزّ شعوره بمعطيات الواقع.

ANTONYM IN IMAM AL-ḤUSAYN'S SPEECHES AND ITS ROLE IN CREATING TEXTUAL HARMONY

Zaynab Hāshim Hussein

Fāṭimah al-Asadī

Thrashing out the use of antonyms in the speeches and addresses of Imam al-Ḥusayn, the writers of the current essay emphasize on the Imam's employment of these antonyms in such a style that gave further profundity to his speeches and made them touch sentiments and conscience and reveal the ironies of the real state of affairs.

In its capacity as a concrete ingenuity that brings into line the opposite meanings, antonym can be manifestly seen, representing unity of the theme and lingual activity, in many parts of the speeches of Imam al-Ḥusayn. The main topic of the essay is thus a study of antonyms used by Imam al-Ḥusayn in his speeches. However, this topic is studied in a way out of the frame of following up the rhetoric and stylistic points found in these speeches; therefore, it embraces as a whole the entire speech and studies its antonym-related features. The writers of the essay analyze the centrality of antonymy in its capacity as a stylistic mechanism that acts contrastively in order to contribute to creating harmony in the address as a whole. It is also one of many mechanisms that cooperate with each other for constructing the text cohesively.

The essay also discusses the interrelation between the fragments of the text and the tension of the reality to conclude that Imam al-Ḥusayn, in his speeches, employed antonyms and united their paradoxical approaches in a way beyond one or more phrases, or one or more sayings, in order to create a fully harmonious unity of theme that introduces the speech as a central unity combining many contrasts, addressing the human conscience, and provoking sentiments to react with the real state of affairs.

التقابل الأُسلوبي في خُطب الإمام الحسين بن علي عليهما السلام

م. د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي

أ. م. هادي سعدون العارضي

عرض الباحثان في هذا المقال دراسة فنِّ التقابل الأُسلوبي في خطب الإمام الحسين عليه السلام، وهو فنٌّ يمكن عدّه من الفنون التي تشكِّل ظاهرة أُسلوبية تستحقّ الدراسة والتمحيص، وتعميق الرؤى في أبعاده التصويرية المتحقّقة، من خلال التقابلات الأُسلوبية بشكل واضح، فتمحورت الدراسة على تمهيدٍ في التقابل والأُسلوب لغةً واصطلاحاً، تبعتها ثلاثة مباحث: مبحثٌ في التقابل الدلالي بين الصور، وآخر في التقابل الدلالي بين المشاهد، وثالثٌ في التقابل الدلالي بين المواقف.

Stylistic Comparison In Imam Al-Ḥusayn's Speeches

Dr. ʿAbd al-Hādī ʿAbd al-Raḥmān al-Shāwī

Hādī Saʿdūn al-ʿĀriḍī

The writers of the current essay study the art of stylistic comparison in the speeches and sayings of Imam al-Ḥusayn. Stylistic comparison, a rhetoric and literary device of comparing or contrasting two things, is one of the arts that altogether form a stylistic phenomenon that is worth study, investigation, and intensifying views about its actual and depictional aspects that are manifestly seen in the stylistic contrasts and comparisons. Thus, the essay is divided into a prologue to the meanings of comparison and style in language and terminology, followed by three chapters, the first of which is on semantic comparison of images, the second on semantic comparison of scenes, and the last on semantic comparison of situations.

الخطاب الإسلامي المعتدل وأثره في ترسيخ أُسس التسامح والتعايش السلمي

أ. د. باسم باقر جريو

انطلق الباحث في مقاله من خلال السؤال عن الأساليب التي يجب أن يتبعها الخطيب أو المبلّغ لتحقيق الأهداف المرجوّة من الخطبة، وإحداث التوازن النوعي في التأثير والتأثّر، إلّا أنّه يجب على كلّ خطيب ومبلّغ أن يأتي بأساليب جديدة ومبتكرة في ضوء مفاهيم الحداثة وعلم الكلام المعاصر؛ لتُلبي الاحتياجات الإنسانية، ولا يبقى حبيس الكلمات أو الرؤى القديمة.

فعقد بحثه لبيان الأساليب التي يراها صحيحة لإحداث خطاب معتدل، ذاكراً أهمّ المدارس الفكرية التي تأثّر بها بعض خطباء المسلمين ومبلّغيهم؛ من قبيل المدرسة العلمانية، التي ترعى نظرية فصل الدين عن السياسة، ومدرسة التعددية الدينية، التي تتبنّى تعدّد الإدراك، و(الهرمنيوطيقا)، أي: تعدّد القراءات، وذكر أخيراً مدرسة الإسلام؛ وأوضح أنّ مدرسة الإسلام من أوسع المدارس المعرفية شمولاً، ثمّ ذكر أنّ للإسلام نزعة شمولية، ممثلاً إيّاها بالخطيب المرحوم الشيخ الدكتور أحمد الوائلي رحمه الله كنموذج.

وتصدّى الكاتب أيضاً لبيان واجبات الخطيب في ظلّ استثنائية الظروف، وبيّن أنّ الوعي التاريخي بمسمّياته المختلفة (تقاليد، وعادات، وتراث...) يكوّن العامل الأقوى في صياغة المنظومة الثقافية للمجتمعات، ومنها: المفكّر، أو الخطيب.

واختتم بحثه بخاتمة احتوت على بعض النتائج المستوحاة من البحث.

MODERATE ISLAMIC SPEECH AND ITS EFFECT ON ROOTING THE PILLARS OF INDULGENCE AND PEACEFUL COEXISTENCE

Dr. Bāsim Bāqir Jreyw

The writer begins the essay with a question as to what the methods to be adopted by orators and preachers in order to achieve the sought-after purposes of promulgation for Islam and imposing qualitative equilibrium between effectiveness and passivity are. The writer thus confirms that every preacher must design new and innovative methods taking into account the concepts of modernity and contemporary theology in order to meet the theological needs of humanity and to be released from the old-fashioned words and views.

In the light of this introduction, the researcher writes the current essay for the purpose of introducing new methods that are, in his conception, the most accurate and effective for originating a moderate Islamic speech. He then refers to the most important intellectual schools that left the greatest impact on some Muslim orators and promulgators, such as the Secularist School that adopts theoretically and applicably the notion of religion-politics separation, the Religious Pluralism School that adopts diversity of views and stands about the religion, and the Hermeneutic School that adopts diversity of interpretations and exegeses of the Scriptures. After making references to these schools, the writer mentions the Islamic School, proving it to be the most comprehensive of all schools in terms of knowledge and epistemology and introducing Dr. Sheikh Aḥmad al-Wā'ilī as the best example of this school that is characterized by all-comprehensiveness.

The writer also displays the duties of a successful preacher under the extraordinary circumstances, proving that historical awareness, despite its different names such as traditions, customs, norms, heritage, and ethos, is the most powerful element of composing a cultural formula in every community. Such formulate includes intellectuals and orators, or preachers.

The writer then seals the essay with an epilogue comprising some of the results derived from the points discussed in the essay.

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية وتعنى بالدراسات الدينية